المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

مَنْهَجُ مَكّيٍّ بنِ أبي طالبٍ في التَّرْجيحَات

من خلال تفسيره

(الهِدايَة إلى بُلُوغِ النِّهايَة)

رسالة مقدمة لقسم الكتاب والسنة ضمن مطالب الحصول على درجة العالمية

" **الماجستير** " في التفسير

إعداد الطالب : **فاخر بن بريكان بن بركي القرشي**
الرقم الجامعي: ٤٣٠٨٠٢٨٩

إشراف فضيلة الشيخ: **د / عبد الرحيم بن يحيى الحمود الغامدي**
الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة

السنة الدراسية : ١٤٣٤- ١٤٣٥هـ

﴿ملخص الرسالة﴾

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه رسالتي قدمتها لنيل درجة "الماجستير " بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، في التفسير بعنوان: مَنْهَجُ مَكِّيِّ بنِ أَبِي طالبٍ فِي التَّرْجيحَات من خلال تفسيره (الهِدايَة إلى بُلُوغِ النِّهايَة).

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، وفق الترتيب التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهجية المتبعة فيها.

التمهيد: ويشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: تعريف المنهج، وأهميته في ضبط العلوم. الثاني: التعريف بالإمام "مكي بن أبي طالب القيسي"، وبيان قيمة تفسيره، وأثره على مَنْ بعده. الثالث: تعريف الترجيح والاختيار، والفرق بينهما، وأهمية الترجيح في علم التفسير.

الفصل الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند مكي. وفيه مبحثان: الأول: صيغ الترجيح. الثاني: أساليب الترجيح.

الفصل الثاني: وجوه الترجيح عند مكي. وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية، وفيه مطلبان.

المبحث الثاني: الترجيح بظاهر القرآن، وفيه مطلبان.

المبحث الثالث: الترجيح بالسياق القرآني، وفيه مطلبان.

المبحث الرابع: الترجيح بالسنة النبوية، وفيه مطلبان.

المبحث الخامس: الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه مطلبان.

المبحث السادس: الترجيح بأسباب النزول، وفيه مطلبان.

المبحث السابع: الترجيح بأقوال التابعين، وفيه مطلبان.

المبحث الثامن: الترجيح بلغة العرب، وفيه مطلبان.

المبحث التاسع: الترجيح بقول الجمهور، وفيه مطلبان.

المبحث العاشر: الترجيح بالرأي والاجتهاد، وفيه مطلبان.

المبحث الحادي عشر: ما رجحه من غير أن يذكر دليلاً.

الخاتمة: وفيها عرض لأبرز النتائج التي توصلت إليها، والفهارس الفنية.

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وأتباعه.

الطالب : فاخر بن بريكان القرشي　　　　المشرف: د. عبد الرحيم بن يحيى الغامدي

(Abstract)

Praise be to Allah alone, and peace and blessings be upon the Prophet after him, and after:

This letter provided for a degree "Master" in the interpretation of curriculum entitled Makki bin Abi Talib, the weights are interpreted through (the guide to reach the end).

The research consists of: Introduction, smoothing, and two chapters, and a conclusion, and indexes, according to the following order:

Introduction: The importance of the subject, and the reasons for his choice, and the research plan, and the methodology used.

Boot: It includes three sections: the first section: the definition of the curriculum, and its importance in controlling the sciences. The second topic: definition of the Imam, "Makki ibn Abi Talib al-Qaisi," the statement explained by value, and its impact on after him. The third topic: the definition of the weighting and selection, and the difference between them, and the importance of the weighting in the science of interpretation. Chapter One: the weighting formulas and methods when Mackie. And the two topics: The first topic: the weighting formulas. The second topic: the weighting methods.

Chapter II: Faces shootout at Mackie. And one of the ten Mbgesa:

The first topic: the weighting of Quranic isotopes, and the Mtalban.

The second topic: weighting the apparent meaning of the Koran, and the Mtalban.

The third topic: the weighting Quranic context, and it Mtalban.

Section IV: weighting the Sunnah, and the Mtalban.

Section V: shootout statements companions, God bless them, and it Mtalban.

Section VI: the weighting of the reasons to get off, and it Mtalban.

Section VII: shootout statements followers, and it Mtalban.

Section VIII: shootout language of the Arabs, and the Mtalban.

Section IX: shootout saying the public, and it Mtalban.

Section X: shootout opinion and diligence, and the Mtalban.

Section ten atheist: What is favored to mention the evidence.

Conclusion: The presentation of the most prominent findings, and technical indexes

(verses, conversations, flags, keywords, and places, tribes, teams, and poems, references, and themes).

And blessings and peace be upon our master and our Prophet Muhammad and his family and his followers.

Student: fakhir bin Prican Qurashi Supervisor: d. Abdul Rahim Bin Yahya Al-Ghamdi

مُقَدِّمَة

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزّة والبقاء، والرفعة والعلاء، والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدّس عن الأمثال والنظراء، والصّلاة والسّلام على نبيّه وحبيبه وصفيّه محمد خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، عدد ذرّات الثرى ونجوم السماء.

أما بعد: فإنّ الله جلّ ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً للمخالفين، أكمل به بنيان النبوة، وختم به ديوان الرسالة، وأتمّ به مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وأنزل عليه بفضله نوراً هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، حكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسران لمن أعرض عنه بعد ما سمعه، وأعجز الخليقة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر، وبشّر وأنذر، وذكَر المواعظ ليُتذكّر، وقصّ عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُتدبّر، ودلّ على آيات التوحيد ليُتفكّر، ولا حصول لهذه المقاصد إلا بدراية تفسيره وأعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخه ومنسوخه، ومعرفة خاصّه وعامّه، ثم هو كلام معجز، وبحر عميق، لا نهاية لأسرار علومه، ولا إدراك لحقائق معانيه، وقد ألّف أئمّة السلف في أنواع علومه كتباً، كلّ على قدر فهمه ومبلغ علمه، فشكر الله

تعالى سعيهم ورحم كافَّتَهم[١].

« وإن أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق، وأرفعها قدرا بالاتفاق هو علم التفسير لكلام القوي القدير إذا كان على الوجه المعتبر في الورود، والصدر غير مشوب بشيء من التفسير بالرأي الذي هو من أعظم الخطر، وهذه الأشرفية لهذا العلم غنية عن البرهان، قريبة إلى الأفهام والأذهان»[٢].

ولما كان علم التفسير من أفضل العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ألف كثير من العلماء في التفسير، مع اختلاف طرائقهم في التصنيف، وإفادة متأخرهم من متقدمهم .

وكان من حفظ الله لكتابه أن قيّض له أصحاب نبيه ﷺ، أبر الناس قلوباً، وأصدقهم ألسناً، وأعمقهم فهماً، وأوعاهم حفظاً، فشاهدوا التنزيل، وفقهوا التأويل، وكان من أكبر همّهم ومنتهى سعيهم أن يفهموا خطاب الله لعباده، ويعرفوا مراده من كتابه، فحازوا بذلك أفضل العلوم، واكتسبوا خلاصة الفهوم.

ثم جاء مِنْ بعدهم جيلٌ راشد، يقوده أئمة أعلام وعدول أثبات، كفَوْا من بعدهم مؤنة جمع العلم وتبويبه، وفقهه ودرايته، حتى اجتمع للمتأخرين منه قدر كبير من الروايات والآثار في كل باب من أبواب العلم، وجملة أكبر من الشروح

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي "بتصرف" (١/٣٣) .

(٢) فتح القدير، للشوكاني (١/١٨) .

والتعليقات بحسب ما وفقهم الله إليه من الفهم والاستنباط، وآلت مهمة الباحثين المعاصرين إلى النظر والتأمل في ذلك التراث العظيم، والتدقيق والترجيح، والتفنن في العرض والتأليف؛ لجمع الشوارد وتقريب البعيد، ولمّ الأشباه والنظائر، والمقارنة والموازنة؛ بغية الوصول لأصوب النتائج وأسعدها بالدليل.

وكان من هؤلاء العلماء عالم من علماء الأندلس، هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي (ت٤٣٧هـ) رحمه الله تعالى، المصنِّفُ في التفسير كتابه الموسوم بـ : "الهداية إلى بلوغ النهاية" . فقد كان إماماً في التفسير وعلوم القرآن واللغة العربية، راسخاً فيها، جيد العقل والدين، حسن الفهم والخُلُق، مكثراً التأليف.

فنظرت في تفسيره فإذا هو قد حوى في تفسيره علوماً متنوعة، ناقلاً فيما اختلف فيه أقوال من سبقه، يرجح بينها تارة، ويتركها بلا ترجيح تارة أخرى، فذهبت أتأمل اختياراته وترجيحاته، فلاحظت أن أغلبها مبنيٌ على أصول وقواعد ترجيحية تستحق العناية بجمعها، ومن ثم دراستها ، فقمت بجمع ما أستطيع منها ليتسنى لي دراسة منهجه في الترجيح بين أقوال المفسرين، لتكون ميدان بحثي لمرحلة (الماجستير)، فعنونت لذلك بـ : «منهج مكي بن أبي طالب في الترجيحات » من خلال تفسيره "الهداية إلى بلوغ النهاية". سائلاً الله الإعانة والتوفيق، والهداية والتسديد.

أهمية الموضوع :

يكتسب الموضوع أهميته من خلال قيمته التفسيرية؛ المتمثلة في التعرف على المنهجية الصحيحة في الجمع بين أقوال المفسرين، أو الترجيح بينها عند اختلافهم في تفسير آية، وبيان نوع الخلاف فيها، وإعمال القواعد المتبعة في ذلك، وتطبيقاتها من خلال تفسير إمام جليل القدر ، متقدم في زمانه، تأثر من جاء بعده بكلامه واختياره، وسيأتي تفصيل بعضها في أسباب اختيار الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع :

كان هناك عدة دوافع وأسباب وراء اختياري لهذا الموضوع ، من ذلك :

١- قيمة هذا الموضوع التفسيرية، كما سبق بيانه في الأهمية.

٢- تأصيله العلمي الذي يفيد الطالب؛ إذْ هو متعلق بمعرفة منهجية الترجيح بين الأقوال في تفسير آي القرآن، ولا شك أن اختيار ما رجُح وجهُهُ مما يُتنافس فيه، فهو مظنة التحقيق.

٣- أن التفسير علم كثر الخلاف فيه، فهو بحاجة إلى التحقيق والترجيح.

٤- إعطاء الدارس لهذا الموضوع ملكة على سبر أقوال المفسرين، وفهم وجوهها، ومناقشتها، والترجيح بينها.

٥- أنّ قواعد الترجيح في التفسير قد أُصّلَ لها، وتأتي هذه الدراسة تطبيقاً لتلك القواعد في بيان أثرها في الدلالة على أرجح الأقوال.

٦- أن تفسير مكي بن أبي طالب - الهداية – من أجل التفاسير، وأعلاها شأناً، بذل فيه مؤلفه كل جهده من أجل خدمة كتاب الله . فقد قال في مقدمته :

«هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه، واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له»[(١)] .

٧- تعدد مصادرهذا التفسير وأصالتها في بابها، فقد قال مؤلفه في مقدمته : «جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله، وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء)، المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن. اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنون علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري، وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلّام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر، مؤلَّفة من علوم القرآن مشهورة مروية »[(٢)].

٨- المكانة العلمية الرفيعة التي تسنّمها الإمام مكي بين علماء عصره، وكانت له الدرجة الرفيعة في التفسير والقراءات، حتى عرف بصاحب التفسير: "وغلب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه"، ويصفه الحميدي بالإمامة في

(١) الهداية، لمكي (١/٧٢) .

(٢) الهداية، لمكي (١/٧٤، ٧٥).

القراءات، ووسمه ابن جزي الكلبي في مقدمة تفسيره بالمقرئ، ويقول القاضي عياض: "كان مع رسوخه في علم القراءات وتفننه فيه نحويا لغوياً فقيها راوية... ومقرئا أديبا"، وعدّه مع القاضي عياضٍ اليافعيُّ والسيوطيُّ من رجال اللغة والنحو، ووصفه ابن الأنباري بالشهرة في النحو، وهو عند الحموي والسيوطي نحوي لغوي مقرئ، ويراه الذهبي شيخ الأندلس ومقرئها وخطيبها، ممن رحل إلى مصر، وروى القراءات ودخل بها إلى الأندلس .

مشكلة البحث :

تتركز مشكلة الموضوع في قلة الأمثلة التطبيقية لطرق التفسير كرسائل مفردة، وتكرار آيات وأحاديث وأقوال محددة كأمثلة لها، بالإضافة إلى عدم اهتداء بعض الباحثين لمعرفة أساليب الترجيح عند المفسرين، وربما الخلط بين عبارات الترجيح، ومدى إفادتها للجزم أو التردد في اختيار القول، وأيضاً الاعتقاد بأنه لابد من الترجيح عند كل آية وُجد فيها خلاف.

كما وقع الخلط والاشتباه عند بعض الباحثين بين مصطلحي التفسير بالسنة والتفسير النبوي، مما أوقع التردد في الحكم عليهما بالقطعية في إفادة التفسير.

وسأحاول بإذن الله في هذه الرسالة أن أكشف عن وجه الصواب فيما تقدم من المسائل، مدعما ذلك بالأمثلة التطبيقية من كلام المفسرين عموماً، ومكي خصوصاً - الذي هو محور البحث- والله أعلم.

الدراسات السابقة :

لم أجد من تطرّق إلى ترجيحات مكي بن أبي طالب في تفسيره - حسب

علمي – ، وإنما وجدت بعض الرسائل التي عملت حول بعض كتب الإمام مكي، وهي ما يلي :

(١) "اختيارات مكي بن أبي طالب في كتابه : الكشف عن أوجه القراءات السبع". دراسة موازنة (ماجستير). إعداد: محمد بن ناصر يحيى جده، إشراف: عبد العزيز بن ناصر السبر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) "قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي" (ماجستير). إعداد: يحيى جلال، إشراف: أحمد شكري، الجامعة الأردنية .

(٣) " مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن". للدكتور أحمد حسن فرحات . رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

(٤) "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه". تأليف : مكي بن أبي طالب حموش القيسي الأندلسي (ت ٤٣٧هـ). دراسة وتحقيق : د. أحمد حسن فرحات .

(٥) "البحث الصوتي عند مكي بن أبي طالب" (ماجستير). إعداد : محمد يحيى سالم الجبوري . الجامعة المستنصرية .

(٦) "الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) دراسة وتحقيق : مجموعة باحثين . إشراف : الشاهد محمد البوشيخي . كلية الآداب : المحمدية .

(٧) "دراسة نحوية لكتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب" (ماجستير). إعداد : يحيى بشير مصري، إشراف : محمد عبد الخالق عضيمة . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٨) "توجيه مكي للقراءات القرآنية من وجهة نظر نحوية في ضوء علم اللغة الحديث" (ماجستير). إعداد : منصور عبد الكريم الكفاوين، إشراف : أحمد نصيف الجنابي . جامعة مؤتة : الأردن .

(٩) "تفسير مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (٤٣٧هـ) تحقيق ودراسة" (دكتوراه). إعداد : مجموعة محققين، إشراف : أحمد نصيف الجنابي . جامعة القاهرة .

(١٠) "الدرس النحوي في كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي: تحقيق ودراسة" (ماجستير). إعداد : هدى عبد الفتاح العرس، إشراف : طاهر سلمان حمودة. جامعة طنطا : مصر .

(١١) "مكي بن أبي طالب القيسي ومنهجه في توجيه القراءات القرآنية" . إعداد : سعد ربيع، إشراف : الشاهد محمد البوشيخي . كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء .

ولا شك أن موضوع هذه الرسالة يقصد إبراز منهج مكي في ترجيحه بين أقوال المفسرين من خلال تفسيره " الهداية "، وهو مما لم يُتطرّق إليه.

أهداف البحث :

إن من أهم معالم البحث الناجح هو البحث الذي نُصّ على أهدافه المراد تحقيقها، ونتائجه المقصود إبرازها وتوضيحها؛ ذلكم أن القارئ المطالع لبحثٍ ما أول ما يبحث عنه - حتى يختبر جدية البحث، ووضوحه في ذهن الباحث - هو العنوان، والأهداف، ومشكلات البحث، والتي سيحاول الباحث من خلال بحثه معالجتها، وإبداء الحلول لها.

ويتضمن هذا البحث مجموعة من الأهداف، أوجزها في النقاط الآتية:

١- إبراز المنهجية التي استعملها الإمام مكي في الترجيح بين أقوال المفسرين.

٢- الكشف عن العبارات التي استعملها مكي في ترجيحاته واختياراته، والأسلوب المستخدم في ذلك.

٣- التعرف على جملة من الآيات والأحاديث التي يصح أن تكون أمثلة ومادة تطبيقية في طرق التفسير.

٤- إيضاح مدى إفادة كل طريق من الطرق المتبعة في الترجيح بين الأقوال القوة والحجية من عدمها.

وغيرها من الأهداف التي تندرج تحت النقاط السابقة.

حدود البحث :

سيكون هذا البحث - بعون الله - منصباً على منهج الإمام مكي في الترجيحات بين أقوال المفسرين في التفسير دون غيره من العلوم، من خلال تفسيره "الهداية إلى بلوغ النهاية".

خطة البحث :

يتكون البحث من : مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، وفق الترتيب التالي:

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهجية المتبعة فيها.

التمهيد : ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف المنهج، وأهميته في ضبط العلوم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية المنهج في ضبط العلوم.

المبحث الثاني : التعريف بالإمام "مكي بن أبي طالب القيسي"، وبيان قيمة تفسيره، وأثره على مَنْ بعده.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام مكي، من خلال النقاط الآتية:

أولاً : اسمه، ونسبه، وكنيته.

ثانياً : مولده، وأسرته، ونشأته.

ثالثاً : رحلاته.

رابعاً: صفاته وأخلاقه.

خامساً: عقيدته وفقهه .

سادساً: مكانته العلمية.

سابعاً: شيوخه.

ثامناً: تلامذته.

تاسعاً: آثاره ومؤلفاته.

عاشراً: وفاته.

المطلب الثاني: بيان قيمة تفسيره، وأثره على مَنْ بعده.

المبحث الثالث: تعريف الترجيح والاختيار، والفرق بينهما، وأهمية الترجيح في علم التفسير.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الترجيح والاختيار لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الفرق بين الترجيح والاختيار.

المطلب الثالث: أهمية الترجيح في علم التفسير.

الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند مكي .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صيغ الترجيح.

المبحث الثاني : أساليب الترجيح .

الفصل الثاني: وجوه الترجيح عند مكي .

وفيه أحد عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية هذا النوع من طرق التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي بهذا الطريق والترجيح به

المبحث الثاني : الترجيح بظاهر القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية القول بالظاهر في القرآن

المطلب الثاني: عناية مكي بالقول بظاهر القرآن والترجيح به

المبحث الثالث : الترجيح بالسياق القرآني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اعتبار السياق القرآني في الترجيح وأثره في التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي بالسياق القرآني والترجيح به

المبحث الرابع : الترجيح بالسنة النبوية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية هذا النوع من طرق التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي بالسنة والترجيح به

المبحث الخامس : الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية هذا النوع من طرق التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي بالترجيح بأقوال الصحابة

المبحث السادس : الترجيح بأسباب النزول، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية أسباب النزول وأثرها في التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي بالترجيح بأسباب النزول

المبحث السابع : الترجيح بأقوال التابعين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية هذا النوع من طرق التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي بالترجيح بأقوال التابعين

المبحث الثامن : الترجيح بلغة العرب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حجية هذا النوع من طرق التفسير

المطلب الثاني: عناية مكي باللغة والترجيح بها

المبحث التاسع : الترجيح بقول الجمهور، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منزلة قول الجمهور وقوته في الترجيح، وهل قولهم حجة أم لا ؟

المطلب الثاني: عناية مكي بالترجيح بقول جمهور المفسرين

المبحث العاشر : الترجيح بالرأي والاجتهاد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النظر والقول بالرأي في معاني القرآن، ما يجوز منه وما لا يجوز، والضابط في ذلك

المطلب الثاني: ترجيح مكي بالرأي والاجتهاد

المبحث الحادي عشر : ما رجحه من غير أن يذكر دليلاً.

الخاتمة : وفيها عرض لأبرز النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس : ويشتمل على /

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصطلحات والحدود والغريب.

٥- فهرس الأماكن والوقائع.

٦- فهرس القبائل والفرق والمذاهب.

٧- فهرس الأشعار.

٨- فهرس المراجع والمصادر .

٩- فهرس الموضوعات .

منهج البحث:

وأما منهج الدراسة الذي تم السير عليه فبيانه في النقاط التالية :

١- استعرضت تفسير الإمام مكي كاملاً، وقمت من خلاله باستخراج صيغ وأساليب الترجيح عنده، ثم قمت بدراستها واستنباط المنهجية المتبعة فيها، وقمت بتصنيفها إلى وجوه مختلفة.

٢- قسمت البحث إلى تمهيد وفصلين وخاتمة ، يشتمل التمهيد على الحديث عن مكونات عنوان البحث التالية: (المنهج، ومكي، والترجيح). والفصل الأول والثاني يتناول المنهجية التي سار عليها الإمام مكي في تفسيره عموماً، وفي ترجيحه بين أقوال المفسرين على وجه الخصوص.

٣- عند ذكر صيغ الترجيح، فإني ذكرت نماذج لها، وأشير في الحاشية إلى مواضع أخرى لمن أراد الاستزادة.

٤- عند ذكر أساليب الترجيح، فإني ذكرت مثالين في المتن على كل أسلوب، مشيراً إلى أمثلة أخرى في الحاشية.

٥- وقفت عند كل آية فيها ترجيح، ودوّنْت ما يتعلق بها، وصنّفْتها حسب وجوه الترجيح المعتبرة عند المفسرين، وذكرت لكل وجه مثالين، وأشرت في الحاشية إلى بقيتها.

٦- التزمت بكتابة الآيات بالرسم العثماني لمصحف المدينة النبوية برواية حفص عن عاصم، مع عزوها إلى سورها.

٧- التزمت بإيراد نص مكي في معنى الآية ، لإفادة أمرين :

- إبراز الصيغ التي استعملها في الترجيح .

- الاطلاع على كلام مكي دون الحاجة إلى الرجوع إلى كتابه .

٨- وثقت القراءات القرآنية من كتب القراءات المتواترة والشاذة.

٩- خرجت الأحاديث النبوية والآثار من كتب الحديث ودواوين السنة، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به، وربما زدت عليهما لفائدة، وإن كان في غيرهما فأذكر من حكم عليه بصحة أو ضعف من المتقدمين أو المتأخرين، وإذا لم أجد حُكْماً لمتقدم ولا متأخر فإني أجتهد في الوصول إلى حكم عليه من خلال النظر في حال رواته، واتصاله وانقطاعه.

١٠- شرحت الغريب، وضبطت ما قد يشكل، وعرّفْت بالأماكن والبلدان، والفرق والأديان، كل ذلك من المصادر المعتبرة في كل فن .

١١- ترجمت لجميع الأعلام - عدا الأنبياء - ترجمة موجزة، وأحيل على مصدرين أو أكثر لمن أراد الاطلاع.

الرموز المستخدمة في البحث :

تم الاختصار لبعض الكلمات في البحث برموز تؤدي الغرض؛ لكثرتها، وعدم الإثقال بتكرارها، ومن ذلك:

- ك : تعني "كتاب".
- ب : تعني "باب".

وذلك في التخريج للأحاديث والآثار في الحاشية.

- ط : تعني "الطبعة".

وذلك في فهرس المصادر والمراجع.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

شكر وتقدير

وبعد : فإني أحمد الله تعالى على تيسيره وتوفيقه، وأشكره على فضله وإنعامه، بما منَّ عليَّ من إنجاز هذا العمل وإتمامه، وأسأله سبحانه التوفيق والصواب، وأن يرزقني البِرَّ والإخلاص، إنه أكرم مسؤول، وأجودُ من أعطى، عليه توكلت وهو ربُّ العرش الكريم .

كما أسأله جلَّ في عُلاه أن يحفظ لي والِدَيَّ الكريمين، اللذَيْنِ ربياني صغيراً، وأكرماني كبيراً، وأحسنا إليَّ إحساناً كثيراً، فلهما الفضل بعد الله فيما وصلت إليه، وذلك بحسن توجيههما، وصادق دعائهما لي بالنجاح والفلاح، فالدعاء الخالص إلى الله سراً وجهراً أن يُمدَّهما بالصحة والعافية، وأن يجزيهما عنِّي خير الجزاء وأوفاه، وأوفره وأحسنه.

ولا أنسى شكر مَن أَكْرَمَني الله بصحبتها، زوجتي الوفية وأم أولادي، فقد بذلت وقتها وجهدها في سبيل توفير وقتي، وأَزَاحَتْ عني ما يشغلني من تربية الأولاد والقيام على مصالحهم، وصبرت وما تضجرت مدة انشغالي عنهم، فاللهم اجعل ذلك في ميزان حسناتها.

وإنَّ من دواعي سروري وغبطتي ؛ إنعام الله عليَّ بمشرف ناصح، وعالم جليل، وناقد بصير، ألا وهو شيخي فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحيم بن يحيى الغامدي – حفظه الله ورعاه – الذي ما فتئ يتعهدني بالنصح والتوجيه، والاهتمام والسؤال، والرعاية والعناية، رغم ضيق وقته، وكثرة أشغاله.

فله الشكر والثناء، والتقدير والوفاء، وجزاه الله عنِّي خير الجزاء، وزاده رفعة ومكانة في الدنيا والآخرة، وجمعه وأقاربه وأحبابه في جنات النعيم.

كما أتقدم بالشكر لجامعتي جامعة أم القرى التي تربيت في أحضانها، وترقيت في مدارجها، وتلقيت العلم على أجلة مشايخها، وخيرة أساتذتها، وشكري وامتناني معطوف في ضمن ذلك على قسم الكتاب والسنة، بمعلميها ومربيها، حيث تفضلوا عليَّ بقبول الدراسة إلى رعاية المناقشة، فلهم الشكر الوافر، والعرفان الجميل على ما يبذلونه في تذليل العقبات، وتسهيل الصعاب في طريق طلب العلم.

وختاماً: فالشكر موصول إلى كُلِّ مَن أَسْدَى إِلَيَّ مَعروفاً، بتحصيل فائدة، أو تقريب شاردة، أو أعانني برأي أو نصح أو إرشاد، أو خصَّني بدعوة في ظهر الغيب، فاللهم أعظم لهم الأجر، وأحسن لهم الثواب، وأكرِمْهُم، وأحسِن إليهم.

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف المنهج وأهميته وأثره في ضبط العلوم.

المبحث الثاني : التعريف بالإمام مكي بن أبي طالب، وبيان قيمة تفسيره ، وأثره على المفسرين من بعده.

المبحث الثالث : تعريف الترجيح ، والفرق بينه وبين الاختيار، وأهميته في علم التفسير.

المبحث الأول
تعريف المنهج وأهميته وأثره في ضبط العلوم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : تعريف المنهج لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : أهمية المنهج وأثره في ضبط العلوم

المطلب الأول

﴿ تعريف المنهج لغة واصطلاحا ﴾

أولاً – معنى المنهج في اللغة(١):

المنهج من مادة نهَج، ينهج نهجاً، والنّهْج في الأصل يدل على الوضوح.

يقال: طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ. وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ، وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً. قَالَ يزيدُ بنُ الخَذَّاقِ الْعَبْدِيُّ(٢):

وَلَقَدْ أَضاءَ لَكَ الطريقُ، وأَنْهَجَتْ ... سُبُلُ المَكارِمِ، والهُدَى تُعْدِي(٣)

والمنهج هو: الطريق البيّن الواضح. ويطلق على الطريق المستقيم. والمنهج والمنهاج بمعنى واحد.

وفي حديث العباس ﵁(٤): "إن رسول الله ﷺ لم يمت حتى ترككم على محجة

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/٣٨٣)؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ٢٠٨)، مادة (نهج).

(٢) هو يزيد بن الخَذَّاق – بالخاء والذال المعجمتين – الشَّنِّي العبدي، من بني شن بن أفصى بن عبد القيس، وهو شاعر جاهلي قديم. كان معاصراً لعمرو بن هند. قال أبو عمرو بن العلاء: أول شعر قيل في ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق:

هل للفتى من بنات الدهر من واقي   أم هل له من حِمام الموت من راقي

ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص ٣٨٦)، والمفضليات، للمفضل الضبي (ص ٢٩٥).

(٣) المفضليات، للمفضل الضبي (٢٩٦)، وهو من بحر الكامل. ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، لإميل يعقوب (٢/٤٠٨).

(٤) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الفضل، عم النبي ﷺ، من أكابر قريش في الجاهلية والاسلام، وجدّ الخلفاء العباسيين. ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين، صحابي مشهور. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٥٥٦)؛

=

بينة، وطريق ناهجة "[١] أي: واضحة بينة.

قال ابن فارس رحمه الله[٢]: " النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

١- الأول النهج، الطريق. ونَهَجَ لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المِنْهاج. والمنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج.

٢- والآخر الانقطاع. وأتانا فلانٌ يَنْهَج[٣]، إذا أتى مبهورا منقطِع النفس. وضربت فلاناً حتى أُنْهِج، أي سقط "[٤].

والمراد هٰهنا هو المعنى الأول.

وفي القرآن قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]:

=

وأسد الغابة، لابن الأثير (٣/١٦٣)؛ والإصابة، لابن حجر (٥/٥٧٧).

(١) أورده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٣/٣١٢)، وقال: "رواه إسحاق، ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع، ورواه الطبراني من طريق ابن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن العباس، فهو متصل صحيح الإسناد".

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، ولد سنة ٣٢٩هـ . وأصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. وهو من أئمة اللغة والأدب، كان نحويا على طريقة الكوفيين. وكان شافعيا، فتحول إلى المذهب المالكي. توفي سنة ٣٩٥هـ. من أشهر تصانيفه: (مقاييس اللغة)، و(المجمل)، و(الصاحبي) في علم العربية. ينظر: نزهة الألباء، لابن الأنباري (٢٣٥)؛ وبغية الوعاة، للسيوطي (١/٣٥٢).

(٣) ماضيه نهِج بكسر الهاء. ذكره محققه عبد السلام هارون رحمه الله.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٣٦١)، مادة (نهج).

قال ابن عباس رضي الله عنهما[١]: "سبيلاً وسنة"، وهو مروي عن مجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، والحسن البصري[٤]، وغيرهم.

وروي عن ابن عباس: "سنة وسبيلا"، ورجح ابن كثير رحمه الله[٥] التفسير

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، ابن عمّ رسول الله ﷺ، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين. ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر؛ لسعة علمه. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة ٦٨هـ، وهو ابن سبعين ، صحابي مشهور. ينظر: الاستيعاب (٤٢٣)؛ وأسد الغابة (٢٩١/٣)؛ والإصابة (٥٧٧/٥).

(٢) هو مجاهد بن جبر (بفتح الجيم وسكون الموحدة) أبو الحجاج المخزومي، مولاهم المكي، ولد سنة ٢١هـ، ثقة إمام في التفسير وفي العلم. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات. مات سنة أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون، تابعي مشهور. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤٤٩/٤)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (٣٠٥/٢).

(٣) هو عكرمة بن عبد الله، أبو عبد الله البربريّ ثم المدني، الهاشميّ مولاهم، الحبر العالم، مولى ابن عباس. ولد سنة ٢٥هـ، ثقة ثبت، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، وكانت وفاته بالمدينة سنة أربع وقيل خمس ومائة، تابعي مشهور. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٥)؛ وطبقات المفسرين (٣٨٦/١).

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، ولد بالمدينة في زمن عمر سنة ٢١هـ، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء، مات سنة عشر ومائة، تابعي مشهور. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)؛ وطبقات المفسرين (١٥٠/١).

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصريّ ثم الدمشقي، الشافعي، عماد الدين أبو الفداء. ولد في قرية من أعمال بصرى سنة ٧٠١هـ. وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ. من أشهر تصانيفه: (البداية والنهاية) في التاريخ، و (تفسير القرآن العظيم). ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (٣٧٣/١)؛ وطبقات المفسرين (١١١/١).

الأول؛ لظهوره في المعنى ومناسبته[١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٢]: "والمنهاج: السبيل، أي الطريق الواضح "[٣].

كما ورد ذكر " المنهاج " في السنة النبوية، وذلك في قوله ﷺ: " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضّاً[٤]، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت "[٥].

ومعنى كلمة "منهاج" الواردة في الحديث: أي على طريقة وهدي النبوة في

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/١٢٩).

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، الشافعي، أبو الفضل، شهاب الدين، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. من أشهر تصانيفه: (فتح الباري)، و (الدرر الكامنة)، و (التلخيص الحبير) وغيرها. ينظر: الجواهر والدرر، للسخاوي؛ والضوء اللامع، له (٢/٣٦).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١/٦٤).

(٤) المُلْك العَضُوض: أي يُصِيبُ الرَّعيَّة فيه عسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضًّا. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٢٥٣)، مادة (عضض).

(٥) رواه أحمد في ترجمة (حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ) ٣٠/٣٥٥، برقم (١٨٤٠٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٨٩: " رواه أحمد في ترجمة النعمان، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط، ورجاله ثقات ".

العقيدة والأحكام والأخلاق.

فكلمة "المنهج" عامة، تكتسب معناها بحسب ما أضيفت إليه، وقد تطلق على الخير، وقد تطلق على الشر، فتقول: منهج الحق، ومنهج الباطل.

ثانياً - معنى المنهج في الاصطلاح:

المنهج هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة(١).

وعرفه الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان بأنه: "استعمال المعلومات استعمالاً صحيحاً، في أسلوب علمي سليم، يتمثل في أسلوب العرض، والمناقشة الهادئة، والتزام الموضوعية التامة، وتأييد القضايا المعروضة بالأمثلة والشواهد المقنعة، دون إجحاف أو تحيز"(٢).

وبعبارة أوجز: هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال(٣).

أو: الطريق المتبع لدراسة موضوع معين؛ لتحقيق هدف معين"(٤).

---

(١) ينظر: العلم والبحث العلمي، لحسين عبد الحميد رشوان (ص ١٤٣ - ١٤٥).

(٢) منهج البحث الأصولي (بحث منشور في مجلة مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى، العدد السادس)، (ص ١٢). وينظر للمؤلف أيضاً: كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية (ص ١٤٧).

(٣) ينظر: منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال محمد موسى (ص ٢٧٣).

(٤) البحث العلمي، لعبد العزيز الربيعة (ص ١٧٤).

ومن ثَمّ تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها؛ فلكل علم منهج يناسبه، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون – وهو الغالب – مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد.

وعليه يمكن القول: بأن علم المناهج علم بعْديٌّ، بمعنى أنه يقف من وراء العلوم؛ كي يحلل طرائقها، ويوضح معالمها، ويحدد مسالكها.

فالاشتغال بالقضايا العملية والمسائل التفصيلية في العلوم غير الاشتغال بمسالك تلك القضايا والمسائل، وكيفية ورودها على هذه الحال، أو تلك الحال، ومعرفة مصادرها، وأدلتها، وهو ما يسمى عند المحْدثين من العلماء بـ "فلسفة العلوم"(١).

(١) ينظر: منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى (ص ٣١).

(المطلب الثاني)

أهمية المنهج وأثره في ضبط العلوم

نشأت الحاجة - في أوروبا - إلى تأصيل العلوم وتحديد مناهجها بعد الاضطراب الشديد الذي صاحب الفكر الأوربي منذ أمد بعيد، وحتى القرن السادس عشر الميلادي "عصر النهضة"(١)، حيث ساد المنطق اليوناني في تلك الفترة، وكان منهجاً - في التفكير - عقيماً، لا يأتي بجديد، مما كان له أكبر الأثر في تعطيل العلوم والمعارف قروناً متطاولة.

حتى اهتدى الأوربيون إلى المنهج الاستقرائي التجريبي في العلوم؛ وذلك بفضل اطلاعهم على تراث المسلمين العلمي، واحتكاكهم به، واستفادتهم منه بصورة مباشرة، مما ساعد على تقدم العلوم وازدهارها عندهم(٢).

إن مشكلة البحث هي مشكلة العلم في صميمه؛ ذلك أن شرط قيام العلم وتقدمه، أن تكون هناك طريقة صحيحة تطوى تحتها شتات الوقائع، والمفردات المبعثرة هنا وهناك؛ بغية تفسير ما قد يوجد بينها من روابط وعلاقات، تنظمها قوانين

---

(١) سمي بذلك؛ لأن المبادئ الأساسية للتربية وجدت في هذا القرن، وقد اشتملت على أبحاث نظرية، وتربية عملية، إلا أن الطابع التربوي ظل طابعا فكريا في الغالب، وقد تأثرت التربية في هذا العصر باختراع الطباعة الذي كان قد تم في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث أدت بدورها إلى تنشيط حركتي الترجمة والتأليف.

(٢) ينظر: العلم والبحث العلمي، لحسين رشوان (ص ١٤٣- ١٤٥)؛ ومنهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى (ص ٢٧٣)؛ وأثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، لأحمد علي الملا (ص ١٥٥) وما بعدها.

محددة.

وإن تأخر العلوم ناشئ - في العادة - عن تأخر المناهج، بمعنى أن لا تكون هناك مناهج محددة واضحة، ومتفق عليها، فيسير كل عالم - في فنه - على غير هدى وبصيرة، يخبط خبط عشواء، دون أن يصل إلى نتيجة مفيدة، فتتعارض القضايا، وتضطرب المسائل.

فتقدم العلم وتأخره مرتهن بمسألة المنهج، يدور معها وجوداً وعدماً(١)، ولذا يمكن أن يقال: إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما إنه يضبط العقل البشري، والأعمال الذهنية بقواعد ثابتة، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات.

وعليه: فإن أهمية المنهجية الصحيحة في البحث العلمي تتلخص في كونها كشفاً لثمرة جهود العلماء والأدباء السابقين؛ لأخذ نتائجها، وإضافة الجديد عليها، وفي أنها طريق لتحقيق المنجزات في ميدان العلوم التطبيقية.

كما أن الالتزام بالمنهج في بحث معين مما يزيد البحث احتراماً لدى المتخصصين، ويزيده قوة في ذاته، كما يزيده جمالاً عند المهتمين بتطبيق المناهج في البحث العلمي.

بل إن جودة البحث أصبحت تقاس بمدى التزام الباحث بالمنهج الذي رسمه لبحثه، ولا تقاس بمدى هضمه للموضوع، وما توصل إليه من نتائج، وما كشفه من

---

(١) ينظر: منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى (ص ٣٧١).

جديد[١].

❍ ولبيان أثر المنهج في تقدم العلم والمحافظة عليه، يمكن أن نضرب لذلك أمثلة:

* ففي مجال العربية تجلت أهمية المنهج؛ وذلك حينما خالط المسلمين غيرُهم من أمم الأعاجم، فبدأ اللحن يزحف إلى اللسان العربي، الذي هو وسيلة فهم الكتاب والسنة، فانتدب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢] أبا الأسود الدؤلي[٣]، ليقعّد للناس ما يحفظون به لسانهم من الفساد.

قال ابن خلدون[٤]: "وخشي أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً،

---

(١) البحث العلمي، لعبد العزيز الربيعة (ص ١٧٤).

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة، من السابقين الأولين، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وربي في حجر النبي ﷺ، ولم يفارقه. ورجح جمع أنه أول من أسلم، وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون على الأرجح، صحابي مشهور. ينظر: الاستيعاب (٥٢٢)؛ وأسد الغابة (٤/٨٧)؛ والإصابة (٧/٢٧٥).

(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، أبو الأسود الدؤلي البصري، ولد في أيام النبوة. وهو واضع علم النحو، وأول من نقط المصحف، وله شعر جيد، في ديوان صغير، أشهره: أبيات يقول فيها: (لا تنه عن خلق وتأتي مثله). مات بالبصرة سنة تسع وستين للهجرة بطاعون الجارف، تابعي مشهور. ينظر: نزهة الألباء (١٨)؛ بغية الوعاة (٢/٢٢).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ولد سنة ٧٣٢هـ، ومولده ومنشؤه بتونس. رحل إلى مصر، وولي فيها قضاء المالكية، وتوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨هـ. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في

=

ويطول العهد، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانينَ لتلك الملَكَةِ، مطردةً، شبهَ الكلِّياتِ والقواعد؛ يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويُلْحِقون الأشباه بالأشباه، مثل: أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع"[١].

وقال أيضاً: "وحين كان الكلام ملكة لأهله، لم تكن هذه (أي النحو والصرف) علوماً ولا قوانين، ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها؛ لأنها جِبِلَّتُه وملكته. فلما فسدت الملكة في لسان العرب، قيدها الجهابذة المتجردون لذلك، بنقل صحيح، ومقاييس مستنبطة صحيحة، وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى"[٢].

فنشأت علوم العربية: محافظة على سلامة اللسان، وصيانة له من اللحن، فكانت علوم النحو والصرف، وما يسمى بفقه اللغة، الذي هو عبارة عن علم يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها[٣].

❋ وأما علم أصول الفقه: فلما ضعفت - في الناس – العربية، وكثرت الوقائع والأحداث، واحتاج العلماء إلى معرفة أحكامها الشرعية، وقد تعددت طرائق الاجتهاد والاستنباط، وادّعى الاجتهاد والفقه في الدين مَنْ ليس مِن أهله، احتاج

=

تاريخ العرب والعجم والبربر) ، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع. ينظر: الضوء اللامع، للسخاوي (١٤٥/٤)؛ والأعلام، للزركلي (٣٣٠/٣).

(١) مقدمة ابن خلدون (٢٩٦/٥).

(٢) المصدر السابق (١٧/٣).

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية، لرمضان عبد التواب (ص ٩).

المسلمون إلى تأصيل الفقه وتقعيده، وبيان مصادر الأحكام وأدلتها، ومعرفة حجية الأدلة، ومراتبها في الاستدلال، وشروط هذا الاستدلال، وتحديد مناهج الاستنباط والاجتهاد، بحيث يسير المجتهد على هديها عند تَعَرُّفِه على الأحكام من أدلتها التفصيلية، وهو ما يُعرف بعلم أصول الفقه[١].

قال الفخر الرازي[٢]: " الناس كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون، ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يُرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع "[٣].

وقال ابن خلدون: "احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد، لاستفادة الأحكام من الأدلة، فكتبوها فناً قائماً برأسه سموه: أصول الفقه"[٤].

وفائدة هذا العلم العظيم: أن يتمكن المجتهد من الحصول على قدرة، يستطيع

---

(١) ينظر: أصول الفقه، للشيخ محمد الخضري بك (ص ٤ – ٥).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري سنة ٥٤٤هـ، وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ. من أشهر تصانيفه: (مفاتيح الغيب)، و (أساس التقديس) وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ٨٠)؛ وطبقات المفسرين (٢/ ٢١٥)؛ والأعلام، للزركلي (٦/ ٣١٣).

(٣) مناقب الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ص ٥٧).

(٤) مقدمة ابن خلدون (٣/ ١٨).

بها استخراج الأحكام الشرعية من أدلتها، على أسس علمية صحيحة.

* وأما علم مصطلح الحديث: فلما ظهر الوضع في الحديث، وضعفت الهمم عن الحفظ والرواية، احتاج العلماء إلى تدوين قواعد ومناهج، تعرف بها أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وأحواله، وضبطها، وتحرير ألفاظها، ومعرفة أحوال رواتها، وطبقاتهم، وأصناف مروياتهم، إلى غير ذلك مما يتصل بهذا العلم، مما يساعد على معرفة حال الحديث - سندا ومتنا - من حيث القبول والرد. وبذلك يعرف صحيح الحديث من سقيمه، ومرفوعه من موقوفه، وهذا العلم من أبرز ما يفتخر به المسلمون على غيرهم من الأمم؛ لدقته في أصوله ومسائله[١].

* وأما أصول التفسير: فكذلك قعّد العلماء مناهج لتفسير القرآن الكريم، على نحو ما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٢]، وتابعه في ذلك ابن كثير رحمه الله[٣].

---

(١) ينظر: أصول الحديث علومه ومصطلحه، لمحمد عجاج الخطيب (ص ٧).

(٢) له رسالة: مقدمة في أصول التفسير. طبعت مستقلة بتحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، ولها طبعات أخر. وهي ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٢٩- ٣٧٦) جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران سنة ٦٦١هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. من أشهر تصانيفه: (درء التعارض)، و (منهاج السنة)، و (الصارم المسلول) وغيرها. ينظر: العقود الدُّرِّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبد الهادي؛ والكواكب الدرية، للشيخ مرعي الحنبلي في مناقبه؛ والدرر الكامنة، لابن حجر (١/ ١٤٤).

(٣) ذكرها في مقدمة تفسيره، والذي يظهر أنه استفادها من شيخ الإسلام ابن تيمية. ينظر: تفسير ابن كثير (١/٧).

فقد قال ابن تيمية – وهو يعرّف بأصول التفسير – : " قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل ... "(١).

* وفي مجال العلوم الطبيعية: فقد اعتمد العلماء المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على أسس علمية ثابتة، تتمثل في ثلاث مراحل رئيسة(٢):

١- مرحلة البحث: وتتم عن طريق الملاحظة والتجربة.

٢- مرحلة الفرض: وفيها يفترض الباحث وجود علاقة ما بين الظواهر التي يجري عليها تجاربه.

٣- مرحلة البرهان: وفيها يتحقق الباحث من صدق ما افترضه سابقاً، بحيث يتأكد من أن العلاقة التي لاحظها في مرحلة الفرض علاقة صحيحة، وأنها تنطبق عليها جميع الظواهر المماثلة للأفراد التي يدرسها. وبعدها يستطيع إصدار حكم عام، يشمل ما وقع تحت الملاحظة والتجريب، وما لم يقع؛ لما يوجد بينها من التشابه.

ومن ثم تتقدم العلوم بفضل هذا المنهج الذي يكشف عن القوانين التي تنتظم الظواهر، ومعرفة ما قد يربط بينها من علاقات.

والمقصود – في هذا المبحث – بيان أهمية مكانة المنهج في ضبط العلوم، وتحديد أهدافها، وطرائقها، بحيث لا تضطرب القضايا، وتتعارض المسائل، مما يساعد على تقدم العلوم، وحفظها من الدخيل والشاذ، وصونها عن الضياع والاختلاف، كما

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/٣٢٩).

(٢) ينظر: رؤية معاصرة في علم المناهج، لعلي عبد المعطي محمد (ص ٢٥٥) وما بعدها.

يشترط أن يكون المنهجُ واضحَ المعالم، بيّن القسمات، بحيث يسير الباحث على هدى وبصيرة، يعرف أين يقف، وإلى أين يتجه.

ولا يفوتني هنا - قبل أختم هذا المبحث - أن أبيّن أن المناهج تتنوع بتنوع العلوم التي تبحث فيها، والجهد المبذول من الباحث تجاهها.

وقد قام هذا البحث على المنهج الاستقرائي التام لجميع جزيئاته - وهي استخراج مواطن ترجيحات مكي في تفسيره -، والمنهج الاستنباطي للتعرف على منهجية ترجيحاته فيها.

المبحث الثاني
التعريف بمكي بن أبي طالب
وبيان قيمة تفسيره وأثره على المفسرين من بعده

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: **التعريف بمكي بن أبي طالب**

المطلب الثاني : **قيمة تفسير مكي، وأثره على المفسرين من بعده**

المطلب الأول
التعريف بمكي بن أبي طالب رحمه الله(١)

اسمه ونسبه وكنيته:

هو مكي بن أبي طالب حَمّوش(٢) بن محمد بن مختار القيسي(٣) القيرواني(٤) القرطبي(٥)، وكنيته أبو محمد.

مولده وأسرته ونشأته:

---

(١) ينظر ترجمته في المصادر الآتية (وهي مرتبة بحسب تقدّم وفاة مؤلفيها): جذوة المقتبس، للحميدي ص ٥٦١؛ ترتيب المدارك، للقاضي عياض ٨/ ١٣؛ الصلة، لابن بشكوال ص ٦٣٢؛ بغية الملتمس، لابن عَمِيرة الضبي ص ٤٦٩؛ معجم الأدباء، للحموي ١٩/ ١٦٧؛ إنباه الرواة، للقفطي ٣/ ٣١٣؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان ٥/ ٢٧٤؛ العبر ٢/ ٢٧٣؛ سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩؛ معرفة القراء الكبار ١/ ٣٩٤ (ثلاثتها للذهبي)؛ مرآة الجنان، لليافعي(٣/ ٤٥)؛ الديباج المذهب، لابن فرحون ٢/ ٣٤٢؛ غاية النهاية، لابن الجزري ٢/ ٢٧٠؛ النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي ٥/ ٤١؛ بغية الوعاة، للسيوطي ٢/ ٢٩٨؛ طبقات المفسرين، للداوودي ٢/ ٣٣٧؛ مفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده ٢/ ٧٤ ؛ شذرات الذهب، لابن العماد ٣/ ٢٦٠؛ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف ص ١٠٧.

(٢) تصغير محمد عند المغاربة.

(٣) القيسي نسبة إلى قيس عيلان من وائل، كانت تقيم في اليمن، وانتشروا في بلاد إفريقيا. ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (٣/ ٦٩)؛ وتاج العروس، للزبيدي (١٦/ ٤١٧).

(٤) نسبة إلى القيروان مكان مولده، وهو بلد بإفريقية بينه وبين تونس ثلاثة أيام، لا بالأندلس كما توهمه الشهاب، افتتحه عقبة بن نافع الفهري زمن معاوية سنة خمسين. ينظر: معجم البلدان، للحموي (٤/ ٤٢٠)؛ وتاج العروس، للزبيدي (٣٩/ ٢٩٥).

(٥) نسبة إلى قرطبة حيث عاش شطر عمره فيها، وهي مدينة عظيمة بالأندلس من أعظم بلادها، كان افتتاحها سنة اثنتين وتسعين، في زمن الوليد بن عبد الملك، واستمرت على حالها وقوة أهلها إلى أن استولى عليها النصارى في أثناء المائة العاشرة. ينظر: معجم البلدان، للحموي (٤/ ٣٢٤)؛ وتاج العروس (٤/ ٢٨).

ولد سنة ٣٥٥ ه بالقيروان، ونشأ بها مثل أترابه[١] على تلقي القرآن الكريم في الكُتّاب، واختلف إلى حلقات العلم في المساجد؛ لتلقي علوم العربية والعلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه على علماء عصره، ولا نعرف الكثير عن أسرته وإن كانت ذات مكانة اجتماعية دفعت بولدها لتلقي العلم والرحلة من أجله، ولا نعرف شيئاً عن أبويه ولا عن إخوته، ولا عن أسرته الخاصة إلا ولده محمد الذي ولد سنة ٤١٤ ه، وقد بلغ أبوه ٥٩ سنة، وسار الولد على نهج أبيه فتتلمذ عليه، وهذا يعني أن ظروف حياة مكي الأولى في أسرته كانت تعين على الدرس والتأليف والتعليم.

رحلاته:

تلقى علومه الأولى عن شيوخ وعلماء القيروان، ورحل إلى مصر سنة ٣٦٨ه، وعمره ١٣ سنة، ودرس علوم الحساب والآداب مدة ست سنوات، ثم رجع إلى القيروان سنة ٣٧٤ه، واستكمل علوم القرآن والقراءة، ثم عاد إلى مصر ثانية سنة ٣٧٧ه، وحج إلى بيت الله الحرام، وابتدأ بعلم القراءات سنة ٣٧٨ ه إلى سنة ٣٧٩ه، ثم رجع إلى القيروان وحفظ القرآن، ورحل إلى مصر ثالثة سنة ٣٨٢ه، ثم عاد سنة ٣٨٣ ه، وأقام مقرئاً ومدرسا وعمره ٢٨ سنة، ثم رجع إلى مكة سنة ٣٨٧ه مقيماً إلى سنة ٣٩٠ه، سمع خلالها من أكابر علماء مكة، وحج أربع مرات متوالية، ثم عاد إلى بلده القيروان سنة ٣٩٢ه مروراً بمصر.

---

(١) جمع تِرْب، والتِّرْبُ اللِّدةُ والسِّنُّ. أي المقاربين له في السن. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١/٢٢٧)، مادة (ترب).

وكانت رحلته إلى الأندلس(١) سنة ٣٩٩ هـ، حيث جلس بمجلس النخيلة إلى أن نقله المظفر عبد الملك(٢) إلى جامع الزاهرة، ثم نقله محمد بن هشام(٣) إلى المسجد الجامع بقرطبة، أقام في قرطبة شطر حياته إلى أن وافته منيته.

وهكذا نخلص إلى أن مكياً قضى (١١سنة) بالقيروان بعد أول سفرة إلى مصر، و (١٠سنوات) بمصر، و (٤سنوات) في الحجاز، وبقية عمره وهي (٤٤سنة) في قرطبة.

صفاته وأخلاقه(٤):

لقد تحلى الإمام مكي بصفات عدة، وعلى رأسها التواضع والزهد والصلاح وإجابة الدعوة، قال عنه صاحبه أبو عمر أحمد المقرئ(٥): "كان رحمه الله حسن الفهم

(١) الأندلس: إقليم من بلاد المغرب مشتملة على بلاد كثيرة، تقع غربي خليج القسطنطينية بين جبلين، بينها وبين القسطنطينية مسافة ميل. ينظر: معجم البلدان، للحموي (١/٢٦٢)؛ واللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (١/٨٩)؛ والروض المعطار، للحمْيَري (٣٢).

(٢) هو عبد الملك (المظفر) بن محمد (المنصور) بن عبد الله بن أبي عامر المعافري، أبو مروان، ثاني أمراء الأندلس من الأسرة العامرية. وتلقب بسيف الدولة " الملك المظفر بالله "، أحبه أهل الأندلس، وازدهرت البلاد في عهده حتى قالوا: إنه " لم يولد بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه وعلى نفسه وحاشيته وبلاده " وكان من أشد الناس حياءاً. توفي سنة ٣٩٩هـ. ينظر: جذوة المقتبس، للحميدي (١٧)؛ وبغية الملتمس، لابن عَميرة الضبي (٢/٤٨٧).

(٣) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي، أبو الوليد. يلقب بـ (المهدي بالله)، أمير من بيت الملك بالأندلس. ولد سنة ٣٦٦هـ، وتوفي سنة ٤٠٠هـ، وكانت مدة ولايته ١٦ شهراً. ينظر: جذوة المقتبس، للحميدي (١٨)؛ وبغية الملتمس، لابن عَميرة الضبي (١/٤٤).

(٤) ينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض ٤/ ٧٣٨، والديباج المذهب، لابن فرحون ص ٣٤٦.

(٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى المعافري الأندلسي، أبو عمر الطلمنكي، المقرىء =

والخلق، جيد الدين والعقل[١].

ويقول عنه الذهبي[٢]: "كان مع ذلك ديّناً فَاضلاً تقيا صواما متواضعاً عالماً قواما مجاب الدعوة، وكانت تحفظ له كرامات وإجابة دعوات[٣].

ومن الأخلاق التي دعا إليها في حامل القرآن: "الابتعاد عن الرياء والإخلاص لله والتوكل عليه والاستعانة به والرغبة إليه و. . "[٤].

عقيدته وفقهه:

بالنظر في تفسيره لآيات الصفات يمكن معرفة عقيدته السلفية، فهو يجريها على ظواهرها مع اعتقاد حقيقتها دون تعطيل أو تمثيل أو تشبيه بين الله ومخلوقاته، فمن ذلك:

تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥][٥]، حيث

=

الحافظ، نزيل قرطبة. أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس. ولد سنة ٣٤٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٩هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (١/٣٨٥)؛ وغاية النهاية، لابن الجزري (١/١١٠).

(١) ينظر: الصلة، لابن بشكوال (٢/ ٥٩٧)؛ ومعرفة القراء الكبار، للذهبي (١/٣٩٤)؛ وبغية الوعاة، للسيوطي (٢/ ٢٩٨).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله. حافظ، مؤرخ، علامة، محقق، تركماني الأصل، مولده ووفاته في دمشق. ولد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. من أشهر تصانيفه: (تاريخ الإسلام)، و (سير أعلام النبلاء)، و (ميزان الاعتدال) وغيرها. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي (٩/١٠٠)؛ والدرر الكامنة، لابن حجر (٣/٣٣٦).

(٣) معرفة القراء (١/ ٣١٦).

(٤) الرعاية لتجويد القراءة (ص ٧٨).

(٥) وينظر: تفسيره الآية في سورة الحديد: (ثم استوى على العرش).

يقول:

"وأحسن الأقوال في هذه: علا، والذي يعتقده أهل السنة ويقولونه في هذا: إن الله- جل ذكره- فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وله- تعالى ذكره- كرسي وسع السموات والأرض"[١].

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، يقول:

"ويجب أن نعتقد أن صفات الله جل ذكره بخلاف صفات المخلوقين، فلا نعتقد إلا أن الإتيان والمجيء من الله تبارك وتعالى صفة وصف بها نفسه، لا إتيان انتقال وتغير حال، تعالى الله عن ذلك"[٢].

أما مذهبه الفقهي: فقد كان مالكياً، آخذاً ذلك عن شيخه أبي الحسن القابسي[٣] في القيروان، وعدّه ابن فرحون[٤] من أعيان المذهب المالكي من الطبقة الثامنة[١]،

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٧/ ٤٦١٠).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٩٠)، وينظر: تفسير آية الكرسي ٢٥٥ من البقرة.

(٣) هو علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني، أبو الحسن المعروف بابن القابسي، عالم المالكية بإفريقية في عصره. كان حافظا للحديث وعلله ورجاله، فقيها أصوليا من أهل القيروان. نسبته إلى " المعافرين " من قرى قابس. وكان أعمى لا يرى شيئاً، وهو مع ذلك من أصح الناس كتباً، وأجودهم ضبطاً وتقييداً، يضبط كتبه بين يديه ثقاتُ أصحابه. ولد سنة ٣٢٤هـ، وتوفي بالقيروان سنة ٤٠٣هـ، وقد بلغ الثمانين. ينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض (٧/ ٩٢)؛ والديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ١٠١).

(٤) هو إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين أبو الوفاء، اليعمري المالكي المدني، عالم بحّاث، ولد ونشأ ومات في المدينة. وهو مغربي الأصل، نسبته إلى يعمر بن مالك، من عدنان. وهو من شيوخ

=

وترجم له القاضي عياض[٢] باعتباره من أعلام المذهب المالكي[٣]، وفي مؤلفاته كتب ورسائل في الفقه المالكي، لكنه لم يكن فيها ولا في تفسيره "الهداية" متعصباً لمذهبه.

مكانته العلمية:

تسنم الإمام مكي مكانة رفيعة بين علماء عصره، وكانت له الدرجة الرفيعة في التفسير والقراءات، حتى عُرِف بصاحب التفسير، "وغلب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه"[٤]، ويصفه الحميدي[٥] بالإمامة في القراءات[١]، وذكره ابن جزي

=

المالكية، أصيب بالفالج في شقه الأيسر، فمات بعلته سنة ٧٩٩هـ عن نحو ٧٠ عاماً. من أشهر تصانيفه: (الديباج المذهب) في تراجم أعيان المذهب المالكي، و (درة الغواص في محاضرة الخواص). ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (٤٨/١)؛ وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف (٢٢٢).

(١) ينظر: الديباج المذهب (٢/ ٣٤٢).

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصُبي السبتي، أبو الفضل، سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها سنة ٤٩٦هـ، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما سنة ٥٤٤هـ. من أشهر تصانيفه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، و (ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢١٢/٢٠)؛ والديباج المذهب، لابن فرحون (٤٦/٢).

(٣) ينظر: ترتيب المدارك (٣/ ٧٣٧).

(٤) ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي (٣٣٧/٢).

(٥) هو محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر، مؤرخ محدث، أندلسي. من أهل جزيرة مَيُورقة. أصله من قرطبة. كان ظاهري المذهب، وهو صاحب (ابن حزم) وتلميذه. ولد قبل سنة ٤٢٠هـ، وأقام ببغداد فتوفي فيها سنة ٤٨٨هـ. من أشهر تصانيفه: (الجمع بين الصحيحين)، و (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه

=

الكلبي[٢] في مقدمة تفسيره بالمقرئ[٣].

ويقول القاضي عياض: "كان مع رسوخه في علم القراءات وتفننه فيه نحويا لغوياً فقيها راوية ... ومقرئا أديبا"[٤].

وعدّه مع القاضي عياض اليافعي[٥] والسيوطي[٦] من رجال اللغة والنحو[١]،

=

والأدب وذوي النباهة والشعر)، و (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) وغيرها. ينظر: الصلة، لابن بشكوال (٨١٨/٣)؛ وسير أعلام النبلاء (١٢٠/١٩).

(١) ينظر: جذوة المقتبس (ص ٣٢٩).

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي المالكي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ. من أشهر تصانيفه: (التسهيل لعلوم التنزيل) في التفسير. ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (٣٥٦/٣)؛ وطبقات المفسرين (٨٥/٢).

(٣) ينظر: التسهيل (١/ ١٠).

(٤) ترتيب المدارك (٤/ ٧٣٧).

(٥) هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين، مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن. نسبته إلى يافع من حمير. ومولده ومنشأه في عدن، ولد سنة ٦٩٨هـ. أقام بمكة وتوفي بها سنة ٧٦٨هـ. من أشهر تصانيفه: (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي (٣٣/١٠)؛ والدرر الكامنة (٢٤٧/٢).

(٦) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي ، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب. نشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، فألف أكثر كتبه. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. ولد سنة ٨٤٩هـ. وتوفي سنة ٩١١هـ. كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب. من أشهر تصانيفه: (الإتقان في علوم القرآن)، و (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، و (لباب النقول في أسباب النزول)، وغيرها. ينظر: الضوء اللامع، للسخاوي (٦٥/٤)؛ والكواكب السائرة، لنجم الدين الغزي

=

ووصفه الأنباري[٢] بالشهرة في النحو[٣].

وهو عند الحموي[٤] والسيوطي: نحوي لغوي مقرئ[٥].

ويراه الذهبي شيخ الأندلس ومقرئها وخطيبها ممن رحل إلى مصر، وروى القراءات ودخل بها إلى الأندلس[٦].

وفضلاً عن ذلك فله نشاط في الفقه، إذ ألف الهداية في الفقه، وله في الحج والفرائض[٧]، وله نشاط في علم الكلام والرؤيا[١]، وله حظ في الأدب، ووصل شيء

=

(١/ ٢٢٧).

(١) ينظر: مرآة الجنان (٣/ ٤٥)؛ وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٨).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. كان زاهدا عفيفا، خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئا. ولد سنة ٥١٣هـ، وسكن بغداد، وتوفي فيها سنة ٥٧٧هـ. من أشهر تصانيفه: (نزهة الألباء في طبقات الأدباء). ينظر: فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي (٢/ ٢٩٢)؛ وبغية الوعاة (٢/ ٨٦).

(٣) ينظر: نزهة الألباء (ص ٢٥٤).

(٤) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (نسبة إلى مولاه عسكر الحموي)، أبو عبد الله، شهاب الدين، مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه، ثم أعتقه سنة ٥٩٦ هـ. فعاش من نسخ الكتب بالأجرة. ولد سنة ٥٧٤هـ، وتوفي سنة ٦٢٦هـ. من أشهر تصانيفه: (معجم الأدباء)، و(معجم البلدان). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٦/ ١٢٧)؛ ومرآة الجنان، لليافعي (٤/ ٤٨).

(٥) معجم الأدباء (١٩/ ١٦٧)؛ و بغية الوعاة (٢/ ٢٩٨).

(٦) ينظر: العبر (٢/ ٢٧٣).

(٧) ينظر: إنباه الرواة (٣/ ٣١٧)، معجم الأدباء (١٩/ ١٦٨).

من شعره في الرد على الصوفية[٢].

شيوخه:

درس على عدد كبير من العلماء في موطنه القيروان، ثم في مصر ومكة وقرطبة.

❍ من شيوخه في القيروان:

١ - أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، المعروف بابن القابسي (ت ٤٠٣ هـ)، كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به، وصنف في الحديث كتاب " الملخص ". وعنه أخذ مكيٌّ الفقهَ المالكي[٣].

٢ - أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي، المعروف بالقزاز القيرواني (ت ٤١٢ هـ)؛ كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتتان في التواليف، فمن ذلك كتاب (الجامع في اللغة)[٤].

٣ - أبو محمد عبد الله بن أبي زيد (عبد الرحمن) القيرواني الفقيه (ت ٣٨٦ هـ)، كان إمام المالكية في وقته وقدوتهم، وجامع مذهب مالك وشارح أقواله، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، وكتبه تشهد له بذلك، ذاباً عن مذهب مالك، يقول الشعر ويجيده، ويجمع إلى ذلك صلاحاً تاماً وورعاً وعفة، من أشهر كتبه: (النوادر

=

(١) ينظر: وفيات الأعيان (٥/ ٢٧٦)، هدية العارفين (٢/ ٤٧١).

(٢) ينظر: طبقات المفسرين (٢/ ٢٣١)، وأورد قصيدته القفطي في إنباه الرواة (٣/ ٣١٩).

(٣) ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٠).

(٤) ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٧٤).

والزيادات) على المدونة، و(الرسالة)[١].

❍ ومن شيوخه في مصر:

١ - أبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأدفوي المصري المقرئ (ت ٣٨٨ هـ)، أستاذ نحوي مقرئ مفسر ثقة، انفرد بالإمامة في دهره في قراءة نافع رواية ورش، مع سعة علمه، وحسن اطلاعه، وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعاني، برع في علوم القرآن، له كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلدا، سماه (الاستغناء في علوم القرآن) ومنه استمد مكي تفسيره واختصره[٢].

٢ - عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرئ (ت ٣٨٩ هـ)، نزيل مصر، أستاذ ماهر كبير، محرر ضابط ثقة، خيّر صالح ديّن، ألف كتابه (الإرشاد في السبع)[٣].

٣ - عبد العزيز بن علي بن أحمد بن محمد أبو عدي المصري (ت ٣٨١ هـ)، يعرف بابن الإمام، مقرئ محدث ضابط، شيخ القراء ومسندهم بمصر[٤].

٤ - أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي (ت ٣٩٩ هـ)، نزيل مصر، أستاذ عارف، وثقة ضابط، وحجة محرر، شيخ الداني، ومؤلف (التذكرة في القراءات الثمان)[٥].

---

(١) ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٢/ ٤٢٧).

(٢) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٢/ ١٩٨).

(٣) ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٧٠).

(٤) ينظر: غاية النهاية (١/ ٣٩٤).

(٥) ينظر: غاية النهاية (١/ ٣٣٩).

❍ ومن شيوخه بمكة المكرمة:

١ - أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن فراس العبْقسي (ت ٤٠٥ هـ)، القاضي العدل، المكي، العطار، مسند الحجاز، شيخ مكة ومحدثها في وقته، كان من كبار أهل زمانه، وإليه الرحلة في أوانه، وهو ثقة[(١)].

٢ - أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر البغدادي، السقطي (ت ٤٠٦ هـ)، المجاور، الإمام، المحدث، الثقة، وكان من الصالحين[(٢)].

٣ - أبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي(ت ٣٩٦ هـ)، الزاهد الصوفي شيخ الحرم، وصاحب تاريخ الصوفية، كان ثقة، وكان عارفا بمذهب الشافعي[(٣)].

❍ ومن شيوخه بقرطبة:

١ – أبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري (ت ٣٩٥ هـ)، كان رجلا صالحا زاهدا، منقبضا ثقة فيما رواه، سمع الناس منه كثيرا من روايته[(٤)].

٢ – أبو عثمان سعيد بن رشيق الزاهد (ت ٤١٠ هـ)، كانت له رواية كثيرة ودراية إلا أنه أغلق على نفسه باب الرواية والاجتماع إليه، وإنما كان لمن قصده مفرداً وعلم صحة مقصده، اعتزل الناس وأقبل على العبادة[(٥)].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٢).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣٦).

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي (٣/ ٤٢).

(٤) ينظر: الصلة (١/٢٩٤).

(٥) ينظر: الصلة (١/٢١٠).

٣ - أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث (ت ٤٢٩ هـ)، ويعرف بابن الصفار، قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها، من أهل الحديث والفقه، كثير الرواية، وافر الحظ من علم اللغة والعربية، قائلا للشعر النفيس في معاني الزهد وما شابهه، كثير الخشوع فيها لا يتمالك من سمعه عن البكاء[١].

تلامذته[٢]:

اجتمع حول الإمام مكي بقرطبة في مسجد النخيلة والزهراء والمسجد الجامع طلاب العلم، وحفت المجالس به، فانتفع به عدد كبير من الطلاب في فروع العلم المختلفة، وخاصة القراءات والتفسير، وهذه أسماء مَن ذُكروا في كتب التراجم والطبقات، وأهمها كتاب الصلة لابن بشكوال:

١ - إبراهيم بن محمد الأسدي المقرئ (ت ٤٦٢ هـ).

٢ - أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي المقرئ (ت ٥١١ هـ).

٣ - أحمد بن محمد بن خالد الكلاعي المقرئ (ت ٤٣٢ هـ).

٤ - أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني (ت نحو ٥٥٨ هـ).

٥ - أيمن بن خالد بن أيمن الأنصاري (ت ٤٣٢ هـ).

٦ - بقي بن قاسم بن عبد الرؤوف.

٧ - بكر بن عيسى بن سعيد الكندي الزاهد (ت ٤٥٤ هـ).

---

(١) ينظر: الصلة (٦٤٦/١).

(٢) ينظر في أسماء تلامذته بحسب ورودهم: الصلة (ص ٩٦، ٧٤، ٤٨، ٧٣، ١١٣، ١١٦، ١١٥، ١٧٢، ١٧٩، ١٢٩، ٢٠٠ ٢٧١، ٢٨١، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٥٤٠, ٢٩٠، ٣٤٣، ٣٦٨، ٣٦٠، ٣٦٣، ٤٤٥، ٤٢٣، ٤٢١، ٤٣٨، ٤٦٣، ٥٤٨، ٥٣٨، ٥٤٦، ٥٤١، ٥٦٤، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٢، ٦١٤، ٥٨٠. ٦٧٠).

٨ - جعفر بن محمد بن مكي بن أبي طالب، وهو حفيد مكي (ت ٥٣٥ هـ).

٩ - حازم بن محمد بن حازم المخزومي (ت ٤٩٦ هـ).

١٠ - خلف بن عمر بن خلف التجيبي ابن أخي القاضي أبي الوليد الباجي، أبو القاسم (ت ٤٨٥ هـ).

١١ - سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي المالكي الحافظ، أبو الوليد (ت ٤٧٤ هـ).

١٢ - عاصم بن أيوب الأديب (ت ٤٩٤ هـ).

١٣ - عبد الله بن سعيد بن حكم الزاهد (ت ٥٥٢ هـ).

١٤ - عبد الله بن سهل بن يوسف الأنصاري (ت ٤٨٥ هـ).

١٥ - عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي، ابن العسال (ت ٤٨٧ هـ).

١٦ - عبد الله بن محمد بن سليمان، ابن الحاج، (ت ٤١٩ هـ).

١٧ - عبد الله بن محمد بن عباس، ابن الدباغ، (ت ٤٦٣ هـ).

١٨ - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القيسي (ت ٤٣٦ هـ).

١٩ - عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصنهاجي، ابن اللبان (ت ٤٨٠ هـ).

٢٠ - عبد العزيز بن أحمد اليحصبي (ت ٤٥٠ هـ).

٢١ - عبد الملك بن زيادة الله بن علي (ت ٤٥٥ هـ).

٢٢ - عبد الملك بن سراج (ت ٤٨٩ هـ).

٢٣ - العلاء بن أبي المغيرة الفارسي (ت ٤٥٤ هـ).

٢٤ - علي بن أحمد بن أبي الفرج الأموي.

٢٥ - علي بن عبد الله الجذامي المقرئ (ت ٤٨٣ هـ).

٢٦ – عيسى بن خيرة أبو الإصبغ (ت ٤٨٧ هـ).

٢٧ – عيسى بن سهل الأسدي، أصله من جيان، محدث فقيه قاض (ت ٤٨٦ هـ).

٢٨ – فرج بن عبد الملك الأنصاري، من جيان (ت ٤٧٨ هـ).

٢٩ – محمد بن أحمد المعافري المقرئ (ت ٤٦٩ هـ).

٣٥ – محمد بن أحمد بن مطرف الكناني المقرئ (ت ٤٥٤ هـ).

٣١ – محمد بن جوهر بن محمد بن جوهر (ت ٤٦٢ هـ).

٣٢ – محمد بن الحبيب بن طاهر الغافقي (ت ٤٥٩ هـ).

٣٣ – محمد بن شريح الرعيني، من إشبيلية (ت ٤٧٦ هـ).

٣٤ – محمد بن عيسى بن فرج التجيبي المقرئ (ت ٤٨٥ هـ).

٣٥ – محمد بن فرج مولى محمد بن يحى البكري (ت ٤٩٧ هـ).

٣٦ – محمد بن محمد أصبغ الأسدي (ت ٤٧٧ هـ).

٣٧ – محمد بن محمد بشير المعافري (ت ٤٨١ هـ).

٣٨ – محمد بن مكي بن أبي طالب (ابنه) (ت ٤٧٤ هـ).

٣٩ – معاوية بن محمد بن أحمد العقيلي (ت ٤٦٩ هـ).

٤٠ – موسى بن سليمان اللخمي (ت ٤٩٤ هـ).

٤١ – يحيى بن إبراهيم المقرئ (ت ٤٩٦ هـ).

آثاره ومؤلفاته[١]:

---

(١) وردت في المصادر التي ترجمت له ومنها: الصلة (١/ ٥٢٣)، إنباه الرواة (٣/ ٣١٥ – ٣١٨)، ترتيب المدارك (٤/ ٧٣٨)، طبقات القراء (٢/ ٣١٠)، معجم الأدباء (١٩/ ١٦٩)، وفيات الأعيان (٥/
=

كان واسع المعرفة، كثير التأليف في العلوم المختلفة، لكنه كان متميزاً في التفسير والقراءات في المقام الأول، وقد ذكر عنه ذلك من ترجموا له، فهو المفسر والمقرئ، وله حظ كبير في العلوم الإسلامية الأخرى، وهذه قائمة مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

المطبوعة: وهي في علوم القرآن والقراءات والتفسير:

١ - الإبانة عن معاني القراءات. تحقيق د. محيي الدين رمضان سنة ١٩٧٩م(١).

٢ - اختصار الوقف على "كلا وبلى ونعم". تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٨م.

٣ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه. تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٤م.

٤ - التبصرة في القراءات السبع. تحقيق د. محيي الدين رمضان سنة ١٩٨٥م(٢).

٥ - تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم. تحقيق د. محيي الدين رمضان سنة

=

٢٧٦)، نزهة الألباء (ص ٢٥٥)، فهرسة ابن خير (ص ٤١)، كشف الظنون (١/ ١٧٤، ٤٠٤)، هدية العارفين (٢/ ٤٧١).

(١) وله طبعة أخرى بتحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة. وكتاب الإبانة هذا قيّم على صغر حجمه، بيّن فيه مكي معاني القراءات، وتحدث عن تفسير الحديث الشريف: "أُنزل القرآن على سبعة أحرف" حديثاً مدعماً بالأدلة والأسانيد، وذكر ما يجب أن يعتقد في القراءات مع ما يتصل بذلك من فوائدها، وغرائب معانيها. وقد جعل مكي كتاب الإبانة هذا متصلاً بكتابه "الكشف عن وجوه القراءات" ثم أفرده - كما قال - لمن يرغب في نسخه على انفراد دون كتاب الكشف.

(٢) وله طبعة أخرى بتحقيق: محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ.

١٩٨٥م.

٦ - تمكين المد في "آتى" و "آمن" و "آدم". تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٨٤م.

٧ - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٣م.

٨ - شرح "كلا وبلى ونعم" والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل. تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٦م.

٩ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق د. محيي الدين رمضان سنة ١٩٨١م.

١٠ - مشكل إعراب القرآن. تحقيق د. حاتم صالح الضامن سنة ١٩٧٣م[١].

١١ - الوقف على "كلا وبلى، ونعم". تحقيق د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٨م[٢].

١٢ - الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره. في ٧٠ جزءاً، وهو التفسير المقصود في هذا البحث.

---

(١) وله طبعة أخرى بتحقيق: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق.

(٢) وله طبعة أخرى بتحقيق: حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

غير المطبوعة في علوم القرآن والتفسير:

١٣ – اتفاق القرّاء. في جزء.

١٤ – اختصار أحكام القرآن. في أربعة أجزاء.

١٥ – اختصار الإدغام الكبير على ألف، باء، تاء، ثاء. في جزء.

١٦ – اختصار الألفات. في جزء.

١٧ – اختلاف القراء في ياءات الإضافة وفي الزوائد. في جزء.

١٨ – الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة. في جزء.

١٩ – الاختلاف بين قالون وابن عامر. في جزء.

٢٠ – الاختلاف بين قالون وابن كثير. في جزء.

٢١ – الاختلاف بين قالون وأبي عمرو. في جزء.

٢٢ – الاختلاف بين قالون وحمزة. في جزء.

٢٣ – الاختلاف بين قالون وعاصم. في جزء.

٢٤ – الاختلاف بين قالون والكسائي. في جزء.

٢٥ – الاختلاف في الرسم من "هؤلاء" والحجة لكل فريق. في جزء.

٢٦ – الاختلاف في عدد الأعشار. في جزء.

٢٧ – الاختلاف في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢]. في جزء.

٢٨ – الإدغام الكبير. في جزء.

٢٩ – الاستيفاء في قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٧]. في جزء.

٣٠ – إصلاح ما أغفله ابن مسرة في قراءات شاذة. في جزء.

٣١ – الإمالة. في جزء.

٣٢ – انتخاب نظم القرآن للجرجاني. في أربعة أجزاء.

٣٣ – الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب " الإمالة" ج ١ – ٣.

٣٤ – الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه. في جزء.

٣٥ – البيان عن وجوه القراءات في كتاب التبصرة. ألفه سنة ٤٢٤ هـ.

٣٦ – بيان إعجاز القرآن. في جزء.

٣٧ – التبيان في اختلاف قالون وورش. في جزء.

٣٨ – التذكرة في اختلاف القراء السبعة. في جزء.

٣٩ – تسمية الأحزاب.

٤٠ – التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه. في جزأين.

٤١ – دعاء خاتمة القرآن.

٤٢ – شرح اختلاف العلماء في الوقوف على قوله تعالى: ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ ﴾ [الحج: ١٣].

٤٣ – شرح الاختلاف في قوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣

].

٤٤ - شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ [آل عمران: ٧].

٤٥ - شرح الإدغام الكبير في المخارج. في جزء.

٤٦ - شرح الوقف التام. في أربعة أجزاء.

٤٧ - شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم. في جزء.

٤٨ - شرح الراءات على قراءة ورش وغيره. في جزء.

٤٩ - شرح الفرق لحمزة وهشام. في جزء.

٥٠ - شرح قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨ ﴾ [المائدة: ١٠٦- ١٠٨]. في جزء.

٥١ - شرح قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ ﴾ [الشعراء: ٦١]. في جزء.

٥٢ - شرح قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ

وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣]. في جزء.

٥٣ – شرح قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. في جزء.

٥٤ – شرح قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٥٥ – شرح معنى الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٦٥]. في جزء.

٥٦ – شرح وجوه كشف اللبس التي لبس بها الأنطاكي في المد لورش. في ثلاثة أجزاء.

٥٧ – علل هجاء المصاحف. في جزء.

٥٨ – فرش الحروف المدغمة. في جزأين.

٥٩ – الكافي في القراءات.

٦٠ – المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره. في عشرة أجزاء.

٦١ - مشكل غريب القرآن. في ثلاثة أجزاء. وقد ألفه بمكة سنة ٣٨٩ هـ.

٦٢ - مشكل المعاني والتفسير. في ١٥ جزءا.

٦٣ - المنتخب في اختصار الحجة للفارسي. في ٣٠ جزءا.

٦٤ - منع الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ [التوبة: ١٠٧]. في جزء.

٦٥ - الموجز في القراءات. في جزأين، ألفه بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ.

٦٦ - الهداية في الوقف على كلا.

٦٧ - الياءات المشددة في القرآن الكريم. في جزء.

في علوم اللغة والأدب:

٦٨ - التذكرة لأصول اللغة العربية ومعرفة العوامل. في جزء.

٦٩ - دخول حروف الجر بعضها مكان بعض. في جزء.

٧٥ - الرياض مجموع. في خمسة أجزاء.

٧١ - اللمع في الإعراب. في أربعة أجزاء.

٧٢ - شرح حاجة وحوائج وأصلها. في جزء.

٧٣ - شرح العارية والعرية. في جزء.

٧٤ - مسائل الأخبار بالذي وبالألف واللام. في أربعة أجزاء.

٧٥ - معاني السنين القحطية والأيام. في جزء.

٧٦ - منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع. في جزأين.

٧٧ - المنتقى في الأخبار. في أربعة أجزاء.

٧٨ - الوصول إلى تذكرة كتاب الأصول، لابن السراج في النحو. في جزء.

في العقيدة والفقه وعلم الكلام والوعظ:

٧٩ - اختلاف العلماء في النفس والروح. في جزء.

٨٠ - إسلام الصحابة. في جزء.

٨١ - بيان الصغائر والكبائر. في جزء.

٨٢ - بيان العمل في الحج من أول الإحرام إلى الزيارة لقبر النبي ﷺ. في جزء.

٨٣ - تحميد القرآن وتهليله وتسبيحه.

٨٤ - الترغيب في الصيام. في جزء.

٨٥ - الترغيب في النوافل. في جزء.

٨٦ - تعدلة التجزئة بين الأئمة في شهر رمضان في قراءة القرآن في الإشفاع. في جزء.

٨٧ - تنزيه الملائكة من الذنوب وفضلهم على بني آدم.

٨٨ - التهجد في القرآن. في أربعة أجزاء.

٨٩ - الرد على الأئمة فيما يقع في الصلاة من خطأ واللحن في شهر رمضان وغيره. في جزء.

٩٠ - شرح إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأً على مذهب مالك والحجة في ذلك. في جزء.

٩١ - فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً. في جزء.

٩٢ - ما أغفله القاضي منذر ووهم فيه في كتاب "الأحكام". في جزأين.

٩٣ - المبالغة في الذكر. في جزء.

٩٤ - المدخل إلى علم الفرائض. في جزء.

٩٥ – مسألة الذبيح. في جزء.

٩٦ – مناسك الحج. في جزء.

٩٧ – منتقى الجوهر في الدعاء. في جزء.

٩٨ – الممتع في تعبير الرؤيا.

٩٩ – الموعظة المنبهة. في جزء.

١٠٠ – الهداية في الفقه. في جزء.

١٠١ – برنامجه الذي جمع فيه مؤلفاته ومروياته يقول: "سمعت على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز كتاب "الظاء" من تأليفه في ثلاثة أجزاء، وسمعت عليه أكثر "الحروف في النحو" من تأليفه ".

١٠٢ – فهرسته: وهي جامعة لرحلته، مشتملة على مروياته وتراجم شيوخه وأسماء تآليفه.

ولا شك أن كثرة هذه المؤلفات والمتنوعة في كل فن تدل دلالة واضحة على علو كعب الإمام مكي، وطول باعه، وسعة اطلاعه، وما كان له من المعرفة والفهم، ما جعله يترك لنا هذه الأسفار الكثيرة والمنيرة.

وفاته:

وبعد حياة طويلة حافلة بالتعلُّم، والتعليم، والإكثار من التأليف والتصنيف في مُختلف العلوم والمعارف، توفي الإمام مكي في شهر الله المحرم سنة (٤٣٧هـ)، عن

عمر يناهز (٨٢) عاماً، ودفن بالرَّبَض[1].

فرحم الله هذا الإمام رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنانه ، وأحلَّ عليه من رضوانه .

(١) الرَّبَضُ بالتحريك: موضع قبل قرطبة. ينظر: معجم البلدان، للحموي (٢٦/٣)؛ وتاج العروس، للزبيدي (٣٤١/١٨).

(المطلب الثاني)
قيمة تفسير مكي
وأثره على المفسرين من بعده

أولاً – مكانة تفسير مكي:

يعد تفسير مكي من أجل الكتب وأهمها في علم التفسير؛ لقيمته العلمية، وخاصة عند الأندلسيين، فقد عده ابن حزم[١] "من أجل ما صنف"، وعده القاضي عياض "من أشرف تصانيفه"[٢]، وكذلك رآه ياقوت الحموي والدباغ[٣] "من أشهر تآليفه"[٤]، وهو عند ابن خلكان[٥] "من التصانيف النافعة"[١].

---

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي، الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، صاحب التصانيف. ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ. من أشهر تصانيفه: (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، و (المحلى). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/٣٢٥)؛ وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤).

(٢) ينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض (٨/ ١٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري الأسيدي، من ولد أسيد بن حضير، أبو زيد، المعروف بالدباغ، مؤرخ، باحث، فقيه، من أهل القيروان. ولد سنة ٦٠٥هـ، وتوفي سنة ٦٩٩هـ. من أشهر تصانيفه: (معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان). ينظر: الأعلام، للزركلي (٣/٣٢٩).

(٤) ينظر: معجم الأدباء، للحموي (٦/٢٧١٣)؛ ومعالم الإيمان، للدباغ (٣/١٧١).

(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ابن خلكان البرمكي الإربلي، الشافعي، أبو العباس. يتصل نسبه بالبرامكة، ولد في إربل سنة ٦٠٨هـ، وتوفي في دمشق سنة ٦٨١هـ. المؤرخ الحجة. من أشهر تصانيفه: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما. ينظر: فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي (١/ ١١٠)؛ والوافي بالوفيات، للصفدي (٧/ ٢٠١).

وقد اكتسب تفسيره هذه المنزلة العليّة بين كتب التفاسير؛ لرجوعه إلى مصادر كثيرة، ذات أهمية كبيرة، ولما حواه من العلوم النافعة في علوم العربية وعلوم القرآن، ونقْل ما أُثِر من التفسير النبوي وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، ولما تضمنه من ذكر ترجيحاته واختياراته، ونحو ذلك، وقد نص رحمه الله في مقدمته على منهجه ومصادره، فقال:

" هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إليه سبيلاً من روايتي أو ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده.

جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور، أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ، أو منسوخ، أو شرح مشكل، أو بيان غريب، أو إظهار معنى خفي، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره؛ من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها... قدمت في أوله نبذاً من علل النحو وغامضاً من الإعراب ... وبيان القصص والأخبار، وكشف مشكل

=

(١) ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٥/ ٢٧٥).

المعاني، وذكر الاختلاف في ذلك، وتبيين الناسخ والمنسوخ وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيها الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري. وترجمت عن معنى ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه، وربما ذكرت ألفاظهم بعينها ما لم يشكل.

جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله[(١)] وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن[(٢)].

اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه ومكنون علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري[(٣)]، وما تخيرته من كتب

---

(١) هو محمد بن علي بن أحمد الأدفوي، أبو بكر، نحوي مفسر. من أهل أدفو (بصعيد مصر الأعلى). ولد سنة ٣٠٤هـ، وكان يبيع الخشب في القاهرة، وتوفي بها سنة ٣٨٨هـ. من أشهر تصانيفه: (الاستغناء) في تفسير القرآن. ينظر: بغية الوعاة (١/١٨٩).

(٢) يُفهم من كلام مكي هنا أن كتاب (الاستغناء) لشيخه الأدفوي كتابٌ في التفسير، وليس في علوم القرآن كما ذهب إليه بعض من ألف في علوم القرآن من المتأخرين؛ لتضمنه مصطلح (علوم القرآن). والجدير بالذكر أن هذا المصطلح قبل المائة الخامسة من الهجرة كان يراد به التفسير، وليس المعنى الاصطلاحي المتأخر، كتفسير الأدفوي (الاستغناء)، وقبله أبي الحسن الأشعري في كتابه (المختزن في علوم القرآن). ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان، لحازم سعيد حيدر (٨١، ٩٥).

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. من أشهر تصانيفه: ((أخبار الرسل والملوك) في التاريخ، و (جامع البيان في تفسير القرآن). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧)؛ وطبقات المفسرين (٢/١١٠).

أبي جعفر النحاس[١]، وكتاب أبي إسحاق الزجاج[٢]، وتفسير ابن عباس، وابن سلاّم[٣].

ومن كتاب الفراء[٤]، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري النحوي، أبو جعفر النحاس، مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري، توفي سنة ٣٣٨هـ. وكان سبب وفاته أنه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل، وهو في أيام زيادته، وهو يقطع بالعروض شيئاً من الشعر، فقال بعض العوام: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار، فدفعه برجله في النيل، فلم يوقف له على خبر. من أشهر تصانيفه: (ناسخ القرآن ومنسوخه)، و (معاني القرآن). ينظر: وفيات الأعيان (١/٩٩)؛ وبغية الوعاة (١/٣٦٢).

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة. ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ، ومات فيها سنة ٣١١هـ. كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فعلمه المبرد. من أشهر تصانيفه: (معاني القرآن وإعرابه)، و (الأمالي). ينظر: وفيات الأعيان (١/٤٩)؛ وبغية الوعاة (١/٤١١).

(٣) الظاهر أنه يقصد تفسير يحيى بن سلام التيمي البصري الإفريقي، أبو زكريا، مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين. ولد سنة ١٢٤هـ، وتوفي سنة ٢٠٠هـ تقريباً، وهو ابن سبع وسبعين سنة. وتفسيره يقع في ثلاثين جزءا من التجزئة القديمة، أي في ثلاث مجلدات ضخمة. ينظر: معالم الإيمان، للدباغ (١/٣٢١)؛ وطبقات المفسرين (٢/٣٧١).

قال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور: « وتوجد من هذا التفسير ببلادنا التونسية نسخة عظيمة القدر، موزعة الأجزاء، نسخت منذ ألف عام تقريبا، منها مجلد يشتمل على سبعة أجزاء بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة الأعظم، وآخر يشتمل على عشرة أجزاء بمكتبة جامع القيروان، ومن مجموعهما يتكون نحو الثلثين من جملة الكتاب. ويوجد جزء آخر لعله يتمّم بعض نقص النسخة هو من المقتنيات الخاصة لبعض العلماء الأفاضل». التفسير ورجاله (ص ٣٨-٣٩).

(٤) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو.

=

والمعاني والغرائب والمشكل.

انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر مؤلفة من علوم القرآن مشهورة مروية "(١).

ويمكن أن نستخلص مما سبق ما يلي:

١- أن مكياً اعتمد في تفسيره على مصادر أساسية جمع منها أكثره، وأخرى ثانوية كان يصطفي منها ويتخير.

٢- أن مكياً استعمل في وصف جهده في التفسير عبارات تدل على أنه اجتهد في طريقتي الجمع والفهم، أي إنه كان عالما بما يجمع، واعيا بما ينقل، متفاعلا مع النص القرآني، مما يدل على أن إسهامه في التفسير لم يقتصر على حفظ آراء السابقين، بل أضاف إليها مما فتح الله به عليه.

وهذا الأمر يتبين من خلال معرفة كيفية تعامل مكي مع مصادره ترتيباً واصطفاء واختياراً، وكيفية تعامله مع الأقوال التي أوردها نقداً وجمعاً وترجيحاً وانتصاراً.

بالإضافة إلى ظهور شخصية مكي في تفسيره متمثلة فيما يلي:

١- طريقته في عرض مادته التفسيرية، بتقسيم السورة إلى مقاطع، ثم إلى آيات، ثم الجزء من الآية، ثم يبين المعنى العام معتمداً على القرآن نفسه، ثم المأثور من السنة،

=

ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. من أشهر تصانيفه: (معاني القرآن). ينظر: وفيات الأعيان (١٧٦/٦)؛ وبغية الوعاة (٣٣٣/٢).

(١) مقدمة الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٢/١).

وأقوال الصحابة والتابعين.

٢- يذكر الأقوال المختلفة في التفسير، ويرجح منها ما يختاره ويرتضيه، ويوجه بعض الآراء توجيهاً مناسباً.

٣- يذكر أدلته غالباً بعد ترجيح القول، وربما اكتفى بالتعليل لذلك القول نظرياً، وربما استشهد لما يختار بالأدلة الموافقة لمعنى الآية من القرآن أو السنة ونحو ذلك.

٤- تميُّزُ منهجه بعدم الإطناب والتفصيل، فإذا احتيج إلى ذلك فإنه يحيل إلى كتاب آخر من كتبه، وهذا يتفق مع منهجه في الإيجاز والاختصار غير المخل، والتزامه بذلك كما نص على ذلك في مقدمة تفسيره.

٥- جودة تصنيف مادته، وحسن ترتيبها واختيار النقول، وتقديم بعضها على بعض.

ومهما يكن من أمر فإن تفسير مكي يعتبر من المصادر الأصيلة والمأمونة في التفسير، فلقد اجتهد في تخليصه وبيانه واختياره واختصاره، وتقصى فيه ما وصل إليه ممن سبقه من العلماء والمفسرين، وجمع فيه بين الرواية والدراية، وأقام منهجه على الأثر واللغة والنظر، فمحَّص كثيراً من الحقائق، ورد كثيراً من الأقوال، ورجح ما هو أولى وأصح، وبذلك كان من أحسن التفاسير وأصحها وأقومها.

ثانياً – أثر تفسيره على المفسرين من بعده :

تأثر عدد من المفسرين بتفسير مكي (الهداية)، وانتفعوا به، وأخذوا منه، ونقلوا عنه، وربما اكتفوا بحكاية القول دون تعقيب، وفي أحيان أخرى يتعقبونه، ويستدركون عليه، وربما وافقوه ومالوا إلى رأيه، وقد يخالفونه ويرجحون قول غيره، يظهر ذلك جلياً عند ابن عطية[١] في "المحرر الوجيز" في منهجه الجامع بين المأثور والرأي، وذِكْر القراءات وتوجيهها، وعرض الأحكام الفقهية، لكنه تميز عنه فلم يكثر من الإسرائيليات.

وأيضاً عند القرطبي[٢] في "الجامع لأحكام القرآن"، وابن الجوزي[٣] في "زاد

(١) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد، مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث. ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٢هـ. من أشهر تصانيفه: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٨٧/١٩)؛ وطبقات المفسرين (٢٦٥/١).

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ. من أشهر تصانيفه: (الجامع لأحكام القرآن)، و(التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة). ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون (٣٠٨/٢)؛ وطبقات المفسرين (٦٩/٢).

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد. ولد سنة ٥٠٨هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ. من أشهر تصانيفه: (زاد المسير في علم التفسير)، و(فنون الأفنان في عيون علوم القرآن). ينظر: وفيات الأعيان (١٤٠/٣)؛ وطبقات المفسرين (٢٧٥/١).

المسير"، وأبي حيان في "البحر المحيط"[١]، وابن عادل الحنبلي الدمشقي[٢] في "اللباب في علوم الكتاب"، والسمين الحلبي[٣] في "الدر المصون"، والشوكاني[٤] في "فتح القدير"، والآلوسي[٥] في "روح المعاني"، وغيرهم من المفسرين.

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ، ورحل وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها سنة ٧٤٥هـ، بعد أن كف بصره. من أشهر تصانيفه: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و (تحفة الأريب) في غريب القرآن. ينظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٠)؛ وطبقات المفسرين (٢/ ٢٨٧).

(٢) هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، صاحب التفسير الكبير (اللباب في علوم الكتاب)، توفي بعد سنة ٨٨٠هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ١٥٢).

(٣) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين، مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة، توفي سنة ٧٥٦هـ. من أشهر تصانيفه: (الدر المصون) في إعراب القرآن، و(عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) في غريب القرآن. ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٣٩)؛ وبغية الوعاة (١/ ٤٠٢).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد باليمن سنة ١١٧٣هـ ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها، وكان يرى تحريم التقليد. توفي سنة ١٢٥٠هـ. من أشهر تصانيفه: (فتح القدير) في التفسير، و(نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار). ينظر: البدر الطالع، للشوكاني (٢/ ٢١٤)؛ والأعلام، للزركلي (٦/ ٢٩٨)؛ والتفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي(٢/ ٢٤٩).

(٥) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. ولد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ. من أشهر تصانيفه: (روح المعاني) في التفسير. وهو غير محمود شكري الآلوسي المؤرخ الأديب المتوفى سنة ١٣٤٢هـ. الأعلام، للزركلي (٢/ ١٧٢). ينظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ١٧٦)؛ والتفسير والمفسرون، =

وهؤلاء المفسرون لم يكتفوا بالنقل عن مكي من تفسيره فقط، وإنما نقلوا عنه من مجموع كتبه، فالمشتغلون في علوم القرآن كالإعراب مثلاً، أكثر ما ينقلون عن كتاب "تفسير مشكل إعراب القرآن"، كما فعل السمين في كتابه "الدر المصون"، وفي علوم القرآن نجد الزركشي[1] ينقل عنه في "البرهان"، والسيوطي في "الإتقان"، وأكثر ما ينقلون عنه هو في مجال القراءات.

وأكثر من نقل عنه حينما يحكون أقواله ينصون عليه، وربما ينقلون عنه من كتبه ولا ينسبونه له.

=

للذهبي(١/ ٣٠٠).

(١) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، ولد سنة ٧٤٥هـ، وتوفي سنة ٧٩٤هـ. من أشهر تصانيفه: (البرهان في علوم القرآن)، و(البحر المحيط) في أصول الفقه. ينظر: الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)؛ وشذرات الذهب ، لابن العماد (٨/ ٥٧٢).

المبحث الثالث

تعريف الترجيح، والفرق بينه وبين الاختيار

وأهميته في التفسير

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الترجيح والاختيار لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: الفرق بين الترجيح والاختيار

المطلب الثالث: أهمية الترجيح والاختيار في علم التفسير

تمهيد

إن الناظر في أقوال السلف في تفسير القرآن ، والقارئ لكتب التفسير يجد أن الكثير من الآيات تحتمل أكثر من قول، وهذه الأقوال التي ترد في التفسير متفاوتة في القوة، كما أنه يوجد فيها أقوال يناقض بعضها بعضاً.

والكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، وفيها الباطل الواضح والحق المبين، كما أنها مشتملة على أقوال في منزلة متوسطة بين المنزلتين.

والدارس للتفسير يحتاج للتمييز بين هذه الأقوال، ويحرص على معرفة الصحيح من الضعيف، والراجح من المرجوح، كما أنه يبحث عن الأقوى من الأقوال، والأقرب إلى المراد ليقدمه على غيره.

وبهذا تتفاوت منازل أهل العلم بالتفسير ؛ فكما قيل : ليس الفقه أن تعلم الخير من الشر، وإنما الفقه أن تعلم خير الخيرين، وشر الشرين. وتلك مرتبة عالية من مراتب العلم، يوفق الله لها من شاء من عباده.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة للترجيح بين الأقوال، والاختيار للأقوى منها حتى يُقدَّم على غيره، ويوضع في منزلته.

فما المراد بكل من الترجيح والاختيار ؟ وما الفرق بينهما ؟ وما أثرهما في التفسير؟

هذا ما أرجو إيضاحه من خلال المطالب التالية :

(المطلب الأول [١])

تعريف الترجيح والاختيار
لغة واصطلاحا

أولاً – معنى الترجيح في اللغة:

الترجيح في اللغة مصدر رجّح ، و "الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة. يقال: رجح الشيءُ، وهو راجح، إذا رَزَن، وهو من الرجحان "[٢].

ويقال : أرْجَحَ الميزان: أي أثقله حتى مال، وترجحت الأرجوحة بالغلام، أي مالت، وأرجحت لفلان، ورجَّحتُ ترجيحاً، إذا أعطيته راجحاً[٣].

ثانياً – معنى الترجيح في الاصطلاح :

الترجيح في الاصطلاح : تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر[٤].

وعرفه بعضهم : بالتقوية لأحد المتعارضين، أو تغليب أحد المتقابلين[٥].

وفي اصطلاح الأصوليين : تقوية إحدى الإمارتين على الأخرى[٦].

وقيل : الترجيح إظهار الزيادة لأحد المثلين على الآخر[١].

(١) استفدت هذا المطلب والمطلبين بعده من ملتقى أهل التفسير.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٨٩/٢)، مادة (رجح).

(٣) الصحاح، للجوهري (٣٦٤/١)؛ ولسان العرب، لابن منظور (٤٤٥/٢)؛ والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ٢١٨)، مادة (رجح).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (١٧٠).

(٥) المصدر السابق (١٧٠).

(٦) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٦/ ١٣٠).

وقيل : بيان اختصاص الدليل بمزيد قوة عن مقابله ليُعمل بالأقوى[٢].

وقيل : تقوية أحد الدليلين المتعارضين[٣].

وأما المفسرون فليس للترجيح عندهم حدّ أو تعريف متفق عليه، ولم أرَ من ذكر له تعريفاً من المتقدمين. واستعمالهم للترجيح في تفاسيرهم يدل على توسعهم في إطلاقه، فهو عندهم يشمل كلّ تقديم لقول على آخر، سواء كان تقديماً يلزم منه ردّ الأقوال الأخرى، أم كان تقديماً لا يلزم منه ذلك.

والترجيح عند المفسرين يفترق عن الترجيح بين القراءات عند القراء، فمن شرط جواز الترجيح بين القراءات المتواترة - عند من يجيزه - عدم ردّ القراءة المرجوحة[٤].

العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:

من خلال ما سبق يتبين أن الترجيح في اللغة مداره على الزيادة والرزانة والثقل، وهذا متحقق في الترجيح في الاصطلاح؛ وذلك أن القول الراجح في المسائل المختلفة فيه قوة وثقل معنوي، متدعم بالأدلة الصحيحة، ومتزود منها بأكثر من غيره من الأقوال المرجوحة.

❍ وأما الترجيح الذي سرت عليه في هذا البحث فهو: **تقوية أحد الأقوال في**

=

(١) المصدر السابق (٦/ ١٣٠).

(٢) المصدر السابق (٦/ ١٣٠).

(٣) مذكرة أصول الفقه، للأمين الشنقيطي (٤٩٣).

(٤) معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، لإبراهيم الدوسري (ص ٢١).

تفسير الآية على غيره لدليل، أو لتضعيف ورد ما سواه من الأقوال.

والمراد بـ (لدليل) يشمل جميع أنواع الأدلة التي تصلح في تقوية الأقوال، سواء كانت من دلالة ألفاظ الآية، أو سياقها، أو قرائن حفت بالخطاب، أو من دليل خارج عن اللفظ، كورود حديث يدل عليه، أو موافقة أصول الشرع ونحو ذلك، على ما سيأتي بيانه في وجوه الترجيح.

وقوله: (أو تضعيف ورد ما سواه من الأقوال) ولو لم ينص على ترجيحه؛ لأن تضعيف القول أو رده يحصر الصواب فيما عداه، وهذا من طرائق الترجيح، على ما سيُبيّن في أساليب الترجيح.

ثالثاً – معنى الاختيار في اللغة:

الاختيار في اللغة مصدر اختار يختار، و(الخاء والياء والراء أصله العطف والميل)[١]، وخار الشيءَ واختاره: انتقاه، واخْتَرْت فلاناً على فلان: عُدِّيَ بعلى؛ لأَنه في معنى فَضَّلْتُ. والاختيار: الاصطفاء، وكذلك التَّخَيُّر[٢].

والاختيار كذلك: طلبُ ما هو خيرٌ، وفعلُه. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الدخان:٣٢]، أي: قدمناهم على غيرهم، واصطفيناهم من بينهم[٣].

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٢٣٢)، مادة (خير).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٦٤)؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ٣٨٩)، مادة (خير).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٣٠١)؛ وعمدة الحفاظ، للسمين الحلبي (١/ ٥٤٧)، مادة (خير).

قال شيخ الإسلام: (والاختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل، والانتقاء، والاصطفاء كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ [طه:١١-١٣] ...)[١].

رابعاً – معنى الاختيار في الاصطلاح :

تعريف الاختيار في الاصطلاح لا يختلف عنه كثيراً في اللغة، وأكثر من يستعمل الاختيار كاصطلاح علمي له مدلوله أئمة القراءات، فالاختيار عندهم يراد به: (ملازمة إمام معتبر وجهاً أو أكثر من القراءات، فينسب إليه على وجه الشهرة والمداومة، لا على وجه الاختراع والرأي والاجتهاد)[٢].

ومعلوم أن اختلاف القراء يفترق عن اختلاف غيرهم من أهل العلوم الأخرى؛ فإن اختلاف القراء يكون بين قراءات كلها حق وصواب[٣]. وهذا يدل على أن اختيار أحدهم القراءة لا يعني ردّ أي قراءة ثابتة غيرها.

وأما الاختيار في اصطلاح المفسرين، فلم أرَ من حرره من المتقدمين، واستعمالُ المفسرين له يدل على أنه بمعنى الترجيح، حيث يستعملونه في ترجيح قول على آخر، سواء على وجه التقديم واختيار الأولى، أم على وجه تصحيح القول المرجّح، ورد القول الآخر.

وقد عرّف الدكتور حسين الحربي الاختيار بقوله: "والمراد بالاختيار في التفسير:

---

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (١/١٣٧).

(٢) معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، لإبراهيم الدوسري (ص ٢١).

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/٥٢).

الميل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية، مع تصحيح بقية الأقوال "(١).

وفي هذا التعريف نظر لوجهين :

الأول : أن مجرد الميل إلى أحد الأقوال لا يصلح أن يكون سبباً للاختيار؛ لأن الاختيار المعتبر لا يكون إلا بعد بذل الجهد، والنظر في الأقوال التي يتخير منها، ثم يختار ما يرى أنه الأولى والأقوى.

فلا يكون للاختيار قيمة إلا إذا كان مبنياً على التروي والتفكر والنظر، وليس ناشئاً عن ميل سابق أو هوى غالب.

جاء في تفسير الرازي: (الاختيار هو أخذُ الخير من أمرين، والأمران اللذان يقع فيهما الاختيار في الظاهر لا يكون للمختار أولاً ميل إلى أحدهما، ثم يتفكر ويتروى، ويأخذ ما يغلبه نظره على الآخر)(٢).

وقال ابن عاشور(٣) : (والاختيار هو تكلف طلب ما هو خير)(٤).

والوجه الثاني : قوله : (مع تصحيح بقية الأقوال) يحصر الاختيار في تفسير الآيات التي صحت جميع أقوالها.

ومعلوم أن من الآيات ما يكون في تفسيرها عدة أقوال، بعضها صحيح مقبول،

---

(١) منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح، لحسين الحربي (ص ٥٧).

(٢) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (١٣٤/٢٩).

(٣) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. ولد سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. من أشهر تصانيفه: (التحرير والتنوير) في التفسير. ينظر: الأعلام، للزركلي (١٧٤/٦).

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٩٨/١٦).

وبعضها ضعيف مردود، فهذا القيد يُخرج هذه الآيات.

ولعل الأنسب في تعريف الاختيار أن يقال : **هو تقديم أحد الأقوال المقبولة في تفسير الآية لسبب معتبر.**

(المطلب الثاني)
الفرق بين الترجيح والاختيار

سبق التنبيه على أن عمل المفسرين يدل على عدم تفريقهم بين الاختيار والترجيح، وقد نهجت بعض الدراسات العلمية المتأخرة منهج التفريق بينهما؛ لأن كل لفظ له دلالته في اللغة، كما أنّ ذلك يفيد في التمييز بين الترجيحات الواردة في كتب التفسير؛ فإنها ليست على مرتبة واحدة.

ومن خلال التعريفين السابقين للاختيار والترجيح، الذَيْن اعتمدتهما في هذه الدراسة يتضح أن بينهما فرقاً من وجهين:

أحدهما : أن الترجيح تقوية لأحد الأقوال؛ ليُعلم الأقوى؛ فيُعمل به، ويُطرح الآخر. بخلاف الاختيار؛ فإنه ميل إلى المختار، وليس فيه طرح للأقوال الأخرى.

ومما يؤيد هذا التفريق ما ذكره الأصوليون في مسائل الترجيح؛ فقد نص بعضهم على أنه إذا تحقق الترجيح وجب العمل بالراجح وإهمال الآخر[١].

كما يؤيده أيضاً ما اتفق عليه الأصوليون من كون الجمع بين الدليلين أولى من الترجيح؛ لأن في الترجيح إسقاطاً لأحدهما[٢].

والثاني : أن الترجيح يكون بين الأقوال المقبولة وغير المقبولة، والصحيحة والضعيفة. وأما الاختيار فلا يكون إلا بين الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

ويُبنى على هذا أن الاختلاف بين الأقوال في الترجيح يكون في الغالب من

(١) ينظر: البحر المحيط، للزركشي (٦/١٣٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/١٤٢).

اختلاف التضاد، بخلاف الاختيار، فإن الاختلاف فيه إنما يكون من اختلاف التنوع.

(المطلب الثالث)
أهمية الترجيح والاختيار في علم التفسير

لدراسة الاختيارات والترجيحات، ومعرفة الأقوال الراجحة والمختارة في تفسير الآيات أهمية في التفسير من وجوه:

الوجه الأول: أن تحقيق أقوال المفسرين، والتمييز بينها، ومعرفة مراتبها من مقاصد علم التفسير.

وقد نص على ذلك بعض المفسرين ، ومنهم ابن جزي الكلبي، فقد ذكر في مقدمة تفسيره أن من مقاصد تصنيفه: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح.

قال مبيناً وجه هذا المقصد: (وذلك أن أقوال الناس على مراتب: فمنها الصحيح الذي يُعوَّل عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً)[1].

وهذا الذي ذكره ابن جزي لا يتحقق، ولا يعلم إلا بدراسة مواضع الخلاف، وتحقيق مراتب الأقوال، وبيان منزلتها. وهذا هو المقصود الأهم من دراسة الاختيارات والترجيحات.

الوجه الثاني: أن دراسة الاختيارات والترجيحات، وبيان الراجح من الأقوال

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي (١/ ٥).

والروايات يعدّ أحسن طرق حكاية الخلاف.

قال الإمام ابن تيمية معلقاً على قول الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف:٢٢]، بعد أن بيّن أنها اشتملت على الأدب في هذا المقام – مقام حكاية الخلاف – : (فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن يستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، ويذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم.

فأما من حكى خلافاً في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه. أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال؛ فهو ناقص أيضاً. فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ.

وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى؛ فقد ضيع الزمان، وتكثّر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب)[١].

الوجه الثالث: دراسة مواضع الخلاف في التفسير، وبيان الصحيح من الأقوال

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦٨/١٣).

وتحديد الراجح منها هو السبيل الأمثل لتنقية كتب التفسير من رديء الأقاويل، وضعيف الروايات، وشواذ المسائل.

وهذه التنقية من أهم ما ينبغي أن يعتني به أهل العلم المتخصصون، حتى يقوموا بواجب النصح للمسلمين، بتعليمهم معاني كلام الله تعالى على الوجه الأكمل.

كما أن اختيار القول الأقوى معنى، والأفصح لفظاً، والأكثر دلالة على المقصود من الأقوال المقبولة في تفسير الآيات يفيد في حمل كلام الله على أكمل الوجوه.

ومما يؤكد أن للاختيار أهمية كبيرة في التفسير: تصنيف التفاسير المختصرة التي تدعو الحاجة والمصلحة إلى الاقتصار فيها على قول واحد؛ فلا شك أن معرفة مراتب الأقوال تفيد في هذا الباب كثيراً؛ لأنها تعين المصنف على اختيار أفضل الأقوال في تفسيره.

الوجه الرابع: من الفوائد الهامّة لدراسة الاختيارات والترجيحات في التفسير أنها تُكسب الباحث خبرة بكتب التفسير، وتعطيه تصوراً صحيحاً عنها؛ فيتعرف بذلك على قيمة كل كتاب، وميزات كل تفسير. كما أن ذلك يفيد في معرفة مراتب المفسرين من حيث مكانتهم في التفسير، وقيمة ترجيحاتهم واختياراتهم. والله أعلم.

الفصل الأول
صيغ الترجيح وأساليبه عند مكي

ويشتمل على مبحثين:

١-صيغ الترجيح .
٢-أساليب الترجيح .

(المبحث الأول : صيغ الترجيح)

الصِّيَغ جمع صيغة وهي هيأة الأمر التي بُني عليها وصاغها قائلها أو فاعلها. يقال: صِيغةُ الأَمرِ كذا وكذا، أَي: هيئته التي بني عليها[١]. و "الصاد والواو والغين أصل صحيح، وهو تهيئة على شيء على مثال مستقيم"[٢].

والمقصود بها هنا: العبارات التي استخدمها مكي - رحمه الله - في الدلالة على القول الراجح، وبيان الأقوال الضعيفة.

ولقد تنوعت صيغ الترجيح عند مكي، كما عند غيره من المفسرين، ويمكن إجمالُ هذه الصيغ في أربعة أنواع، وهي:

١) التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية :

ومن هذه الصيغ ما يلي:

- وهذا القول أحب الأقوال إليّ .. [٣]
- وهو الاختيار .. [٤]
- وهذا القول حسن مختار .. [٥]
- وهذا القول أحسن الأقوال عندي .. [١]

---

(١) لسان العرب (٨/٤٤٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢١).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/١٩٢٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٥/٣٣٠٦، ٣٤٠١)، (٦/ ٣٨٨٤)، (١٠/ ٦٣٠٢).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٦/٤٢٥٥).

٢) التصحيح والتصويب لأحد الأقوال في تفسير الآية :

ومن هذه الصيغ ما يلي:

- وأصح الوجوه .. [٢]
- والصحيح .. [٣]
- وهو الصواب إن شاء الله .. [٤]
- وهذا هو الصحيح الظاهر .. [٥]
- والصواب .. [٦]
- أولى بالصواب .. [٧]
- والقول الأول أصح .. [٨]
- والقول الأول أصحها إن شاء الله .. [٩]

٣) الميل والتحسين والتفضيل لأحد الأقوال في تفسير الآية :

ومن هذه الصيغ ما يلي:

=

(١) ينظر: المرجع السابق (٨٣٢٠/١٢).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٣٦/١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢٥٧٩/٤)، (٤٢٣٤/٦)، (٤٥٠٩/٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢٩٣٢/٤)، (٤٤٥١/٦)، (٧٠٩٣/١١)، (٨٢٤٠/١٢).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٣٣٢٦/٥).

(٦) ينظر: المرجع السابق (٦٣٥٩/١٠).

(٧) ينظر: المرجع السابق (٧٠٤٥/١١).

(٨) ينظر: المرجع السابق (٧٧٧٢/١٢).

(٩) ينظر: المرجع السابق (٨٠٢٦/١٢).

- أبينها .. [١]
- أولى .. [٢]
- ولا يحسن هنا إلا .. [٣]
- أحسن .. [٤]
- وهو ظاهر القرآن .. [٥]
- أولى وأحسن .. [٦]
- وأولى هذه الأقوال .. [٧]
- والأول أشبه بالآية .. [٨]
- وهو أبين .. [١]

(١) ينظر: المرجع السابق (١/١٢٨)، (٢/١٣٥٩).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١٥٢، ٢٥٥، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٩٦، ٤١٩)، (٢/١٢١٦، ١٢٢٤، ١٣٦١، ١٤٢٧)، (٣/١٧٦٢، ١٩٧٩)، (٤/٢٧٥٣)، (٥/٣٦١٢)، (٦/٤١٠٥، ٤٢٦٨، ٤٢٧٩)، (٧/٤٧٥١)، (٨/٥١١٣)، (٩/٥٦٢٢)، (١١/٧٣٢٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١/١٩٠).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١/٢٠٨)، (٢/١١٤٦)، (٣/١٧٨٠)، (٤/٢٦٩٩، ٣٠٠٢)، (٥/٣٢٧٨، ٣٥٢٨)، (٦/٣٩٥٨)، (٧/٤٨١٣، ٤٨٤٧)، (٨/٥٤٥١)، (٩/٥٦٩٠)، (١١/٧٢١٢، ٧٣٨٢)، (١٢/٨٣٤٦).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١/٢٢٢).

(٦) ينظر: المرجع السابق (١/٣٣٤)، (٦/٤٢٦١).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١/٣٥٢)، (٧/٤٧٩٠).

(٨) ينظر: المرجع السابق (١/٣٥٧).

- أقرب إليها .. [٢]
- فهو أبين وأحسن .. [٣]
- وعليه أكثر الناس .. [٤]
- وهذا القول أحسن الأقوال .. [٥]
- وظاهر الآية يدل على .. [٦]
- وهو ظاهر الخطاب .. [٧]
- أولى به وأبين في الخطاب .. [٨]
- وأكثر الفقهاء على أنه .. [٩]
- والأحسن .. [١٠]

=

(١) ينظر: المرجع السابق (١/٤٣٣، ٩٢٥)، (٦/٣٩٥٠)، (٧/٤٩٢٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/٤٥٦).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٦٧٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١/٦٧٤)، (٢/١٢١٦، ١٢٢٤).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١/٧٤٥)، (٤/٢٨٦٧)، (٦/٤٤٠٧).

(٦) ينظر: المرجع السابق (١/٧٧٢).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١/٧٧٣)، (٦/٤٤٤٤).

(٨) ينظر: المرجع السابق (١/٧٩٦)، (١٠/٦٣٨٧).

(٩) ينظر: المرجع السابق (١/٩١٦).

(١٠) ينظر: المرجع السابق (٢/١٠٦٠)، (٣/١٨٥٥)، (٤/٢٨١٣)، (٦/٣٩٥٨)، (٧/٤٩٣٩)، (٩/٥٦٤٨).

- وهو الأشبه ..(١)
- أليق وأحسن ..(٢)
- وهو أولى بسياق الكلام ..(٣)
- أحسن وأقوم ..(٤)
- أبين في أقوال المفسرين وأكثر ..(٥)
- وهذا قول حسن ..(٦)
- وهو أشبه ..(٧)
- والأول أشهر ..(٨)
- وعليها أكثر المفسرين ..(٩)
- والاختيار عند أهل النظر ..(١٠)

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١٢٨٩/٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٣٢٧/٢).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١٣٧٩/٢).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١٤٥٧/٢).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١٥٧٦/٣).

(٦) ينظر: المرجع السابق (٢٢٤١/٣)، (٤٢٢٩/٦)، (٤٩٢١/٧)، (٨٢٠٠/١٢).

(٧) ينظر: المرجع السابق (٣٥٤٧/٥).

(٨) ينظر: المرجع السابق (٤١٠٠/٦).

(٩) ينظر: المرجع السابق (٢٦٩٧/٤)، (٤٢٦١/٦).

(١٠) ينظر: المرجع السابق (٤٥٢٣/٧).

- وهو ظاهر النص .. [١]
- وقول من قال ... أحسنها .. [٢]
- أليق .. [٣]

٤) التضعيف والتوهين لقولٍ، مما يحصر الصواب فيما عداه :

ومن هذه الصيغ ما يلي:

- وهو بعيد في العربية .. [٤]
- ويرُدُّ هذا القولَ .. [٥]
- وذلك بعيد .. [٦]
- وقوله ... يمنع من هذا القول .. [٧]
- وهو قول بعيد من الصواب .. [٨]
- وقال بعضهم ... وليس بشيء .. [٩]
- والذي يرد هذا .. [١]

(١) ينظر: المرجع السابق (٧/٤٨٣٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٨/٥٠٧٠)، (٩/٥٨٥٩).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥١٦٦)، (٩/٥٨٦٥).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١/٢٦٩).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١/٣٤١).

(٦) ينظر: المرجع السابق (١/٣٨٥).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١/٤٣٤).

(٨) ينظر: المرجع السابق (١/٥٠٨).

(٩) ينظر: المرجع السابق (١/٥٩٨).

- ولا يحسن هذا ..[٢]
- وفي هذا القول بُعْدٌ ..[٣]
- وقد طُعِن في قول ..[٤]
- وهذان القولان يردهما ..[٥]
- وهذا القول يضعفه قوله ..[٦]
- وفيه نظر ..[٧]

ولا يخفى -عند التأمل لصيغ الترجيح والاختيار السابقة عند مكي- قلة الصيغ والعبارات التي تدل على الجزم بمراد الله تعالى في الآية، كصيغة الصحة - التي تقابلها البطلان- في جنب العبارات الكثيرة والمتنوعة التي تدل على اختياره أو استحسانه لقول من الأقوال، مما يدل دلالة واضحة على ورع تام في القول لدى مكي – رحمه الله –؛ لاحتمال كثير من الآيات أكثر من معنى. والله أعلم.

=

(١) ينظر: المرجع السابق (١/٧٩٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٢/١٣٥١).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١١٤٥)، (٣/١٧٦٢)، (٦/٤٢٦١).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٣/١٩٢٤).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٤/٢٨٦٥).

(٦) ينظر: المرجع السابق (٧/٤٩٣٩).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١٠/٦٣٠٢).

(المبحث الثاني : أساليب الترجيح)

تنوعت الأساليب التي استخدمها الإمام مكي - رحمه الله – في تفسيره عند ترجيحه للأقوال المختلف فيها بين المفسرين على عدة أوجه ، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١-تصدير التفسير بذكر القول الراجح ثم القول المرجوح:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

* قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ٩٦] :

« ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾: إخبار عن أحد الذين أشركوا لو يعمّر ألف سنة، كان قد بلغ من حبهم في الحياة أن جعلوا تَحِيَّتَهُمْ: " عِشْ أَلْفَ سَنَةٍ " حرصاً على الحياة، فهؤلاء الذين يقولون أن لهم الجنة خالصة، هم أحب في الحياة من جميع الناس ومن هؤلاء الذين أدّاهم حرصهم على الحياة أن جعلوا تحيتهم: عِشْ ألف سنة "؛ وذلك لما قد علموا من سوء ما قدموا لأنفسهم.

وقيل: " إن معنى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ أي: أحد اليهود الذين قيل لهم تمنوا الموت. والأول أشبه بالآية »[١].

وهذا القول الذي ذكر مكي بأنه أشبه في تفسير الآية يخالفه فيه ابنُ جزي[٢]

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٣٥٦).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٧٦).

وابنُ كثير؛ فإنهما يريان أن القول الثاني المذكور هو الأليق والأنسب لسياق الآية، قال ابن كثير:

"وقال الحسن البصري: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ قال: المنافق أحرص الناس على حياة، وهو أحرص على الحياة من المشرك.

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ أي: أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق"[1]. وهو أوجه وأظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود، والله أعلم.

مثال آخر:

* قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤٠] :

" وقوله: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾.

أي: على أبي بكر[2]، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام لم تُفارِقْه السكينةُ قط.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٤).

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة الصديق، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، وتوفي في المدينة سنة ١٣هـ، وله ثلاث وستون سنة. صحابي مشهور. ينظر: الاستيعاب (٧٧٩)؛ وأسد الغابة (٣/ ٣١٠)؛ والإصابة (٦/ ٢٧١).

والسكينة: الطمأنينة من السكون.

وقد قيل: إنَّ " الهاء " تعود على النبي ﷺ.

والأول أحسن؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام معصومٌ من ذلك، على أنه قد قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٦]، وذلك أن النبي عليه السلام خاف على المؤمنين يوم حنين))[١].

وقد ذكر ابن كثير أن القول الثاني – أي: أن الهاء تعود على النبي ﷺ – هو أشهر القولين؛ وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال: ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ أي: الملائكة[٢]. وهذا القول الذي اختاره ابن كثير تؤيده قاعدة: "توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها"[٣]؛ لانسجام النظم، واتساق السياق، وقوة الإعجاز، مادام الأمر محتملاً، ولا حجة بيّنة توجب تفريقها، وتأبى توحيدها.

وضعّف ابنُ جزيّ ما اختاره مكيٌّ استناداً على القاعدة السابقة، فقال:

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٠٠١/٤). ينظر أمثلة أخرى : (٢٥٥/١، ٤٥٦، ٧٧٢، ٧٩٤، ٩١٦)، (١١٤٦/٢، ١٢١٦، ١٢٢٤، ١٣٢٧)، (١٥٧٦/٣، ١٧٦٢، ١٨٥٥)، (٢٦٩٩/٤، ٢٧٥٣)، (٣٢٧٨/٥، ٣٤٠١)، (٣٩٥٠/٦، ٣٩٥٨، ٤١٠٠، ٤١٠٥، ٤٢٦٨) (٤٨٣٧/٧، ٤٨٤٧)، (٥١١٣/٨، ٥١٦٦، ٥١٧٣، ٥٤٥١)، (٥٦٤٨/٩، ٦٠٠٣)، (٦٣٨٧/١٠)، (٧٣٨٢/١١)، (٨٣٤٦/١٢، ٧٧٧٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٥٥/٤).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي (٢٤١/٢).

"ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة يوم بدر وغيرهم"(١).

ولا ينافي ذلك وقوع شيء من الخوف عند النبي ﷺ في تلك الحال بمقتضى طبيعته البشرية؛ فهو يخاف كغيره من الأنبياء، كما حكى الله ذلك عن موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه: ٦٧].

وما استدل به الإمام مكي رحمه الله من الآية الأخرى - آية الفتح - على ترجيح القول الأول، يمكن أن يُستدل به على ترجيح القول الآخر، بأن يقال: إن القول الذي تؤيده آية قرآنية مقدمٌ على غيره(٢)، وآية الفتح تؤيد ما اختاره ابن جزي وابن كثير رحمهما الله تعالى.

ومع ذلك كله: فلا يمنع مانع من عود الضمير على النبي ﷺ وأبي بكر ﵁ جميعاً، فقد يُذكر شيئان، ويعود الضمير على أحدهما اكتفاءً بذكره عن الآخر، مع كون الجميع مقصوداً(٣)، والله أعلم.

٢-تصدير التفسير بذكر القول المرجوح ثم القول الراجح:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

* قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٥٨).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي (١/٢٨١).

(٣) قواعد التفسير، لخالد السبت (١/٤٠٦).

إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٢] :

((قوله: ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ ﴾ الآية.

قيل: معناه: من لم يجد الدية ولا الرقبة فليصم شهرين متتابعين.

وقيل: معناه: من لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين، وهذا القول أولى؛ لأن الدية لم تجب على القاتل خطأ فيكون الصيام يقوم مقامها، وإنما وجبت الدية في الخطأ على العاقلة، فلا يجزئ عنها صوم القاتل))(١). واختيار مكي رحمه الله يدل على فقه عميق، ونظر ثاقب؛ إذ الذي يجب على القاتل خطأً هو عتق الرقبة، فإذا لم يجدْها انتقل إلى الصيام.

مثال آخر:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٥] :

((ثم قال تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾.

أي: عذاب يوم القيامة، ومعنى عقيم لا ليلة له، شبهت الليلة باليوم، بمنزلة الولد للوالدة، هذا قول الضحاك(٢) وعكرمة.

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٤٢٦).

(٢) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي الخراساني، أبو القاسم، ويقال: أبو محمد، مفسر. له كتاب في =

وقيل: عنى به يوم بدر.

وسمي عقيماً لأنهم لم يُنظروا إلى الليل، قال ذلك مجاهد، وابن جبير[١]، وقتادة[٢] وأبي بن كعب[٣].

وهذا القول حسن؛ لأنه قد تقدم ذكر يوم القيامة في قوله: ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فلا يكون يوم القيامة مرة أخرى، وإنما المعنى: لا يزالون في شك من القرآن حتى تقوم الساعة أو يقتلوا يوم بدر))[٤].

=

(التفسير)، توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ. تابعي مشهور. ينظر: تهذيب الكمال (٢٩١/١٣)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (٢٢٢/١).

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، حبشي الأصل، ولد سنة ٤٥هـ، وتوفي سنة ٩٥هـ، قتله الحجاج (عامله الله بما يستحق). تابعي مشهور. ينظر: تهذيب الكمال (٣٥٨/١٠)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (١٨٨/١).

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. ولد سنة ٦١هـ، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ. تابعي مشهور. ينظر: تهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (٤٧/٢).

(٣) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، من بني النجار، أبو المنذر. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود. توفي في المدينة سنة ٢١هـ. صحابي مشهور. ينظر: الاستيعاب (٤٢)؛ وأسد الغابة (١٦٨/١)؛ والإصابة (٥٧/١).

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٢١/٧). ينظر أمثلة أخرى : (٣٣٤/١، ٣٩٦، ٤٣٣)، (١٠٦٠/٢، ١٢٨٩، ١٣٧٩، ١٤٢٧، ١٤٥٧)، (٣٣٠٦/٥، ٣٦١٢)، (٤٢٢٩/٦، ٤٢٧٩، ٤٤٥١) (٤٩٢١/٧)، (٥٧٧٦/٩، ٥٨٦٥)، (٧٠٩٣/١١)، (٨٢٤٠/١٢).

وقد خالف مكياً في ترجيحِه ابنُ جزي وابنُ كثير وغيرُهما من المفسرين، مدعّمين اختيارَهم بدلالة السياق؛ إذ يقول الله عز وجل بعدها: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج: ٥٦]؛ وبدلالة القرآن، كقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقوله: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وسبق ذكر القاعدة التي تقول: بأن القول التي تؤيده آيات قرآنية مقدمٌ على غيره.

ويكون المعنى حينئذ: حتى تأتيهم الساعة، أي: ساعة موتهم[1]- إذ هي تفجؤهم، ولا علم لهم بها- أو يأتيهم عذاب يوم القيامة. والله أعلم.

٣-التضعيف والتوهين لبعض الأقوال مع التصريح بترجيح غيرها:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠] :

" قوله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾.

يعني بهم: بني قريظة.

(١) ينظر: النكت والعيون، للماوردي (٤/ ٣٧).

قال السدي(١): هم أهل فارس.

وهذان القولان يردهما علم المؤمنين ببني قريظة وبفارس، وقد قال تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾.

وقال ابن زيد(٢): هم المنافقون لا تعلمونهم؛ لأنهم معكم، يقولون: لا إله إلا الله، لا يعلمهم إلا الله.

وهذا قول حسن موافق لقوله: ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾، فالله هو المطلع على سرائرهم.

وقيل: هم الجن، وهو اختيار الطبري.

وهو أحسن الأقوال، لما رُوي أن الجن تفرُّ من صهيل الخيل.

ورُوِيَ: أن الجن لا تقرب داراً فيها فرس(٣)، وأيضاً: فإنا لا نعلمهم، كما قال

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي القرشي السدي، أبو محمد الكوفي الأعور، حجازي الأصل، صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، سكن الكوفة. توفي سنة ١٢٨هـ. تابعي مشهور. ينظر: تهذيب الكمال (٣/١٣٢)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (١/١١٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي العمري مولاهم المدني، وهو ضعيف كثير الحديث. توفي سنة ١٨٢هـ. له: «التفسير» و «الناسخ والمنسوخ». ينظر: تهذيب الكمال (١٧/١١٤)؛ والعبر، للذهبي (١/٢١٨)؛وطبقات المفسرين، للداوودي (١/٢٧١).

(٣) روي ذلك من حديث سعيد بن سنان، عن يزيد بن عبد الله بن عُرَيْب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ كان يقول في قوله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ قال: "هم الجن"، قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان لا يخبّل أحداً في دارٍ فيها فرسٌ عتيقٌ ». أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده برقم (٦٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/١٨٩). وسعيد بن سنان- وهو الحنفي، أبو مهدي الحمصي- متروك،

=

عز وجل.

روى ابن مِقْسَمٍ[١]: أن رجلاً أتى ابن عباس، فشكا إليه ابنته تُعترى[٢]، فقال له: ارتبط فرساً، إن كنت ممن يركب الخيل وإلا فاتخذه، فإن الله جل اسمه، يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ، فإن الجن من الذين لا تعلمونهم، ففعل الرجل ما أمره، فانصرف عن ابنته العارض›› [٣].

وما اختاره مكي والطبري هنا يخالفهما فيه ابنُ كثير، فهو يرى أن أشبه الأقوال بالآية هو القول الثالث الذي وصفه مكي بالحسن، وأن المراد بهم المنافقون. يقول رحمه الله في تفسيره: " وقال مقاتل بن حيان[٤]، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم

=

وحكم عليه البخاري بالنكارة، ورماه الدارقطني وغيرُه بالوضع. وقال الهيثمي في المجمع (١٠١/٧): "وفيه مجاهيل". قال ابن كثير في تفسيره (٨٢/٤): " وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه". ينظر: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لابن أبي بكر الهيثمي (ص ٦٧٦)؛ وتهذيب التهذيب (٢٥/٢).

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن، بن مقسم العطار، أبو بكر، عالم بالقراءات والعربية. من أهل بغداد. ولد سنة ٢٦٥هـ، وتوفي سنة ٣٥٤هـ. له: «الأنوار في تفسير القرآن»، و «الاحتجاج في القراءات». ينظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (٣٠٦/١)؛ وغاية النهاية، لابن الجزري (١١٠/٢)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (١٣١/٢).

(٢) أي تصيبها غشية، يقال: عراه الأمر يعروه عرْواً، واعتراه: غشيه وأصابه. اللسان (٤٤/١٥) مادة (عرا).

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٨٦٥/٤).

(٤) هو مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي الخراز، مولى بكر بن وائل، عالم خراسان الحافظ. كان إماما

=

المنافقون، وهذا أشبه الأقوال"(١).

ويدعّم هذا الرأي الذي اختاره بقول الله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١]. وسبق ذكر القاعدة التي تقول: بأن القول التي تؤيده آية قرآنية مقدمٌ على غيره، خصوصاً وأنَّ القولَ الذي اختاره مكيٌّ مبنيٌّ على خبرٍ لا تقوم به الحجة؛ لضعفه ونكارته(٢)، والله أعلم.

مثال آخر:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٦] :

" قال: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾.

أي: إن كاد هؤلاء المشركون أن يستخفوك من الأرض التي أنت فيها ليخرجوك منها، ولو أخرجوك منها لم يلبثوا خلفك فيها إلا قليلاً.

=

صادقا ناسكا خيرا كبير القدر صاحب سنة واتباع، وثقه يحيى بن معين وأبو داود. مات قبيل سنة (١٥٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٢٨/٤٣٠)؛ وتذكرة الحفاظ (١/١٣١)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (٢/٣٢٩).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٨٢).

(٢) قال محمود شاكر في هامش تحقيقه لتفسير الطبري: " وهذا الذي قاله الطبري – وهو ما اختاره مكي– رده العلماء من قوله، وحق لهم... والآية عامة، لا أدري كيف يخصصها أبو جعفر بخبر لا حجة فيه". (١٤/٣٨).

قيل: إنهم هم اليهود. أرادوا أن يحتالوا على النبي ﷺ في الخروج من المدينة. وقالوا له: إن أرض الأنبياء أرض الشام. وإن هذه ليست بأرض نبيء فأنزل الله الآية. قال هذا المعتمر بن سليمان عن أبيه[١].

وقيل: هم قريش أرادوا إخراج النبي ﷺ من مكة قاله قتادة. و قال: قد فعلوا ذلك بعد، فأهلكهم الله عز وجل يوم بدر، وكانت سنة الله عز وجل في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

وقال الحسن: همت قريش بإخراج النبي ﷺ من مكة، فأراد الله عز وجل نفي قريش، فأمره الله عز وجل أن يخرج منها مهاجراً إلى المدينة، فخرج بأمر الله عز وجل، ولو أخرجوه هم لهلكوا، كما قال: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقيل: الأرض هنا أريد بها أرض الحجاز. وقيل: مكة، وعليها أكثر المفسرين. وقيل: المدينة، وفيه بعد؛ لأن السورة مكية، ولم يكن النبي عليه السلام في المدينة عند نزول هذه الآية، فالأرض يعني بها مكة: أحسن وأولى))[٢].

وهنا نلحظ أن مكياً سخّر علمه بالمكي والمدني في الترجيح بين هذه الأقوال،

---

(١) هو معتمر بن سليمان بن طرخان، أبو محمد، التيمي الدار، ولم يكن من بني تيم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم، من موالي بني مرة، محدث البصرة في عصره. انتقل إليها من اليمن، وكان حافظا ثقة، ولد سنة (١٠٦هـ)، توفي سنة (١٨٧هـ). وأبوه هو سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، ولد سنة (٤٦هـ)، توفي سنة (١٤٣هـ) عن عمر يناهز (٩٧) عاماً. ينظر: تهذيب الكمال (٢٥٠/٢٨) و(٥/١٢)؛ وتذكرة الحفاظ (١٩٥/١، ١١٣).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٢٦٠/٦). ينظر أمثلة أخرى : (٧٦١/١، ٧٩٦)، (١٧٦٢/٣، ١٩٢٤)، (٤٩٣٩/٧)، (٦٣٠٢/١٠).

فالآية نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم، فتوعدهم الله بهذه الآية، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرًا. وكذلك وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم، بعد ما اشتد أذاهم له، إلا سنة ونصف السنة، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد، فأمكنه منهم، وسلطه عليهم، وأظفره بهم، فقتل أشرافهم، وسبى سَراتِهم.

٤-الاكتفاء بتضعيف وتوهين أحد الأقوال عن التصريح بترجيح غيره:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]:

«﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ ﴾: قويناه وأعناه ونصرناه. والأيد والآدّ القوة.

وقرأ ابنُ مُحَيْصِن[١]: " وآيدْناه " بالمد[٢].

و" روح القدس ": جبريل. قاله قتادة والسدي والضحاك والربيع بن أنس[١].

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء، أبو حفص المكي، مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية. انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة. وكان لا بأس به في الحديث. وتوفي سنة ١٢٣هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (١/٩٨)؛ وغاية النهاية، لابن الجزري (٢/١٤٨).

(٢) وهي أيضاً قراءة أبي عمرو. ينظر: المحتسب، لابن جني (١/٩٥)؛ ومعجم القراءات القرآنية، لأحمد مختار، وعبد العال مكرم (١/٨٤).

وروي ذلك عن النبي عليه السلام[٢]. وقاله ابن عباس.

وقال ابن زيد: " هو الإنجيل، سمي روحاً كما سمي القرآن روحاً، فقال تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

ويردُّ هذا القولَ قولُه تعالى: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ {المائدة: ١١٠]. فدل هذا على أن روح القدس غير الإنجيل.

فإن حُمل على أنه أعيد للتأكيد كما قال: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الرحمن:

=

(١) هو الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني، صدوق له أوهام ورمي بالتشيع. توفي سنة ١٣٩هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٩/٦٠)؛ وسير أعلام النبلاء (٦/١٦٩) ؛ وتهذيب التهذيب (١/٥٨٩).

(٢) روي ذلك من حديث ابن فضيل، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: " روح القدس جبريل عليه السلام ". أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٢/٧٧٦ برقم (٣٥٢). وإسناده ضعيف؛ لأن فيه مجالداً- هو ابن سعيد الهمْداني- وهو ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره. ينظر: تهذيب التهذيب (٤/٢٤).

ولكن هناك أحاديث أخرى تدل على أن روح القدس هو جبريل، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سعيد بن المسيب قال: "مر عمر في المسجد، وحسان ينشد، فقال: كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: (أجب عني، اللّهم أيده بروح القدس)، قال: نعم". هذا لفظ البخاري، ووقع في رواية أخرى عندهما: " قال النبي ﷺ لحسان: اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك". صحيح البخاري (ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة) ٣/١١٧٦، برقم ٣٠٤٠، وصحيح مسلم (ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل حسان بن ثابت ﷺ) ٤/١٩٣٢، برقم ٢٤٨٥.

٦٨]، وقال: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، فهو وجه.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: " روح القدس هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى ﷺ الموتى ".

وقال مجاهد: " القدس: الله جل ذكره، وسمي جبريل روحاً لأنه كان بتكوين الله له من غير ولادة، كما سمي عيسى ﷺ روحاً، فقال: ﴿ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال السدي: " القدس هنا البركة ".

وقال الربيع: القدس هو الله، ويدل عليه قوله: ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣]. والقدوس والقدس واحد ". ورواه ابن وهب(١) عن مجاهد أيضاً)) (٢).

وهنا ذكر الإمام مكي عدة أقوال لـ (روح القدس)، وردّ إحداها بدلالة القرآن، واستشهد لقول آخر بدلالة القرآن أيضاً، لكنه لم يرجحه بذلك. ويظهر لي من خلال هذا المثال ميله لأول الأقوال وهو (جبريل)؛ إذ قدمه على غيره، ولم يَرُدّه، بل دعّمه باختيار جماعة من التابعين له، وبأنه مرويٌ عن النبيﷺ، وأنه قول ابن عباس، وعلل له

---

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد، فقيه من الأئمة. من أصحاب الإمام مالك. جمع بين الفقه والحديث والعبادة. له كتب، منها (الجامع)، و(الموطأ) كلاهما في الحديث. وكان حافظا ثقة مجتهدا. مولده ووفاته بمصر. ولد سنة ١٢٥هـ، وتوفي سنة ١٩٧هـ. ينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض (٣/٢٢٨)؛ وتهذيب الكمال (١٦/٢٧٧)؛ وسير أعلام النبلاء (٩/٢٢٣).

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٣٤١).

أيضاً بذكر سبب تسمية جبريل بذلك، والله أعلم.

مثال آخر:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] :

« قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ الآية.

قال ابن عمر[١]: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ لا نشك في قاتل المؤمن، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، يعني في الشهادة له بالنار حتى نزلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فأمسكنا عن الشهادة.

وروي عن ابن عمر أنه قال: لما نزلت ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الزمر: ٥٣] إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: والشرك يا رسول الله. فنزلت ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فكان قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ أنه ما دون الشرك.

وقيل: المعنى: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بعد التوبة، ولا يحسن هذا؛ لأنه يجب منه أن يكون من تاب ومات على توبته موقوفاً على المشيئة: إن شاء غفر له، وإن شاء لم يغفر له، وهذا قول لم يقله أحد، ولا يجوز اعتقاده بل الميت على توبته مغفور له

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن. ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، وكان جريئا جهيرا. نشأ في الاسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها. وكُفَّ بصرُه في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة ٧٣هـ. صحابي مشهور. ينظر: الاستيعاب (٤١٩)؛ وأسد الغابة (٣/٣٣٦)؛ والإصابة (٦/٢٩٠).

بإجماع))[١].

وهنا اكتفى برد أحد القولين في معنى الآية، مما يدل على اختياره للآخر.

٥-التصدير بذكر الأقوال ثم الترجيح:

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]:

((قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ الآية.

أي إن كنتم أيها الناس في شك من القرآن أنه ليس من عند الله فأتوا بسورة من مثل القرآن.

وقيل: من مثل محمد ﷺ في صدقه وأمانته.

وقال ابن كيسان[٢]: " معناه أنهم زعموا أن محمداً شاعر، وأنه ساحر، فقيل: إيتوا بسورة من مفترٍ أو من شاعر أو من ساحر.

وقيل: معنى: ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ من مثل التوراة والإنجيل.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٣٥٠/٢). ينظر أمثلة أخرى : (٢٦٩/١، ٣٨٥، ٤١٥، ٤٣٤، ٥٠٨، ٥٩٨)، (١١٤٥/٢).

(٢) هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين، تفقها في الدين ورواية للحديث، وتقشفا في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن. ولد سنة ٣٣هـ، وتوفي حاجا سنة ١٠٦هـ. ينظر: الطبقات، لخليفة بن خياط (٢٨٧)؛ وسير أعلام النبلاء (٣٨/٥).

والاختيار عند الطبري أن يكون معناه من مثل القرآن في بيانه، دليله قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨].

ولا يحسن هنا إلا مثل القرآن. فحمل الآيتين على معنى واحد أولى.

ولم يعن بقوله: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ إذا جعلت الهاء للقرآن في التأليف والمعاني؛ لأنه لا مثل للقرآن، إنما عني ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ في البيان؛ لأن الله أنزله بلسان عربي مبين، فقيل لهم: كلامكم فيه البيان، وهذا القرآن فيه البيان، فأتوا من كلامكم بسورة مثل القرآن في البيان، فأما التأليف والمعاني والرَّصف فهي معانٍ بَايَن القرآنُ فيها المخلوقات، فلا مثل له في ذلك يضاف إليه فاعلمه››[1].

وهنا نجد الإمام مكياً يرجح أحد الأقوال في الآية مستشهداً بنظيرها في موضع آخر، ويبين أن حمل الآيتين على معنى واحد أولى وآكد، لاسيما وأنهما متحدتان في الموضوع.

مثال آخر:

* قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٥] :

‹‹ قوله: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ الآية.

المعنى: فمن أهل الكتاب الذين قيل لهم آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم: من آمن بالله عز وجل. وقيل: بمحمد ﷺ.

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١٨٩).

وقيل: بالقرآن وهو أبينها؛ لقوله: ﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا ﴾ [النساء: ٤٧]، ثم قال ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ أي: بما نزلنا، وهو القرآن، ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ أي: لم يؤمن به.

وقيل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ أي: عن محمد ﷺ، أي: أعرض عنه، وقيل: ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: القرآن. قاله مجاهد، وقيل: ﴿ بِهِۦ ﴾ بهذا الخبر»[(١)].

وهنا أيضاً نجده يرجح أحد الأقوال في الآية مستشهداً بآية أخرى في نفس السياق.

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٣٥٩). وينظر أمثلة أخرى: (١/١٢٨، ٢٠٨، ٣١٢، ٣٢٩، ٣٧٦، ٤١٧، ٦٧٣، ٧٤٥، ٨٠٢، ٩٢٤)، (٢/١١٨٧، ١٧٨٠، ١٩٧٩، ٢٢٤١)، (٣/١٩٦٢)، (٤/٢٥٧٩، ٢٨١٣، ٢٩٣٢)، (٥/٣٣٢٦، ٣٥٢٨، ٣٥٤٧)، (٦/٣٨٨٤، ٤٠٨٣، ٤٢٣٤، ٤٢٥٥، ٤٤٠٧، ٤٤٤٤)، (٧/٤٥٠٩، ٤٥٢٣، ٤٧٥١، ٤٩٢٠)، (٨/٥٠٧٠)، (٩/٥٦٢٢، ٥٨٥٩)، (١٠/٦٣٥٩)، (١١/٧٠٤٥، ٧٢١٢، ٧٣٢٩)، (١٢/٨٠٢٥، ٨٢٠٠، ٨٣٢٠).

الفصل الثاني

وجوه الترجيح عند الإمام مكي

ويشتمل على أحد عشر مبحثاً :

١- الترجيح بالقرآن.
٢- الترجيح بظاهر القرآن.
٣- الترجيح بالسياق القرآني.
٤- الترجيح بالسنة.
٥- الترجيح بأسباب النزول.
٦- الترجيح بأقوال الصحابة.
٧- الترجيح بأقوال التابعين.
٨- الترجيح باللغة.
٩- الترجيح بقول الجمهور.
١٠- الترجيح بالرأي والاجتهاد.
١١- ما رجحه من غير ذكر الدليل.

تمهيد

إن المنهج القويم لمن يفسر كتاب الله تعالى أن يبحث في القرآن عن معنى الآيات، فإن لم يجد تفسير القرآن في القرآن، فليطلبه فيما صح وثبت في السنة عن رسول الله ﷺ، فإن لم يجد فليطلبه في أقوال الصحابة، وليتحاشَ الضعيف والموضوع والإسرائيليات، فإن لم يجد في أقوال الصحابة، فليطلبه في أقوال التابعين.

قال الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله(١):

" فأعلى المراتب تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن كتاب متكامل، ما يجمله في موضع يفسره في آخر، وهكذا.

وتلي هذه المرتبة تفسير النبي ﷺ.

والمرتبة الثالثة تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وهم الذين تلقوا تفسيرهم عن النبي ﷺ، ولقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(٢) أنه قال: "والله الذي لَا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد

---

(١) هو محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعروف بأبي زهرة، ولد في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر سنة ١٣١٥هـ، وتوفي سنة ١٣٩٤هـ. ألف ما يزيد عن ٣٠ كتابًا غير بحوثه ومقالاته، من أشهرها: تاريخ المذاهب الإسلامية، وزهرة التفاسير. ينظر : الأعلام، للزركلي (٦/٢٥)؛ وقمم إسلامية: أبو زهرة، للشيخ أبي بكر عبد الرازق.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من أكابر الصحابة فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. توفي سنة ٣٢هـ. ينظر : الاستيعاب (٤٠٧)؛ وأسد الغابة (٣/٣٨١)؛ والإصابة (٦/٣٧٣).

أعلم بكتاب الله مني تناولته المطايا[١] إلا أتيته"[٢].

والمرتبة الرابعة مرتبة التابعين[٣] الذين تلقوا علم الصحابة كمجاهد وقتادة، وقد يختلفون، فيرى ابن تيمية أنه إذا اختلف التابعون اختار من أقوالهم، ولا يخرج عنها؛ فإن التابعين قد دخلت في عهدهم الإسرائيليات، ومعابث النصارى، فيجب الأخذ عنهم باحتراس ويقظة، وإذا اختلفوا نأخذ من أقوالهم ما ليس فيه دَسٌّ على الإسلام؛ لنصون كتاب الله تعالى عن تطاول المفسدين"[٤].

وأما ما يجب اتباعه والأخذ به في التفسير يمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع:

الأول: ما صح من تفسير النبي ﷺ؛ فليس بعد تفسير رسول الله ﷺ تفسير، وليس بعد قوله قول.

الثاني: ما صح مما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع؛ كأسباب النزول، والغيبيات، وما لا يُقال من قبيل الرأي والاجتهاد.

الثالث: ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون؛ لأن إجماعهم حجة يجب الأخذ به.

الرابع: ما ورد عن الصحابة خصوصاً، أو عن التابعين ممن هم في عصر الاحتجاج اللغوي من تفسير لغوي، فإن كان مجمعاً عليه فلا إشكال في قبوله

---

(١) المطايا: جَمْعُ مَطِيَّة وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي يُرْكَبُ مَطاها أَي ظهرها. لسان العرب، لابن منظور (١٥/٢٨٦). مادة (مطا).

(٢) رواه مسلم في (ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه) ٤/١٩١٣، برقم (٢٤٦٣).

(٣) أي تفسير القرآن بأقوال التابعين.

(٤) زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبي زهرة (١/٣٠).

وحجيته، وإن ورد عن واحد منهم أنه فسر كلمة بمعنىً معينٍ ولم يُعرف له مخالفٌ فهو مقبول.

قال الزركشي رحمه الله: "ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتمادهم"(١).

وأما إن اختلفوا في معنى لفظة لاحتمالها أكثر من معنى، فهذا يُرجع فيه إلى المرجحات.

وقد اعتمد مكي رحمه الله في تفسيره على التفسير بالمأثور، واحتج به، فرجح به على غيره عند الاختلاف، فنرى عنايته بتفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين(٢)، وغيرها.

وسيتبين تفصيل ذلك مدعما بالأمثلة من خلال المباحث الآتية ..

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/١٧٢).

(٢) ينظر: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، لأحمد حسن فرحات (٢٢٩).

المبحث الأول

﴿ الترجيح بالقرآن ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

حجية هذا النوع من طرق التفسير

إن الترجيح بالقرآن هو استعمالٌ لأعلى طرق التفسير[1]، وهو تفسير القرآن بالقرآن[2]، ولكنْ في موطن الترجيح عند الاختلاف، بينما تفسير القرآن بالقرآن أوسع

---

(١) طرق التفسير: هي المصادر التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكلام الله. شرح مقدمة التفسير، للطيار (٢٦٩).

(٢) من الرسائل المؤلفة في تفسير القرآن بالقرآن:

- تفسير القرآن بالقرآن: أصوله ومنهجه، للسيد عبد المقصود جعفر، جامعة القاهرة (رسالة دكتوراه).
- تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تاريخية نظرية، لمحمد قجوي، جامعة محمد الخامس (رسالة دكتوراه).
- تفسير القرآن بالقرآن، لفاضل عبد العباس النعيمي، جامعة بغداد (رسالة دكتوراه).
- تفسير القرآن بالقرآن: تأصيل وتقويم، لمحسن المطيري، جامعة الملك سعود (رسالة دكتوراه).
- تفسير القرآن بالقرآن، لأحمد البريدي.

وممن اهتم بهذا النوع من المفسرين:

- الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره: جامع ا لبيان عن تأويل آي القرآن.
- الحافظ ابن كثير في تفسيره: تفسير القرآن العظيم.
- والأمير الصنعاني في تفسيره: مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن.
- والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
- وثناء الله الأمر تسري في تفسيره: تفسير القرآن بكلام الرحمن.

=

من ذلك، فهو يشمل مواطن الاختلاف والاتفاق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر... والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه"(١).

ويقول ابن قيم الجوزية(٢): "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير "(٣).

والمقصود بتفسير القرآن بالقرآن : بيان معاني القرآن بالقرآن(٤)، أي: أن تبين آيةٌ قرآنيةٌ آيةً أخرى.

إلا أن حدّ هذا البيان وقع فيه اختلاف بين الباحثين المعاصرين : أكُلُّ ربط بين

=

ومع ذلك فإنه لا يخلو تفسير من تفاسير المتقدمين أو المتأخرين من وجود هذا النوع فيه كتفسير مكي بن أبي طالب، وابن عطية، وأبي حيان، وابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/ ٣٦٣).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، أحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه. ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ. له تصانيف كثيرة من أشهرها: (إعلام الموقعين)، و (زاد المعاد) وغيرها. ينظر : الدرر الكامنة، لابن حجر (٣/ ٤٠٠)؛ وذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٥/ ١٧٠)؛ وشذرات الذهب، لابن العماد (٨/ ٢٨٧).

(٣) التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم (ص ٢٧٨).

(٤) ينظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للطيار (١٢٧)، وتفسير القرآن بالقرآن، لمحسن المطيري (٣٣).

آيتين يعد من تفسير القرآن بالقرآن، أم يقتصر على ما يتوقف عليه فهم المعنى ؟

ويمكن تلخيص المسألة في النقاط التالية:

أولاً: ما يتوقف عليه فهم المعنى داخل في الحد بلا إشكال، وهو موضع اتفاق، وهذا يشمل صوراً عدة[١] :

- تبيين المجمل
- وتقييد المطلق
- وتخصيص العام
- وتفسير لفظة بلفظة
- وبيان الناسخ للآية المنسوخة

ونحو ذلك مما يكشف المعنى، ويوضح المراد.

ثانياً: ما ربط بينهما العلماء من الآيات مما هو خارج عن حد البيان، هذا هو المختلف فيه، فبعضهم يعده داخلاً في تفسير القرآن بالقرآن، بينما يراه أصحاب القول الآخر توسعاً وتجاوزاً لهذا الحد. ومن صور ذلك[٢]:

- إتمام قصة في القرآن بجمع مواضعها.
- الجمع بين متوهم الاختلاف.

---

(١) للتمثيل عليها ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي (١/ ٣٧ وما بعدها)، وفصول في أصول التفسير، للطيار (٢٣).

(٢) للتمثيل عليها ينظر: مقدمة أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ١٠ وما بعدها)، والتفسير والمفسرون، للذهبي (١/ ٣٧ وما بعدها).

- جمع الآيات المتشابهة في الموضوع.
- جمع موارد اللفظ في القرآن.

ونحو ذلك مما هو جمع وإضافة معنى، لا إيضاح وبيان.

ثالثاً: نجد من خلال النظر في كتب المفسرين - الذين اعتنوا بهذا النوع من التفسير- توسعاً في استخدام هذا المصطلح (تفسير القرآن بالقرآن)، ومن هؤلاء الإمام مكي بن أبي طالب -رحمه الله- في تفسيره[1]، وهذا يدل على أنه لا حرج من التوسع في استخدام هذا المصطلح، ما دام مقبولاً غير متكلف فيه، ويفيد فائدة مستحسنة.

ولكن الشأن: هل تفسير القرآن بالقرآن والترجيح به يقبل مطلقاً، ويحتج به أم لا ؟

والجواب على ذلك أن يقال: إن تفسير القرآن بالقرآن له جانبان:

الأول/ الطريقة والاستعمال.

الثاني/ المفسِّر بهذا الطريقة.

فأما الطريقة واستعمالها في التفسير فهو حق لا مرية فيه، والأصل في ذلك:

- ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال: " لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ،

---

(١) وسيأتي بيان ذلك بالأمثلة في المبحث التالي إن شاء الله.

أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]"(١)، فخص عموم آية الأنعام بآية لقمان.

- وما جاء في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]"(٢)، ففسر آية الأنعام المجملة بآية لقمان المفصلة.

- وما رواه الترمذي عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه(٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، وَقَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]"(٤)، فخص عموم أول الآية بآخرها(٥).

---

(١) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾) ٦/ ١١٤، برقم (٤٧٧٦)؛ ومسلم (ك: الإيمان، ب: صدق الإيمان وإخلاصه) ١/ ١١٤، برقم (١٢٤).

(٢) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾) ٦/ ٥٦، برقم (٤٦٢٧).

(٣) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، له ولأبويه صحبة، ولد عام اثنتين من الهجرة، وهو أول مولود ولد في الانصار بعد قدوم النبي ﷺ، ثم سكن الشام، وولي إمرة الكوفة، وقتل بحمص سنة ٦٥هـ، وله أربع وستون سنة. ينظر : الاستيعاب (٧٢٣)؛ وأسد الغابة (٥/ ٣١٠)؛ والإصابة (١١/ ٧٧).

(٤) رواه الترمذي في (ك: التفسير، ب: سورة البقرة) ٥/ ٢١١، برقم (٢٩٦٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) بيانه: أن الدعاء في أول الآية يشمل نوعي الدعاء: العبادة والمسألة، فخَص في آخر الآية الدعاء بالعبادة.

- وما جاء في البخاري عن أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى ﵁[(١)]، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي[(٢)]، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[(٣)]، ففسر إجمال سورة الحجر بالفاتحة.

فكل هذه الأحاديث تدل على أصل عظيم ومصدر أصيل في التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن.

وأما المفسِّر بهذه الطريقة: فلا شك أن إلحاق المفسِّر آيةً بأخرى هو من قبيل الرأي والاجتهاد، إلا ما جاء عن المعصوم ﷺ فإنه وحي.

وعليه: فإن تفسير القرآن بالقرآن لا يُقطع بحجيته وصحته إلا إن كان الذي فسر الآية بالآية رسولُ الله ﷺ، أو وقع عليه الإجماع، أو صدر عن أحد الصحابة ولم

---

(١) هو الحارث بن نفيع بن المعلى الأنصاري المدني، صحابي. وقد خطّأ ابنُ عبد البر من سماه رافع بن المعلى، توفي سنة ٧٣هـ، وهو ابن أربع وثمانين سنة. ينظر : الاستيعاب (٨١٥)؛ وأسد الغابة (١٣٩/٦)؛ والإصابة (٢٩٦/١٢).

(٢) يشير إلى آية الحجر: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].

(٣) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ما جاء في فاتحة الكتاب) ١٧/٦، برقم (٤٤٧٤).

يُعلم له مخالف[١].

وبهذا لا يمكن القول بحجيّة تفسير القرآن بالقرآن مطلقاً، بحيث يجب قبوله ممن هو دون النبي ﷺ، والله أعلم.

(١) ينظر: قواعد التفسير، لخالد السبت (١/١٠٩).

(المطلب الثاني)
عناية مكي بهذا الطريق من طرق التفسير والترجيح به

لقد اعتنى الإمام مكي بن أبي طالب – رحمه الله – في تفسيره بهذا الطريق من طرق التفسير، ونجده كغيره من المفسرين يتوسعون في استعمال هذا الطريق – كما ذُكر سابقاً –، ولكنه مع عنايته بهذا الطريق لم يكثر منه.

ولقد اتخذ هذا اللون من ألوان التفسير عند مكي رحمه الله أشكالاً مختلفة، فمن ذلك:

١- بيان المجمل:

ومن أمثلته:

أ- قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]:

‹‹ قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ صراط بدل من الأول.

والذين أنعم عليهم هم الأنبياء صلوات الله عليهم والصدِّيقون والصالحون بدلالة قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩]››(١).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١١٢).

ومكي – رحمه الله – مسبوقٌ في هذا التفسير، فقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم – في تفسير هذه الآية – عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "صراطَ الذين أنعمت عليهم" يقول: طَريقَ من أنعمتَ عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبَدُوك[1].

ب– قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ [الذاريات: ٢٨]:

«﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ أي: عليم إذا كَبِرَ.

قال مجاهد: هو إسماعيل، وقال غيره: هو إسحاق.

ومذهب الطبري. وهو الصواب إن شاء الله أنها: سارة الحرة، وأم إسماعيل إنما كانت أَمَةً اسمها هاجر.

ويدل على أنه إسحاق قوله في موضع آخر: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ ﴾ [هود: ٧١]، فهذا نص ظاهر لا يحتاج إلى تأويل »[2].

ويؤيد هذا التأويلَ – أيضاً – السياقُ، ففي الآية التي تليها قوله: ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾ [الذاريات: ٢٩]، وامرأته الموصوفة بالعقم هي سارّة، وابنها هو إسحاق. وقولها: ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾ أي: أنا عجوز عقيم، نظيره قوله تعالى – في سياق القصة – في سورة هود: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ

---

(١) تفسير الطبري (١/١٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/٣١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٧٠٩٣).

وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ﴾ [هود: ٧٢].

٢- تخصيص العام:

ومن أمثلته:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ ﴾ [محمد: ٣٤]:

« أي: إن الذين جحدوا توحيد الله، وصدوا الناس عن الإيمان بالله ورسوله، ثم ماتوا على هذا المذهب من كفرهم، فلن يستر الله ذنوبهم في الآخرة، بل يعاقبهم عليها، فأعلمنا الله أنه لا يغفر لمن مات على الكفر.

ودلت هذه الآية أنه من مات على خلاف هذه الحال أنه جائز أن يستر الله على ذنوبه فيغفر له ويدخله جنته؛ لأنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، يفعل ما يشاء.

وقد قال في موضع آخر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ٥٣ ﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذا مخصوص، معناه: إلا الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ٤٨ ﴾ [النساء: ٤٨]، فالعمدة التي بها يرتجى الفوز والنجاة من النار، الإيمان بالله وبرسوله، وبكتبه، واتباع سنَّة نبيه ﷺ، ولقاء الله جل ذكره على ذلك غير مبدل ولا مغير، أماتنا الله على ذلك وحشرنا عليه »[1].

ب- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٩١٨/١١).

مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣]:

« وقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ مخصوص؛ لأن الدم الذي هو غير مسفوح - كالكبد وما أشبهه - حلال، "وأحل النبي ﷺ أكل الحيتان والجراد[1] والميّتة[2]".

فالدم خصصه قوله في " الأنعام ": ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]،

(١) أما جواز أكل الحوت: فقد رواه البخاري في (ك: المغازي، ب: غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيرا لقريش) ١٥٨٦/٤، برقم (٤١٠٤)؛ ومسلم في (ك: الصيد والذبائح، ب: إباحة ميتات البحر) ١٥٣٥/٣، برقم (١٩٣٥). وأما جواز أكل الجراد فقد رواه البخاري في (ك: الذبائح والصيد، ب: أكل الجراد) ٢٠٩٣/٥، برقم (٥١٧٦) ؛ ومسلم في (ك: الصيد والذبائح، ب: إباحة الجراد) ١٥٤٦/٣، برقم (١٩٥٢). وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالجراد والحوت، وأما الدمان: فالطحال والكبد». أخرجه أحمد (١٥/١٠)، وابن ماجه (٣٢١٨، ٣٣١٤) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً. ففيه ضعف كما ذكر الحافظ ابن حجر في البلوغ (١١/١) لضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولكنه يصح عن ابن عمر موقوفا، وله حكم الرفع كما قاله البيهقي رحمه الله. وقال ابن القيم: (هذا حديث حسن، وهذا الموقوف في حكم المرفوع). ينظر: معرفة السنن والآثار (٤٦٦/١٣)، وزاد المعاد (٣٩٢/٣).

(٢) هكذا في المطبوع بالواو، ولعل الصواب بدون الواو؛ ليستقيم المعنى، فإن أكل الميتة لا يجوز إلا في حال الضرورة، بخلاف الحيتان والجراد فجائز أكلها في كل حال.

والميتة خصصتها السنة»[١].

فبيّن أن الدم في الآية عام مخصوص بالقرآن، والميْتة مخصوصة بالسنة. يقول الطبري رحمه الله: " فالميتة والدم مخرجهما في الظاهر مخرج عموم، والمراد منهما الخصوص "[٢].

وأهل الأصول يجعلون "الدم" من قبيل المطلَق المقيَّد بالدم المسفوح في قوله : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، من اتحاد الحكم والسبب[٣].

٣- تفسير المفهوم من آية بآية أخرى:

ومن أمثلته:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]:

« قال: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾. أي: حسنة ناعمة جميلة من السرور والغبطة. هذا قول جميع أهل التفسير.

ثم قال: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾.

أي: تنظر إلى ربها. قال عكرمة: " تنظر إلى ربها نظراً ".

ويدل على تصحيح جواز ذلك - من القرآن والنظر - قوله تعالى - حكاية عن

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٥٨٣/٣).

(٢) تفسير الطبري (٤٩٣/٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٤١٧/٣)، ومعالم أصول الفقه، للجيزاني (ص ٤٤٠).

موسى عليه السلام -: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ففي سؤاله النظر دليل على جوازه؛ لأن موسى لا يمكن أن يسأل ما لا يجوز وما يستحيل، فأعلمه الله أنه لا يراه في الدنيا أحد.

فأما قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فمعناه: لا تحيط به.

ومن قال: إن معناه: لا تراه، فقد غلط؛ لأنه يلزم أن يكون معنى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ ﴾ [يونس: ٩٠]: إذا رآه، وذلك محال! إنما معناه: إذا أحاط به. وكذلك يلزمه أن يكون معنى ﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١]: إنا لمرئيون، ولم يخافوا أن يراهم قوم فرعون، إنما خافوا أن يحيطوا بهم، فالمعنى: إنا لمحاط بنا. وكذلك يلزمهم أن يكون معنى: ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا ﴾ [طه: ٧٧]: لا تخاف رؤية، وهذا محال، لم يؤمنه الله من رؤية آل فرعون له، إنما أَمَّنَهُ من إحاطتهم به وبمن معه واستعلائهم عليهم، فالمعنى في الآية: لا تحيط به الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة.

ومعنى ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: لن تراني في الدنيا. فالإحاطة به منفية، والرؤية له في الآخرة غير منفية. كما أن قوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لا يكون نفياً عن أن يعلموه، فكما كانت الإحاطة تدل على نفي العلم، كذلك بقي الإدراك لا يدل على نفي الرؤية.

وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علماً، كذلك جاز أن يروا ربّهم ولا تحيط به أبصارهم، فمعنى الرؤية غير معنى الإدراك. فلذلك لا يجوز أن يكون معنى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ لا تراه.

وقد قيل: معنى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ أي: في الدنيا، على أن يكون ﴿تُدۡرِكُهُ﴾ بمعنى تراه، وتدركه في الآخرة أي: تراه، بدلالة قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾، وبدلالة قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: ١٥]. وهذا من أدل ما يكون من النص على جواز الرؤية؛ لأن المؤمنين لا بد أن يكونوا في الآخرة إما محجوبين عن الرؤية أو غير محجوبين، فإن كانوا محجوبين فلا فرق بينهم وبين الكفار الذين حكى الله عنهم أنهم محجوبون في الآخرة، ولا فائدة في إعلام الله لنا أن الكفار محجوبون عنه، إذ الكل محجوبون، فلا بد أن يكون المؤمنون غير محجوبين عن رؤيته، بخلاف حال الكفار.

وقيل: معنى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ أي: بالنهاية والإحاطة. فأما الرؤية فنعم ››[1].

٤- تفسير معنى بمعنى:

ومن أمثلته:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨ ﴾ [الإسراء: ٥٨]:

‹‹ قوله: ﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا ﴾.

المعنى: وما من أهل قرية إلا سيهلكون قبل يوم القيامة إما بعذاب أو بموت.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/٧٨٧٨).

وقيل معناه: وإن من قرية مفسدة أو ظالمة إلا نحن مهلكوها. وهو قول حسن، دليله قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩ ﴾ [القصص: ٥٩]، وله في القرآن نظائر »[1].

ما اختاره مكي وذكر بأن له في القرآن نظائر، هو الأظهر؛ لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به. وهو على تقدير حذف النعت، والتقدير: وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها.

وهذا النعت المحذوف دلت عليه آيات من كتاب الله تعالى ؛ كالآية التي ذكرها، وأيضاً:

- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]، أي بل لا بد أن تنذرهم الرسل فيكفروا بهم وبربهم.

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

- وقوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق: ٨]. إلى غير ذلك من الآيات.

ونظائر هذا الحذف في القرآن، مِثْل:

- قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩]، أي كل سفينة صالحة ؛ بدليل أن خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/٤٢٢٨).

سلامتها من أخذ الملِك لها؛ لأنه لا يأخذ المعيبة التي فيها الخرق وإنما يأخذ الصحيحة.

- وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٧١]؛ أي بالحق الواضح الذي لا لبْس معه في صفات البقرة المطلوبة(١).

ب- قال -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ ﴾ [يس: ٦]:

‹‹ والمعنى: لتنذر يا محمد قوماً لم يُنْذَر آباؤُهم من قبلهم، قاله قتادة فما جحد.

وقال عكرمة: قد أُنْذِرَ آباؤهم. فتكون " ما " والفعل مصدراً، أي: إنذاراً مثل إنذار آبائهم.

ويجوز أن تكون " ما " بمعنى الذي على هذا القول، أي: لتنذر قوماً الذي أُنْذِرَ آباؤهم، أي: الذي أُنْذِرُوا.

﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ أي: غافلون عن دين الله وما الله صانع بهم إن ماتوا على كفرهم به.

وهذا يدل على أن (ما) نافية؛ لأنهم لو كان آباؤهم أُنذِروا لم يكونوا غافلين.

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤]››(٢).

وما اختاره مكي من كون (ما) نافية هو الأظهر؛ لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ، ويكون المعنى على هذا القول: ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم، ويجوز أن

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٩٠)، وأضواء البيان، للشنقيطي (٣/ ٧٠٩).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٦٠٠٢).

يراد ما أنذر آباؤهم الأقربون؛ لتطاول مدة الفترة، وإلا فآباؤهم الأبعدون قد أنذروا بإسماعيل وبعيسى ومن قبلهما. ورُجّح كون (ما) نافية لأمرين:

الأول: ترتيبه بالفاء عليه، قوله بعده: ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾؛ لأن كونهم غافلين يناسب عدم الإنذار لا الإنذار، وهذا يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم.

الثاني: الآيات القرآنية الدالة على ذلك، ومنها:

- آية سبأ المذكورة.

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦].

- وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [السجدة: ٣]، إلى غير ذلك من الآيات(١).

٥- تفسير كلمة بكلمة:

أي: بيان أسلوب قرآني في آية بآية أخرى.

ومن أمثلته:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [النور: ٣٦]:

« وقوله: ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ ، قال مجاهد: ترفع: تبنى.

---

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/٢٢٠)؛ وفتح البيان، لصديق خان (١١/٢٧١)؛ وأضواء البيان، للشنقيطي (٦/٧١٠).

وقال الحسن: ترفع: تعظم لذكره وتصان.

وقول مجاهد أولى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي يبنيان »[١].

وما اختاره مكي قد سبقه الطبري[٢] إلى اختياره مؤيداً ذلك أنه الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية، كآية البقرة السابقة.

والذي يظهر لي: أن الآية شاملة للقولين؛ لعموم الرفع الشامل للمعنوي – وهو التعظيم-، والحسي – وهو البناء والتطهير-، ولأنه لا منافاة بينهما، ولا يُلجأ إلى الاختيار أو الترجيح إلا عند المنافاة أو وجود الدليل القوي لإرادة أحدهما أو القرينة الصارفة عن أحدهما. وهذا ما اختاره ابن كثير، فقال – بعدما ذكر القولين والأدلة عليهما-: " كله داخل في قوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ "[٣].

ب- قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥١١٣).

(٢) تفسير الطبري (١٩/١٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٦٦).

وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦]:

« ومعنى ﴿ إِذَا قُمْتُمْ ﴾، إذا أردتم القيام، كقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٩٨] أي: إذا أردت قراءة القرآن »[1].

٦- أن يذكر شيئًا في موضع من غير ذكر متعلَّقِه، ثم يذكر المتعلَّق في موضع آخر:

ومن أمثلته:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢]:

« أي: سقفاً للأرض محفوظاً بالملائكة من الشياطين. وقيل: معناه: محفوظاً من أن يقع على الأرض.

وقيل: محفوظاً بالنجوم من الشياطين. وهو أولى، ودليله قوله تعالى ذكره: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات: ٧]»[2].

فلم يبين في الآية الأولى متعلق الحفظ، ممّ يكون ؟ وقد بينه في الآية الأخرى.

والذي يظهر أن الحفظ يشمل الأمرين: من السقوط، ومن استراق الشياطين السمع. يدل للأول قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥]، ويدل للثاني ما ذكره مكي، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٦٢١/٣).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٧٥١/٧).

شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر: ١٧]. فلِكُلِّ قولٍ ما يدعمه من القرآن، ولا منافاة بينهما.

٧- ذكر الوجوه والنظائر للمفردة القرآنية:

ومن أمثلته:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]:

« و "هَدَى" يكون بمعنى: "أَرْشَد"، نحو قوله: ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص: ٢٢]، أي: أرشدنا.

ويكون بمعنى: "بَيَّنَ"، كقوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بيّنّا لهم الصواب من الخطأ، فاستحبوا الخطأ.

ويكون بمعنى: "أَلْهَمَ"، كقوله: ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، أي: ألهم الذَّكَر من الحيوان إلى إتيان الأنثى.

وقيل: معناه ألهم المصلحة.

ويكون هدى بمعنى: "وَفَّقَ"، كما قال " ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] أي: لا يوفقهم »(١).

ب- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١٠٩).

فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [النساء: ٢٤]:

« والمحصنات هنا ذوات الأزواج ... والإحصان:

يكون بالحرية، كقوله: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [المائدة: ٥] يريد الحرائر من أهل الكتاب.

ويكون بالإسلام، كقوله: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ ﴾ [النساء: ٢٥] على قراءة من فتح الهمزة(١)، يريد أسلمن.

ويكون بالعفة كقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ [النور: ٤]، يريد العفائف.

ويكون بالزوج »(٢).

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبي بكر. ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/١٨٧).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٢٧٨، ١٢٨٠). وينظر أمثلة أخرى: (١/١٠٣، ٤٤٣، ٥٦٥، ٦١٥).

المبحث الثاني

﴿ الترجيح بظاهر القرآن ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

حجية القول بالظاهر في القرآن

المراد بالظاهر هو: ما يتبادر إلى الذهن من المعاني، وأنه ليس للآية معنى باطن يخالف ظاهرها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة "(١).

والأصل في نصوص القرآن - وكذا السنة - أن تحمل على ظواهرها، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز أن يُعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه، وهذا ما تقرر في علم الأصول؛ ولأنه لا يُعرف مراد المتكلم إلا بالألفاظ الدالة عليه، والأصل في كلامه وألفاظه أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني، وليس لنا طريق لمعرفة مراده غير كلامه وألفاظه(٢).

يقول مكي رحمه الله : " ولا يجوز إخراج الكلام عن ظاهره إلا لضرورة تدعو إلى ذلك مع امتناع جوازه على ظاهره، فإذا امتنع جواز الكلام على ظاهره، جاز

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٣٥٦).

(٢) ينظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٢/١٤٧)؛ وقواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي (١/١٢٢).

الإضمار الذي يسوغ معه جواز الكلام "[١].

وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه من الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، وآخر في سياق آخر، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه.

وقد أجمعت الأمة على أنه يجب حمل الكلام على ظاهره حتى يرد دليل شرعي صارف عنه، وأن صرفه عنه بغير دليل باطل.

قال الفخر الرازي: "إن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل باطل بإجماع المسلمين"[٢].

وقال الأمين الشنقيطي[٣]: " وقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه إلى المحتمل المرجوح، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول"[٤].

وبظاهر القرآن رجّح كثير من المفسرين بعض الأقوال على بعض، كابن جرير

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١٣٠).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/ ٩٤).

(٣) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. المفسر الفقيه، ولد سنة ١٣٠٥هـ في بلاد شنقيط (وهي موريتانيا حاليا). توفي سنة ١٣٩٣هـ بعد موسم الحج مباشرة، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة، وعاش ٨٩ سنة. من أشهر تصانيفه: (أضواء البيان) في تفسير القرآن، و (المذكرة) في أصول الفقه. ينظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، لصلاح الخالدي (٥٨٢)؛ والتفسير والمفسرون في العصر الحديث، لعبد القادر محمد صالح (٢٤٩).

(٤) أضواء البيان (٧/ ٤٤٣).

الطبري، ومكي بن أبي طالب، وابن الجوزي، وأبي حيان الأندلسي، وابن كثير، والشنقيطي وغيرهم.

(المطلب الثاني)
عناية مكي بالقول بظاهر القرآن والترجيح به

اعتنى مكي - رحمه الله – بهذا النوع من الترجيح في تفسيره، بل نجده ينص على عدم جواز القول بغير الظاهر إلا لضرورة داعية إلى ذلك، فقد قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] - في رده على من أنكر النظر إلى الله تعالى - ما نصه:

« وفي جواز هذا - أي تقدير محذوف - نقض كلام العرب كله. ولا يجوز إخراج الكلام عن ظاهره إلا لضرورة تدعو إلى ذلك مع امتناع جوازه على ظاهره، فإذا امتنع جواز الكلام على ظاهره، جاز الإضمار الذي يسوغ معه جواز الكلام، ولا ضرورة تدعو إلى إضمارٍ هنا على مذهب أهل السنة »[١].

ومن أمثلة الأخذ بالظاهر والترجيح به ما يلي:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣٣]:

« قوله: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١٣٠).

معناه: أعلم ما أسر إبليس في نفسه من الكِبْر والعزة. وهذا التأويل يدل على أن الخطاب الذي تقدم في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إنما كان من هذا النوع من الملائكة الذين حضروا مع إبليس قتال المفسدين في الأرض دون غيرهم من الملائكة، وهو قول الطبري.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: " إن هذه القبيلة من الملائكة سميت الجن لأنهم كانوا من خزان الجنة "(١).

وهو من الاستجنان، وهو الاستتار. وإنما سميت الجنة جنة؛ لأنها تَجن مَنْ دَخَلَها؛ أي تستره بشجرها وثمارها وعروشها.

وروي عنه أيضاً أنه قال: " إن إبليس كان مَلِكَ سماءِ الدنيا(٢)، وكان خازناً

(١) جامع البيان، للطبري (١/٥٠٣).

(٢) أخرج الطبري بسنده عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس، من أصحاب النبي ﷺ: «جُعِلَ إِبْلِيسُ عَلَى مُلْكِ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ مِنْ قَبِيلَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ، وَإِنَّمَا سُمُّوا الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ خُزَّانُ الْجَنَّةِ، وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ مُلْكِهِ خَازِنًا». جامع البيان، للطبري (١/٥٣٧). وقد اختلف العلماء: أكان إبليس من الملائكة، أم من الجن، أم كان من الملائكة فمسخه الله من الجن لمّا عصاه حينما أمر بالسجود لآدم؟ على ثلاثة أقوال لهم، وأرجحها: أنه كان من الجن، بصريح القرآن، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الكهف: ٥٠]. وقد استدل من قال بأنه من الملائكة بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[البقرة: ٣٤] قالو: فلو لم يكن إبليس من الملائكة لم يؤمر بالسجود ولم يؤاخذ بالعصيان. والجواب عنه كما قال ابن تيمية عن إبليس: (كان منهم (أي من الملائكة) باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله) مجموع الفتاوى (٤/٣٤٦)، وقال ابن كثير: (وذلك أنه (أي إبليس) كان قد توسّم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك، فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة) تفسير ابن كثير (٥/ ١٦٧)، وقال ابن عثيمين: (وإنما استثناه الله من
=

للجنة مع ذلك، فلما تمكن دخله العجب والكبر، وقال: لم أُعط هذا إلا ولي مزية على الملائكة. فاطلع الله على ما في سرِّه فقال: إني جاعل في الأرض خليفة، فسألت الملائكة عن الخليفة فقال: تفسد ذريته في الأرض، فتعجبوا وقالوا: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾. فبعث الله جبريل ليأخذ من طين الأرض، فاستعاذت منه، فرجع ولم يأخذ شيئاً؛ إجلالاً لحق من استعاذت به، ثم بعث الله ميكائيل فاستعاذت، فرجع ولم يأخذ شيئاً. فبعث الله ملك الموت فاستعاذت منه، فاستعاذ هو منها، وأخذ ما أراد من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك بنو آدم مختلفو الألوان "[١].

ثم مضى الحديث كالأول أو قريب منه، غير أن فيه: " فكان آدم جسداً من طين أربعين سنة، ففزعت منه الملائكة، وكان أشدهم فزعاً إبليس. وفيه: أن آدم عليه السلام لما دخل الروحُ رأسه، قال: الحمد لله. فقالت له الملائكة: رحمك ربك يا آدم. فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح رجليه ".

وهذه الرواية تدل على أن المخاطبين المأمورين بالسجود لآدم ﷺ هم الملائكة

=

الملائكة لأنه كان معهم وليس منهم، يبين ذلك آية الكهف ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ ... ثم قال : وهذا الاستثناء يسمى استثناء منقطعا، كما تقول : (جاء القوم إلا حمارا) وهو كلام عربي فصيح، فاستثنى الحمار من القوم وإن لم يكن منهم) الفتاوى لابن عثيمين، رقم الفتوى ١٠٨.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١/٥٠٣، ٥٠٤).

كلهم، **وهو ظاهر القرآن** ››(١).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]:

‹‹ قوله: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾.

أكثر أهل التفسير على أن الذي نهين عنه أن يكتمن هو الحيض والولد، وذلك أن تقول: " إني قد حضت الثلاثة، وهي لم تحض، لتذهب ما يجب لزوجها من الرجعة، أو تكتم الولد، ليذهب حقه من الرجعة حتى تلد وهو لا يعلم، فلا يكون له في الرجعة بعد الولادة حق.

وقيل: هو الحمل خاصة؛ وذلك أنهن كن في الجاهلية يكتمن الولد خوفاً ألا يراجعهن أزواجهن، فيتزوجن وهن حوامل، فيلحقن الولد بالزوج الثاني، فحرم ذلك عليهن. قال ذلك قتادة وغيره.

وقال السدي: " كان الرجل في الجاهلية إذا أراد الطلاق سأل امرأته: هل بها حمل خوف أن يطلقها وهي حامل، فتلحق ولده غيره، فإن كانت تكرهه كتمت حملها ليطلقها، فتلحق الولد غيره، فحرم ذلك "(٢).

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٢٢٠).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٤/ ٥٢٣).

وهذا القول يدفعه قوله: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ ﴾ بعد ذكر الطلاق ووقوعه، **فإنما ظاهر القرآن** يدل على النهي أن يكتمن ذلك في العدة؛ ليذهب حق الرجل من الرجعة، إما أن تقول: " قد حضت "، ولم تحض، وأما أن تقول: " لست بحامل "، وهي حامل، فَتَجْحَدُ حتى تضع فتذهب رجعته))(١).

وهو مع عنايته بذلك نجده أيضاً يعدل عن الأخذ بالظاهر أحياناً لقرينة دعت إليه، كما ينص هو على ذلك – كما سبق – وغيره من أهل الأصول.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ ﴾ [النور: ٥٨]:

((قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾.

قال ابن عمر: هي محكمة. ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [النور: ٥٩]، يعني البالغين، أي يستأذن هؤلاء الأطفال إذا بلغوا على كل حال، كما استأذن البالغون في كل وقت، يعني من الرجال خاصة.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٦٠).

وقيل: عني به من مَلَكْتَهُ من الرجال والنساء ألا يدخل عليك في هذه الثلاثة الأوقات إلا بإذن.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ﴾، يعني من لم يحتلم من الأحرار.

ثم قال: ﴿ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ ﴾، أي: في ثلاث مرات، يعني بالمرات: ثلاث أوقات. ثم بيّن الثلاث أوقات متى هن، فقال: ﴿ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾، إلى قوله: ﴿ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ ﴾، ولو حُمِلَ الكلام على ظاهره لوجب ألا يدخل إلا بعد استئذان ثلاث مرات، وليس الأمر كذلك، إنما هو إذن واحد ››(1).

ب- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١١]:

‹‹ قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾: أي: صدقتم في قولكم لنا: ما أنتم إلا بشر مثلنا.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾: فيهديه، ويوفقه للحق، ويرسله إلى من يشاء من خلقه.

﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ ﴾: أي: بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه من توحيد الله عز وجل، وطاعته جلت عظمته.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥١٤٦).

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي بأمره، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: عليه فليتوكل من آمن به، وأطاعه.

فهذا كلام ظاهره الحظر والمنع، ولا يحظر على فعل شيء لا يقدر عليه البتة، ولا في الطاقة فعله، ولكن معناه: وما كنا لنأتي بسلطان ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ نفوا ذلك عن أنفسهم، إذ لا قدرة لهم عليه. ولو حمل على ظاهره لكان معناه: إنهم يقدرون على الإتيان بالسلطان، وهو الحجة، ولكن لا يفعلونه إلا بإذن الله، وليس الأمر كذلك؛ إذ لا مقدورة لهم على ذلك البتة، فلا يتم المعنى حتى يحمل على النفي))[1].

فَلَفْظُهُ لَفْظُ الخَبَرِ، وَمَعْنَاهُ النَّفْيُ، لأنَّه لا يُحظر على أحد ما لا يقدر عليه

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥/ ٣٧٨٤).

المبحث الثالث

﴿ الترجيح بالسياق القرآني[١] ﴾

وفيه مطلبان :

(١) السياق القرآني هو من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، وإنما أفردته بهذا المبحث؛ لأهميته وعناية العلماء به.

ومن مرادفاته عند بعض المفسرين: نظم الآية، نسق الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملاءمة الكلام، مقتضى الكلام، فحوى الكلام، الإطار العام، الجو العام، المعنى العام، القرينة، المقام، ونحوها، وهذه المصطلحات كلها معتمدة على النص الذي هو مناط السياق.

ومن الرسائل المؤلفة في السياق القرآني:

- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، لعبد الحكيم بن عبد الله القاسم، جامعة الإمام (رسالة ماجستير).
- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، لأحمد بن لافي المطيري، الجامعة الأردنية (رسالة ماجستير).
- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثية، لسعيد بن محمد الشهراني، جامعة أم القرى (رسالة دكتوراه).
- أثر السياق القرآني في التفسير، لمحمد بن عبد الله الربيعة، جامعة الإمام (رسالة دكتوراه).
- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، لفهد بن شتوي الشتوي، جامعة أم القرى (رسالة ماجستير).
- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، للمثنى عبد الفتاح محمود، جامعة اليرموك (رسالة دكتوراه).
- السياق القرآني وأثره في التفسير، لعبد الرحمن بن عبد الله المطيري، جامعة أم القرى (رسالة ماجستير).

(المطلب الأول)
اعتبار السياق القرآني في الترجيح
وأثره في التفسير

المراد بسياق القرآن هنا: الآيات التي تسبق موضع الشاهد وتتبعه.

وقيل: هو "مجموعة القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به"(١).

وقيل: "هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخِاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"(٢).

وعلم السياق القرآني علم عظيم المنزلة رفيع القدر، وهو من أهم ما يوصل للفهم الصحيح لكتاب الله تعالى؛ إذ هو الطريق الأسلم لجعل كلام الله متناسباً منتظماً، وهذا هو الأنسب لكتاب الله المعجز المحكم.

وإن من أعظم ما يبين منزلة هذا العلم أنه مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن، ذلك أنه تفسير للآية بما تضمنه نصها، أو بما سبقها ولحقها من الآيات، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، بل هو أقوى مراتب هذا النوع، وذلك أن تفسير القرآن بالقرآن قد يكون في محل واحد وسورة واحدة، وقد يفترقان، وأقوى

---

(١) أثر السياق في النظام النحوي على كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري)، نوح الشهري (ص٧٩).

(٢) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، سعيد الشهراني (ص٢٢).

النوعين وأسلمهما ما كان في محل واحد وسورة واحدة، وهذا هو السياق.

وينبغي أن يُعلم أن معرفة السياق مبنية على الاجتهاد ودقة الاستنباط وغلبة الظن، وإدراكُه مما تختلف فيه العقول، وذلك أنه مرتبة بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه إشغالاً للذهن، وعليه فيكون تحديد السياق أمراً ظنياً لا قطعياً، ولهذا تجد الاختلاف في تحديد السياق في الآية الواحدة[١].

ومن ذلك أيضاً: أنه وارد في تفسير النبي ﷺ والسلف الصالح من بعده، بل قد تجلى ذلك في إنكارهم على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي وردت لأجله.

فمن أمثلة اعتباره في تفسير النبي ﷺ : ما رواه الترمذي[٢] وصححه عن عائشة رضي الله عنها[٣] أنها سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ

---

(١) أثر السياق في النظام النحوي، نوح الشهري (ص٩٣).

(٢) هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن، الحافظ، العلم، الإمام، البارع، ابن عيسى السلمي، الترمذي الضرير. من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وعمي في آخر عمره بعد رحلته وكتابته العلم. وكان يضرب به المثل في الحفظ. ولد سنة ٢٠٩هـ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ. من أشهر تصانيفه: (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك. ينظر : تذكرة الحفاظ، للذهبي (٦٣٣/٢)؛ وسير أعلام النبلاء، له (٢٧٠/١٣)؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٦٦٨/٣).

(٣) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش، أفقه نساء المسلمين، وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف. ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، وتوفيت في المدينة سنة ٥٨هـ. ينظر : الاستيعاب (٩١٨)؛ وأسد الغابة (١٨٦/٧)؛ والإصابة (٢٧/١٤).

﴿وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: ((لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: ٦١]))[١].

فقد بيّن النبي ﷺ معنى الآية بسياقها، وذلك لاستدلاله بالآية التي تليها بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ .

ومن هنا فيمكن القول: بأن السياق أصل من أصول التفسير التي يجب الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله تعالى. وعليه فإن القول الذي يتوافق مع السياق هو القول المعتبر والراجح، وهذه القاعدة من أهم قواعد الترجيح في التفسير[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة"[٣].

وإذا علم فضل هذا العلم ومنزلته في التفسير، فإنه من أعظم ما ينبغي على المهتمين بتفسير القرآن ملاحظته ومراعاته.

ولدلالة السياق أثر كبير في فهم المعنى المنشود من الآية من حيث الموضوع، والخطاب، والأسباب التي أدت إليه، والآثار المترتبة عليه؛ ذلك لأن مقتضى البلاغة

---

(١) رواه الترمذي في (ك: التفسير، ب: سورة المؤمنون) ٣٢٧/٥، برقم (٣١٧٥).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي (٢٦٩/١).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/٦).

ارتباط الكلام بسابقه ولاحقه ارتباطاً يحوي المعنى ويضمه دون انفصال أو تشتت، بل مع حسن انتقال وتدرج في مراقي المباني والمعاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية، وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج "(١).

ويعتبر السياق من أعظم القرائن في الترجيح، وحل المشكلات والمتشابه من الآيات.

يقول الإمام الزركشي رحمه الله - فيما يعين على المعنى عند الإشكال أمور - : " الرابع: دلالة السياق؛ فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير "(٢).

ولهذا كانت عناية المحققين من العلماء والمفسرين بالسياق كبيرة، ونصوصهم في التنبيه على دوره كثيرة، ومن أقوالهم في بيان أهميتها، وجعلها عمدة لهم في هذا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٩٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٢٠٠).

الباب، ومن هؤلاء:

أولاً: ترجمان القرآن عبد الله بن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - حين اعترض على من فهم قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] على غير معناها لأنه لم يراع الآيات قبلها.

فقد أخرج البخاري[١] ومسلم[٢] أن مروان[٣] قال: اذهب يا رافع (لبوابه) إلى ابن عبَّاسٍ، فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري، أبو عبد الله، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ، صاحب الصحيح والتصانيف، مولده في شوال سنة ١٩٤هـ، توفي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ. من أشهر تصانيفه: (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ الكبير). ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٢/ ٥٥٥)؛ وسير أعلام النبلاء، له (١٢/ ٣٩١)؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٣/ ٥٠٨).

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين. ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. من أشهر تصانيفه: (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح مسلم. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ٥٨٨)؛ وسير أعلام النبلاء، له (١٢/ ٥٥٧)؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٤/ ٦٧).

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك، وهو ابن عم عثمان وكاتبه في خلافته، خليفة أموي، هو أول من ملك من بني الحكم بن أبى العاص، وإليه ينسب (بنو مروان)، ومدة حكمه تسعة أشهر و ١٨ يوماً. ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة. ولد بعد الهجرة بسنتين وقيل بأربع، وتوفي سنة ٦٥هـ. يقول ابن حجر: "لم أر من جزم بصحبته، فكأنه لم يكن حينئذ مميزاً". ولذا ترجم له في القسم الرابع ممن ذُكروا في الصحابة على سبيل الوهم والغلط البيّن. ينظر : الاستيعاب (٦٨١)؛ وأسد الغابة (٥/ ١٣٩)؛ والإصابة (١٠/ ٣٨٨).

لنعذبن أجمعون، فقال ابن عبَّاسٍ: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عبَّاسٍ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وتلا: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] (١).

ثانياً: إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري فقد اعتبر السياق فيصلاً في تحديد سبب النزول، وتَرَكَ الحديث في سبب النزول مع صحة إسناده لمّا خالف السياق.

فقد أخرج السبعة عن عروة بن الزبير(٢): أن الزبير رضي الله عنه(٣) كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا إلى النبي ﷺ في شراج(٤) الحرة، كانا يسقيان بها كلاهما، فقال النبي ﷺ للزبير: (اسق ثم أرسل إلى جارك) فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: (اسق ثم احبس

(١) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: سورة آل عمران) ٤/١٦٦٥، برقم (٤٢٩٢)؛ ومسلم في (ك: صفات المنافقين وأحكامهم) ٤/٢١٤٣، برقم (٢٧٧٨).

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه، ولد سنة ٢٢، وتوفي في المدينة سنة ٩٣هـ. ينظر : الطبقات، لخليفة بن خياط (٢٤١)؛ وتذكرة الحفاظ، للذهبي (٦٢/١)؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٩٢/٣).

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله، الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الاسلام. حواريُّ النبي ﷺ وابن عمته ، أسلم وله ١٢ سنة. وكان طويلا جدا إذا ركب تخط رجلاه الارض. قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل سنة ٣٦هـ. ينظر : الاستيعاب (٢٦١)؛ وأسد الغابة (٣٠٧/٢)؛ والإصابة (١٧/٤).

(٤) الشِّرَاج جمعُ شَرْجة : وهو مَسِيل الماء من الحَرَّة إلى السَّهل . ينظر: النهاية، لابن الأثير(١١٣٠/٢).

الماء حتى يرجع إلى الجدر) ... الحديث. قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أُنزلت إلا في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥] (١).

قال الطبري: (وذكر أنها نزلت فيمن ذكرهم الله بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ... ﴾ الآية [النساء: ٦٠].

وهذا القول أولى بالصواب؛ لأن قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ في سياق قصة الذين أسدى الله الخبر عنهم بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾، ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأتِ دلالة على انقطاعه أولى) (٢).

ثالثاً: أبو بكر ابن العربي (٣) فقد اعتمد عند ترجيحه المراد بقوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا

---

(١) رواه البخاري في (ك: المساقاة، ب: سكر الأنهار) ٢/٨٣٢، برقم (٢٢٣١)؛ ومسلم في (ك: الفضائل، ب: وجوب اتّباعه ﷺ) ٤/١٨٢٩، برقم (٢٣٥٧).

(٢) جامع البيان (٧/٢٠٤).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ، وولي قضاءها، ومات بقرب فاس، ودفن بها سنة ٤٥٣هـ.. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. من أشهر تصانيفه: (العواصم من القواصم)، و (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي)، و (أحكام القرآن). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/٢٩٦)؛
=

سَوَآءً ﴾ [آل عمران: ١١٣] على السياق، فقال: (وقد اتفق المفسرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، وعليه يدل ظاهر القرآن، ومفتتح الكلام نفي المساواة بين من أسلم منهم وبين من بقي منهم على الكفر)[١].

وأهمل ما أخرج أحمد[٢] والنَّسَائِي[٣] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أَخَّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: (أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم) قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾ - حتى بلغ -: ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٥][٤].

=

والديباج المذهب، لابن فرحون (٢/٢٥٢)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (٢/١٦٧).

(١) أحكام القرآن (١/٣٨٦).

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أبو عبد الله، شيخ الإسلام، وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الحجة، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ. من أشهر تصانيفه: (المسند). ينظر : تذكرة الحفاظ (١/٤٣١)؛ وسير أعلام النبلاء (١١/١٧٧)؛ وتهذيب التهذيب (١/٤٣).

(٣) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، أبو عبد الرحمن النسائي، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام. أصله من نسا (بخراسان) . ولد سنة ٢١٥هـ، وتوفي سنة ٣٠٣هـ،ودفن ببيت المقدس. من أشهر تصانيفه: (السنن الكبرى)، و(المجتبى) وهو السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث، و (الضعفاء والمتروكون). ينظر : تذكرة الحفاظ (٢/٦٩٨)؛ وسير أعلام النبلاء (١٤/١٢٥)؛ وتهذيب التهذيب (١/٢٦).

(٤) رواه أحمد في (مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) ٦/٣٠٤، برقم (٣٧٦٠)؛ والنسائي في (ك: المواقيت، ب:

=

وهذا يدل على اعتباره السياق أصلاً، ولهذا قدم دلالته على دلالة الحديث.

رابعاً: ابن عطية فإنه لما ذكر قوله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾، قال: (لما مضت الضمائر في الكفر والقتل والعصيان والاعتداء عامة في جميع أهل الكتاب، عقَّب ذلك بتخصيص الذين هم على خير وإيمان، وذلك أن أهل الكتاب لم يزل فيهم من هو على استقامة، فمنهم من مات قبل أن يدرك الشرائع فذلك من الصالحين، ومنهم من أدرك الإسلام فدخل فيه)[١]. ثم أشار إلى حديث ابن مسعود باختصار شديد.

وقوله هذا يلاحظ فيه السياق، ولو اعتبر حديثَ ابن مسعود ما قال هذا الكلام.

خامساً: القرطبي حيث اعتبر السياق في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ... ﴾ الآية [المائدة: ٣٣].

وضعّف قول من قال: إنها نزلت في المشركين، فقد أخرج أبو داود[٢] والنَّسَائِي عن ابن عبَّاسٍ ﵁ قال: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾ الآية. نزلت هذه الآية في المشركين، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام فيه

=

آخر وقت العشاء) ١/٢٦٧، برقم (٥٣٧) من حديث ابن عمر.

(١) المحرر الوجيز (٣/٢٧٢).

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة. ولد سنة ٢٠٢هـ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. من أشهر تصانيفه: (السنن)، و (المراسيل). ينظر : تذكرة الحفاظ (٢/٥٩١)؛ وسير أعلام النبلاء (١٣/٢٠٣)؛ وتهذيب التهذيب (٢/٨٣).

الحد الذي أصابه[١].

واستدل لتضعيف هذا القول بقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ثم قال: قال أبو ثور[٢] محتجاً لهذا القول: وفي الآية دليل على أنها نزلت في غير أهل الشرك، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة: ٣٤]. وهذه الآية تتلو آية الحرابة مباشرة[٣].

سادساً: ابن جزي الكلبي فقد اعتبر السياق أحد وجوه الترجيح، فقال: (وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر ثم قال:

السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده) [٤].

سابعاً: أبو حيان الأندلسي حيث أعمل دلالة السياق في تفسير قوله تعالى:

---

(١) رواه أبو داود في (ك: الحدود، ب: ما جاء في المحاربة) ٤/ ٢٣٠، برقم (٤٣٧٤)؛ والنسائي في (ك: تحريم الدم، ب: ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح على يحيى بن سعيد في هذا الحديث) ١٠١/٧، برقم (٤٠٤٦).

(٢) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور، الفقيه صاحب الإمام الشافعي. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا، صنف الكتب وفرع على السنن، وذب عنها، يتكلم في الرأي فيخطئ ويصيب. مات ببغداد سنة ٢٤٠هـ. ينظر : تذكرة الحفاظ (٢/ ٥١٢)؛ وطبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي (٢/ ٧٤)؛ وتهذيب التهذيب (١/ ٦٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٤٣٢).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٣).

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١١٥]، وربطها بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ... ﴾ [البقرة: ١١٤] الآية، حيث قال: (والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله، والسعي في تخريبها نبّه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات، ولا من ذكر الله، إذ المشرق والمغرب للَّه تعالى، فأيُّ جهة أديتم العبادة فيها فهي لله، يثيب على ذلك ولا يختص مكان التأدية في المسجد)[١].

ولم يجعل سبب نزول الآية ما أخرجه الترمذي وابن ماجه[٢] عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه[٣] قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندرِ أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزل: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[٤].

---

(١) البحر المحيط (١/ ٥٣٠).

(٢) هو محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه، الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر، من أهل قزوين. ولد سنة ٢٠٩هـ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٣هـ. من أشهر تصانيفه: (السنن). ينظر : تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٦)؛ وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٧)؛ وتهذيب التهذيب (٣/ ٧٣٧).

(٣) هو عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي، أبو محمد المدني، حليف بني عدي. ولد في عهد النبي ﷺ. وأبوه عامر بن ربيعة بن كعب العنزي، صحابي، من الولاة. قديم الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستخلفه عثمان على المدينة لما حج. توفي سنة ٣٣هـ. ينظر : الإصابة (٦/ ٢٢٣) و (٥/ ٤٩٧)؛ وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٢، ٣٦١).

(٤) رواه الترمذي في (ك: أبواب الصلاة، ب: ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة في الغيم) ٢/ ١٧٣، برقم

=

ولو اختار الحديث سبباً للنزول لألغى دلالة السياق القرآني ولا بد؛ لأنهما لا يجتمعان.

ثامناً: ابن كثير فقد احتج بالسياق على رد قول ابن مسعود ﵁ في تفسير الدخان، ورجح أنه من الآيات المنتظرة وقال: (إن هذا ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الدخان: ١٠]، أي بيّن واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله: (يَغْشَى النَّاسَ) أي يتغشاهم ويعميهم، ولو كان أمراً خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: (يَغْشَى النَّاسَ)[1].

تاسعاً: ابن عاشور أعمل دلالة السياق في اختياراته، ورجح بها أقوالاً وردّ بها أُخرى، ومن ذلك دفعه لحديث عمر ﵁[2] في نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ

=

(٣٤٥). وقال: "هذا حديث ليس إسناده بذاك لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يُضَعّف في الحديث، وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى هذا"؛ وابن ماجه في (ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، ب: من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم) ١/٣٢٥، برقم (١٠٢٠). وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١/٤٢٣) بشواهده.

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٢٤٩).

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وأسلم في السنة السادسة من النبوة، و له سبع وعشرون سنة. توفي سنة ٢٣هـ. ينظر : الاستيعاب (٤٧٣)؛ وأسد الغابة (٤/١٣٧)؛ والإصابة (٧/٣١٢).

﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ...﴾ [النساء: ٨٣] الآية. وأن ذلك نزل في إشاعة طلاق رسول اللَّه ﷺ نساءه، فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ ...﴾ عطف على جملة: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ [النساء: ٨١]، فضمير الجمع راجع إلى الضمائر قبله العائدة إلى المنافقين وهو الملائم للسياق ... إلى أن قال: والكلام مسوق مساق التوبيخ للمنافقين، واللوم لمن يقبل مثل تلك الإذاعة من المسلمين الأغرار)(١). والآية نازلة في سرايا رسول اللَّه ﷺ وبُعوثه.

(١) التحرير والتنوير (١٣٩/٥).

(المطلب الثاني)
عناية مكي بالسياق القرآني
والترجيح به

لقد اعتنى مكي - رحمه الله - بدلالة السياق في مواضع كثيرة من تفسيره، واستعمله في ترجيح قول على قول، بل نجده ينص على أولوية كون دلالة النص في سياق واحد، حيث يقول: "كون الكلام كله على سياق واحد أولى وأحسن "[١].

ومن أمثلة الترجيح بالسياق عنده ما يلي:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]:

« المعنى في قوله: ﴿ فَلَا ﴾ أي: ليس الأمر على ما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دُعُوا إليك، ثم استأنف القَسَم فقال: ﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: وربك يا محمد، لا يؤمنون أي: لا يصدقون بالله عز وجل ونبيه ﷺ ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾، أي: يحكمونك حَكَماً بينهم في خصوماتهم.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣٣٤).

وقرأ أبو السَّمَّال[١]: ﴿ شَجْرَ بَيْنَهُمْ ﴾ بإسكان الجيم[٢]، وهو بعيد؛ لخفة الفتحة.

قوله: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: ضيقاً من حكمك أي لا تأثم أنفسهم بإنكارها حكمك، وشكها في طاعتك لأن الحرج الإثم، وكأنه قال: ثم لا تحرج أنفسهم بإنكارها حكمك، قال: معنى ذلك مجاهد والضحاك.

وقيل: الحرج: الشك وكله يرجع إلى الإثم.

﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي: يسلموا لحكمك إقراراً بنبوتك.

ويُروى أن هذه الآية نزلت في الزبير بن العوام وخصم له " ذُكر عن الزبير رضي الله عنه أنه خاصم رجلاً من الأنصار وهو حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه[٣] في شريج من الحرة كانا

(١) هو قَعْنَب بن أبي قَعْنب، أبو السمّال (بفتح السين وتشديد الميم وباللام) العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، رواه عنه أبو زيد سعيد بن أوس، وأسند الهذلي قراءة أبي السمال عن هشام البربري عن عباد بن راشد عن الحسن عن سمرة عن عمر، وهذا سند لا يصح. ينظر : غاية النهاية، لابن الجزري (٢٦/٢).

(٢) قراءة شاذة، وهو لحنٌ عند الخليل وسيبويه، لا تُحذف الفتحة عندهم، لخفتها. قال أبو حيان: "وكأنه فرّ توالي الحركات، وليس بقوي". ينظر: إعراب القرآن، للنحاس(٤٦٨/١)؛ والبحر المحيط، لأبي حيان (٢٩٧/٣)؛ ومعجم القراءات القرآنية، لأحمد مختار، وعبد العال مكرم (١٤٢/٢).

(٣) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ، أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وكان من أشد الرماة في الصحابة. وكانت له تجارة واسعة. بعثه النبي ﷺ بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية. ومات في المدينة سنة ٣٠هـ. ينظر : الاستيعاب (١٧٠)؛ وأسد الغابة (٦٥٩/١)؛ والإصابة (٤٣١/٢).

يسقيان به كلاهما النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، وكانت أرضه أسفل من أرض الزبير فأبى عليه، فاختصما إلى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك. فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله إن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: يا زبير اسق، ثم تحبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر، ثم أرسل الماء إلى جارك". فاستوعب رسول الله ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم، وكان أولاً أراد النبي ﷺ الرفوت والسعة لهما، فنزلت الآية .

وقيل: نزلت في اليهودي والمنافق اللذين تقدم ذكرهما. قاله مجاهد وغيره، **وهو أولى بسياق الكلام**.

قال الطبري: ولا ينكر أن تكون الآية نزلت في الجميع، فيكون حكم المتحاكمين إلى الطاغوت، وحكم الزبير وخصمه.

ومن قال: إنها في الزبير وخصمه ما زالت أحسن الوقف على ما قبل الآية، ومن قال: إنها في اليهود والمنافق ما زالت، فليس الوقوف على ما قبلها بتمام؛ لأن القصة واحدة))(١).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦]:

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٣٧٧).

‹‹ قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية.

المعنى: واذكر إذ قال الله.

وجماعة من المفسرين على أن الله أخبرنا أنه قال لعيسى حين رفعه إليه، قاله السدي وغيره.

وقيل: هو خبر من الله عما يكون في القيامة.

قال ابن جريج[١]: يقول ذلك لعيسى والناس يسمعون، فيراجعه بالإقرار والعبودية، فيعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان باطلاً.

ودَلّ قوله: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٩] على أنه يوم القيامة››[٢].

واستدلاله بالآية الأخيرة هو ترجيح منه بالسياق، حيث رجّح بها القول الثاني على غيره من الأقوال الأخرى، والله أعلم.

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الروميّ الأموي، مولاهم، أبو الوليد، المكيّ، الإمام المجتهد الحافظ، فقيه الحرم. كان إما م أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. مكي المولد والوفاة. ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ. ينظر : تذكرة الحفاظ (١/١٦٩)؛ وسير أعلام النبلاء (٦/٣٢٥)؛ وتهذيب التهذيب (٢/٦١٦).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/١٩٤٥).

المبحث الرابع

﴿ الترجيح بالسنة(١) ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

حجية هذا النوع من طرق التفسير

إن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي

---

(١) من الرسائل المؤلفة في الترجيح بالسنة:

- الترجيح بالسنة عند المفسرين (جمعاً ودراسة)، لناصر بن محمد الصائغ، جامعة أم القرى (رسالة دكتوراه).

ومن الكتب والرسائل المؤلفة في التفسير النبوي للقرآن:

- المعتمد المنقول فيما أوحي إلى الرسول ﷺ، لحيدر بن علي القاشي (ت بعد ٧٨٢هـ).
- ما صح تفسيره من القرآن الكريم عن النبي ﷺ في النصف الأول من القرآن الكريم، لعواد بن بلال العوفي، الجامعة الإسلامية (رسالة ماجستير).
- التفسير النبوي الصحيح في القرآن الكريم في النصف الثاني من القرآن الكريم، لعواد بن بلال العوفي، الجامعة الإسلامية (رسالة دكتوراه)، وهي تكملة لموضوع الماجستير.
- الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم، لأبي محمد السيد إبراهيم بن أبو عمه.
- الجواهر واللآلي المصنوعة في تفسير القرآن العظيم بالأحاديث الصحيحة المرفوعة، لعبد الله بن عبد القادر التليدي.
- التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، لمحمد بن إبراهيم عبد الرحمن.
- تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار وبالأسلوب الحديث، لمحمد بن عبد الرحمن القاسم.
- الأحاديث المرفوعة في تفسير القرآن الكريم في الإتقان، لخالد بن عبد العزيز الباتلي، جامعة الإمام (دكتوراه).

"راجعة في معناها إلى الكتاب، تُفَصِّل مجمله، وتُبيِّن مشكله، وتبسط موجزه؛ وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]"(١).

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع الصحابة والتابعين على أن السنة تفسر القرآن، يقول رحمه الله: " وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه وتعبر عن مجمله، وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر"(٢).

ويقول أيضاً: " إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ... فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ... والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة "(٣).

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبين للناس القرآن، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، فكان عليه الصلاة والسلام أولَ شارح للقرآن، ومبين لمعانيه، لذا كانت السنة مصدراً ثانياً للتفسير بعد القرآن.

ولما للتفسير النبوي للقرآن الكريم من أهمية فقد أكّد المفسرون على ضرورة تقديم الصحيح منه على ما سواه، فلا قول لأحد مع قوله ﷺ.

---

(١) الموافقات، للشاطبي (٣١٤/٤).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤٣٢/١٧).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦٣/١٣).

قال الطبري رحمه الله: " فإنّ اتباع الخبر عن رسول الله ﷺ أولى بنا من غيره "(١).

وقال في موضع آخر: "ولكنا تركنا القول في ذلك؛ للخبر الذي رُوي فيه عن رسول الله ﷺ؛ أنْ كان ﷺ مَعْدِن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآيِ كتابه "(٢).

وقال أيضاً: "رسول الله ﷺ أعلم بما أنزل الله عليه، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول "(٣).

وقال ابن العربي رحمه الله بعد ذكر الخلاف في المراد بالسبع المثاني: "فالسبع المثاني كثير، والكل محتمل، والنص قاطع بالمراد، قاطع بمن أراد التكليف والعناد، وبعد تفسير النبي ﷺ فلا تفسير، وليس للمتعرض إلى غيره إلا النكير. وقد كان يمكن لولا تفسير النبي ﷺ أن أحرر في ذلك مقالا وجيزاً، وأسبك من سنام المعارف إبريزاً، إلا أن الجوهر الأغلى من عند النبي ﷺ أولى وأعلى "(٤).

وقال القرطبي رحمه الله: " إذا ورد عن النبي ﷺ وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل التأويل كان الوقوف عنده "(٥).

وقال الشوكاني رحمه الله: " وهذا التفسير من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه ناظر إلى المعنى اللغوي كما عرفناك، ولكن رسول الله ﷺ قد فسره فيما صح عنه: أنه النهر الذي

(١) جامع البيان، للطبري (٤/٥٤٧).

(٢) جامع البيان، للطبري (١٠/٤١٩).

(٣) جامع البيان، للطبري (٢٢/١٨).

(٤) أحكام القرآن، لابن العربي (٣/١١٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/٢٥٢).

في الجنة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل "[١].

وقال الآلوسي رحمه الله: "وهل بعد قول رسول الله الصادق الأمين قولٌ لقائل، أو قياسٌ لقائس، هيهات هيهات، دون ذلك أهوال "[٢].

وقال في موضع آخر: " وأنت تعلم أنه إذا صح الحديث، ولم يتأت حمل ما فيه على التمثيل، لا ينبغي العدول عنه "[٣].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله[٤]: "وهي صلاة العصر، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ، ولا عبرة بما خالفه؛ لأن النبي ﷺ أعلم بمراد الله "[٥].

ومن القواعد التفسيرية: أنه إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٦٧٩/٥).

(٢) روح المعاني، للآلوسي (٩٦/١).

(٣) المصدر السابق (٢١٤/١٣).

(٤) هو محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان الوهيبي التميمي، وعثيمين لقب لجده الرابع عثمان، فاشتهر به. الفقيه الأصولي المفسر. من خواص طلاب الشيخ العلامة المفسر عبد الرحمن السعدي، وخليفته في إمامة الجامع والتدريس فيه. ولد في عنيزة سنة ١٣٤٧هـ، وتوفي سنة ١٤٢١هـ ودفن بمقبرة العدل بمكة. من أشهر آثاره: (الشرح الممتع)، و (القواعد المثلى)، وغيرها من الدروس والرسائل والفتاوى. ينظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، لوليد الحسين.

(٥) تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)، للعثيمين (١٧٨/٣).

وأن كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[١].

وهذه النقول والقواعد تدل دلالة واضحة على أهمية التفسير النبوي، وقوته للاحتجاج، وعدم معارضة غيره له.

وينبغي هنا أن يُفرّق بين مصطلحي: (التفسير بالسنة) و (التفسير النبوي)[٢].

ذلك أن التفسير بالسنة: هو كل إفادة يستفيدها المفسر من السنة في بيان القرآن وتفسيره، وهذه الإفادة من عمل المفسر واجتهاده في الغالب.

أما التفسير النبوي: فيلحظ فيه إضافته إلى النبي ﷺ، ويمكن أن يقال: هو كل قولٍ أو فعلٍ صدر عن النبي ﷺ صريحاً في إرادة التفسير.

وبهذا يظهر أن مصطلح (التفسير بالسنة) أعم وأشمل من مصطلح (التفسير النبوي).

📖 ويمكن حصر التفسير النبوي في ثلاثة أنواع:

١- أن يبتدر الصحابةَ بتفسير آية، فقد يذكر ﷺ الآية، ثم يفسرها أو العكس.

ومن أمثلة ذكر الآية ثم تفسيرها: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه[٣]، قال: إن رسول الله ﷺ قال: قيل لبني إسرائيل ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ

---

(١) ينظر: قواعد التفسير، لخالد السبت (١/١٤٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي (١/١٧١).

(٢) ينظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للطيار (١٣٨).

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. قدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم النبي ﷺ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا. ولما =

حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاههم (أدبارهم) وقالوا: «حبة في شعرة»(١).

ومن أمثلة ذكر معنى الآية ثم ذكر الآية: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه(٢): قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ ﴾ [هود: ١٠٢]» (٣).

٢- أن يسأله الصحابةُ عن المعنى المراد فيجيبهم.

=

صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ. ينظر : الاستيعاب (٨٦٢)؛ وأسد الغابة (٣/٤٥٧)؛ والإصابة (١٣/٢٩).

(١) رواه البخاري في (ك: الأنبياء، ب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) ٣/١٢٤٨، برقم (٣٢٢٢)؛ ومسلم في (ك: التفسير) ٤/٢٣١٢، برقم (٣٠١٥).

(٢) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى الأشعري، من قحطان، صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الاسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة. وكان أحسن الصحابة صوتا في التلاوة، خفيف الجسم، قصيرا. توفي في الكوفة سنة ٤٤هـ. ينظر : الاستيعاب (٤٣٢)؛ وأسد الغابة (٣/٣٦٤)؛ والإصابة (٦/٣٣٩).

(٣) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: سورة هود) ٤/١٧٢٦، برقم (٤٤٠٩)؛ ومسلم في (ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم) ٤/١٩٩٧، برقم (٢٥٨٣).

ومن أمثلته، ما رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت[١] وأبي الدرداء[٢] رضي الله عنهما في سؤالهما عن البشرى في قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٤] جاء في حديث أبي الدرداء: أن رجلاً من مصر سأله عن هذه الآية، فقال له أبو الدرداء: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ، فقال: ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»[٣].

وهذان من التفسير القولي.

٣- أن يتأول أمراً أو نهياً في القرآن. والتأوّل: ما يقوم به الرسول ﷺ من أفعالٍ تكون مفسرة للخطاب القرآني، وموضحة للمراد منه.

---

(١) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، صحابي، من سادات الصحابة، ومن الموصوفين بالورع. شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وبدرا وسائر المشاهد. ثم حضر فتح مصر. وهو أول من ولي القضاء بفلسطين. ومات بالرملة أو ببيت المقدس سنة ٣٤هـ. ينظر : الاستيعاب (٤٦٩)؛ وأسد الغابة (١٥٨/٣)؛ والإصابة (٥٦٧/٥).

(٢) هو عويمر بن عامر (وقيل: مالك) بن قيس بن أمية الانصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي، من العلماء الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجرا في المدينة، ثم انقطع للعبادة. وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها. وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظا، على عهد النبي ﷺ بلا خلاف، مات بالشام سنة ٣٢هـ. ينظر : الاستيعاب (٥١٧)؛ وأسد الغابة (٣٠٦/٤)؛ والإصابة (٥٦٥/٧).

(٣) رواه الترمذي في (ك: الرؤيا، ب: قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾) ٥٣٤/٤، برقم (٢٢٧٣). وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٣٩٢/٤).

ومن أمثلته ما يلي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ينظر ما هو، فجاء أبو لهب[١] وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾ [المسد: ١، ٢]»[٢].

٢- وعن مسروق[٣]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاةً

(١) هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو لهب، عم رسول الله ﷺ، من أشراف قريش في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين في الإسلام. وفيه وفي زوجه نزلت سورة المسد. وكان أحمر الوجه مشرقا، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات سنة ٢هـ بعد وقعة بدر بأيام، ولم يشهدها. ينظر : الأعلام، للزركلي (٤٣٩/١٠).

(٢) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: سورة الشعراء) ١٧٨٧/٤، برقم (٤٤٩٢)؛ ومسلم في (ك: الإيمان، ب: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾) ٢٠٨/١، برقم (١٩٣).

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر ﷺ، وسكن الكوفة. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. توفي سنة ٦٣هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٩٧/٨)؛ وتهذيب الكمال، للمزي (٤٥١/٢٧)؛ والإصابة (١٢/٤).

بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١] إلا يقول فيها: "سبحانك ربنا وبحمدك اللّٰهم اغفر لي".

وفي رواية أخرى عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك، اللّٰهم اغفر لي، يتأوّل القرآن»(١).

وهذا هو التفسير الفعلي.

📖 وأما التفسير بالسنة فهو يشمل كل إفادة يستفيدها المفسر من السنة في تفسير القرآن، وهذه الإفادة لا يمكن حصرها، ومن أنواع هذه الإفادة:

النوع الأول: أن يرد في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً لآية.

فقد يذكر الرسول ﷺ في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً لآية غير أنه لم يورده مورد التفسير، فيعمد المفسر إلى مثل هذا الكلام النبوي فيجعله تفسيراً لآية.

والمفسر حين يقوم بهذا العمل يكون مجتهداً في الربط والتوفيق بين معنى الآية ومعنى الحديث الذي يراه مفسراً لها.

وقد ورد ربطُ معنى حديث بآية يفسرها عن الصحابة والتابعين، ومن أمثلة ذلك عندهم ما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها" ثم

---

(١) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: سورة النصر) ٤/ ١٩٠٠، ١٩٠١، برقم (٤٦٨٣، ٤٦٨٤)؛ ومسلم في (ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود) ١/ ٣٥١، برقم (٤٨٤).

يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٦] (١).

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢] جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدركه ذلك لامحالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(٢).

النوع الثاني: أن يكون في الآية إشارة إلى موضوع بيّنه الرسول ﷺ في كلامه.

ومن ذلك ما ذكره ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]، قال:

"وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ يعني: يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت ولا تباله، فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس. ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمي عن أبي

---

(١) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: سورة آل عمران) ١٦٥٥/٤، برقم (٤٢٧٤)؛ ومسلم في (ك: الفضائل، ب: فضائل عيسى عليه السلام) ١٨٣٨/٤، برقم (٢٣٦٦).

(٢) رواه البخاري في (ك: الاستئذان، ب: زنا الجوارح دون الفرج) ٢٣٠٤/٥، برقم (٥٨٨٩)؛ ومسلم في (ك: القدر، ب: قدر على بن آدم حظه من الزنا وغيره) ٢٠٤٦/٤، برقم (٢٦٥٧).

صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء"(١).

(١) رواه مسلم في (ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود) ١/ ٣٥٠، برقم (٤٨٢).

(المطلب الثاني)
عناية مكي بالسنة والترجيح بها

لقد ظهرت عناية الإمام مكي رحمه الله في تفسيره بالاستشهاد كثيراً بالسنة، بل ورجح بها أحياناً، وقد نص على أولوية الأخذ بالحديث إذا وجد، فقال رحمه الله: "والحديث المروي عن النبي ﷺ أولى بالاتباع "(١).

ومن استشهاده بالسنة، ما يلي:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨] بعدما أورد طائفة من الآيات تحض الحكام على العدل، كذلك أورد عدداً من الأحاديث الصحيحة تبين أن هذا الخطاب موجه كله إلى ولاة أمور المسلمين ومن قام مقامهم من الحكام:

" وقال ﷺ: " المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه - جلت عظمته - يمين هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وأموالهم "(٢).

وقال ﷺ: " إن أحب الناس إلى الله وأقربهم إليه سبحانه وتعالى إمام عادل ".

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/٥٦٢٢).

(٢) رواه مسلم في (ك: الإمارة، ب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر) ١٤٥٨/٣، برقم (١٨٢٧)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وقال: "إن أبغض الناس إلى الله جل ذكره وأشدهم عذاباً إمام جائر "(١).

وقال ﷺ: " إن أفضل عباد الله منزلة إمام عادل رفيق، وإن شر عباد الله تعالى منزلة يوم القيامة إمام جائر "(٢).

وقال معقل المزني(٣) عند موته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليس من ولي أمة قَلت أو كثرت لم يعدل فيهم إلا كبه الله على وجهه في النار "(٤).

وروي عنه ﷺ أنه قال: " ما من أمير عشرة إلا وهو يجيء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يكون عمله هو الذي يطلقه أو يوبقه، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن

---

(١) الحديثان رواهما أحمد في (مسند أبي سعيد الخدري ﷺ) ١٧/٢٦٤، برقم (١١١٧٤)؛ والترمذي في (ك: الأحكام، ب: الإمام العادل) ٣/٦١٧، برقم (١٣٢٩)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وقال الترمذي: حديث أبي سعيد حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/٢٩٨).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان في (ك: طاعة أولي الأمر، ب: في فضل الإمام العادل وما جاء في جور الولاة) ٩/٤٧٧، برقم (٦٩٨٦)، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني، أبو علي، صحابي، أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان ، وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة، حفره بأمر عمر ﷺ، مات بالبصرة نحو ٦٥هـ. ينظر: الاستيعاب (٦٧٤)؛ وأسد الغابة (٥/٢٢٤)؛ والإصابة (١٠/٢٨٠).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك في (ك: الأحكام) ٤/١٠٢، برقم (٧٠١٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي في التلخيص. من طريق عبيد الله بن موسى ثنا إسرائيل عن عامر (والصواب: عمار) الدهني عن أبيه عن أم معقل عن أبيها، ثم قال: هذه أم معقل بنت معقل بن سنان الأشجعي. ويبدو أن الإمام الحاكم قد وهم في نسبة أم معقل، وصوابه: أنها ابنت معقل بن يسار المزني. ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري (١/٣٣٩).

رعيته "(١).

وقال ﷺ: "سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام مقسط، وشاب نشأ في عبادة الله - عز وجل - حتى توفاه الله على ذلك، ورجل ذكر الله في خلا، ففاضت عيناه من خشية الله - عز وجل -، ورجل كان قلبه متعلقاً بالمسجد حين يخرج منه حتى يرجع إليه، ورجل قال أحدهما للآخر: إني أحبك في الله، وقال الآخر: إني أحبك في الله، فتصادرا على ذلك، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه "(٢).

وقال النبي ﷺ في خطبته: "أصحاب الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط، ومصدق مؤمن، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير "(٣))(٤).

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى في (ك: آداب القاضي، ب: كراهية الإمارة ، وكراهية تولي أعمالها لمن رأى من نفسه ضعفاً) ١٠/١٦٤، برقم (٢٠٢١٥) بنحوه، من حديث أبي هريرة ﷺ. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢/٥٠٩).

(٢) رواه البخاري في (ك: الزكاة، ب: الصدقة باليمين) ٢/٥١٧، برقم (١٣٥٧)؛ ومسلم في (ك: الزكاة، ب: فضل إخفاء الصدقة) ٢/٧١٥، برقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه مسلم مطولا في (ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) ٤/٢١٩٧، برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ. بلفظ: (وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٣٦٧).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥] ، بعدما عقد باباً مختصراً للحض على بر الوالدين، وقد أورد عدداً كبيراً من الأحاديث:

" فبر الوالدين أعظم ما يتقرب به إلى الله جل ذكره، وعقوقهما من أعظم الكبائر المهلكات، وقد تقدم القول في ذلكما في " سبحان " وبيّنه الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

فنهى الله عز وجل الولد أن يقول أف إذا شم منهما رائحة يكرهها، فالنهي لما فوق ذلك أعظم، وهذا باب مختصر في الحض على بر الوالدين.

روى ابن مسعود " أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل قال: " الإيمان بالله، والصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله "(١).

وروى مُوَرِّق العِجْلي(٢) أن النبي ﷺ قال: " هل تعلمون نفقة أفضل من نفقة في

---

(١) رواه البخاري في (ك: التوحيد، ب: وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا) ٦/٢٧٤٠، برقم (٧٠٩٦)؛ ومسلم في (ك: الإيمان، ب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) ١/٨٩، برقم (٨٥).

(٢) هو مورق بن مشمرج (ويقال ابن عبدالله) العجلي، أبو معتمر البصري، ويقال الكوفي، تابعي. كان ثقة عابدا، مات سنة ١٠٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٤)؛ وتهذيب الكمال (١٦/٢٩)؛ وتهذيب التهذيب (١٦٨/٤).

سبيل الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: نفقة الولد على الوالدين "(١).

وروى أبو هريرة، أن النبي ﷺ قال: " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالدين، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم "(٢).

وفي رواية أخرى: " ودعوة الإمام العادل في موضع، ودعوة المظلوم "(٣).

قال الحسن: دعاء الوالدين للولد نجاة، ودعاؤهما عليه استيصال(٤).

قال: وعن المسيب(٥) " أن النبي ﷺ صعد يوماً المنبر فلما وضع رجله على الدرجة الأولى قال: آمين، ثم وضع رجله على الدرجة الثانية فقال: آمين، ثم وضع رجله على الدرجة الثالثة فقال: آمين، فلما فرغ من خطبته ذكروا له ذلك فقال: إن جبريل استقبلني حين وضعت رجلي على الدرجة الأولى، فقال: من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يغفر له فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين، فلما صعدت إلى الثانية قال:

---

(١) رواه ابن وهب في الجامع في الحديث ١٩٦/١، برقم (١٢٤). وهو مرسل؛ فإن مورقاً رفعه إلى النبي ﷺ، وهو تابعي.

(٢) رواه أبو داود في (ك: الوتر، ب: الدعاء بظهر الغيب) ٥٦٣/١، برقم (١٥٣٨)؛ والترمذي في (ك: البر والصلة، ب: دعوة الوالدين) ٣١٤/٤، برقم (١٩٠٥)؛ وابن ماجه في (ك: الدعاء، ب: دعوة الوالد ودعوة المظلوم) ١٢٧٠/٢، برقم (٣٨٦٢)، جميعهم بلفظ (الوالد) بدل (الوالدين). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥/٢).

(٣) رواه ابن ماجه في (ك: الصيام، ب: في الصائم لا ترد دعوته) ٥٥٧/١، برقم (١٧٥٢). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٣٤/٣).

(٤) رواه المروزي في البر والصلة ٢٢/١، برقم (٤٥). وحسَّن إسنادَه محققُه د. محمد سعيد بخاري.

(٥) هكذا في المطبوع، وصوابه: سعيد بن المسيب. ينظر: المطالب العالية، لابن حجر (٣٣٧/١١، ٣٤٠ وما بعدها).

من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين، فلما صعدت إلى الثالثة، قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين، فقلت: آمين "(١).

وروى مجاهد يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: " كل شيء بينه وبين الله حجاب إلا شهادة أن لا إله إلا الله، ودعوة الوالدين "(٢).

وعن الحسن " أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال له إني حججت، وإن والدتي قد أذنت لي في الحج، فقال له: " لقعدة معها تقعدها على مائدتها أحب إلي من حجتك "(٣).

وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: " إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعده "(٤).

---

(١) أورده ابن حجر في المطالب العالية ٣٣٧/١١، برقم (٢٥٤٠)، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. وقال البوصيري في إتحاف المهرة: رواه أحمد بن منيع مرسلاً بسند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان. ورواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث جابر بن سمرة ﷺ ٢٤٣/٢، برقم (٢٠٢٢)؛ ومن حديث ابن عباس ﷺ ٨٢/١١، برقم (١١١١٥)، وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو مختلف فيه، وبقية رجاله ثقات؛ ومن حديث كعب بن عجرة ﷺ ١٤٤/١٩، برقم (٣١٥)، ورجاله ثقات. والحديث روي عن عدةٍ من الصحابة بأسانيد بعضها حسنة، وصححه لغيره الألباني في صحيح الجامع الصغير(٧٦/١).

(٢) أورده الديلمي في الفردوس ٢٥٢/٣، برقم (٤٧٤٦)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) رواه الحسين بن الحسن المروزي في البر والصلة ٣٣/١، برقم (٦٢)؛ وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (نظرة مودة للأم خير من الجهاد) ٧٤، برقم (٢١٨)، كلاهما من حديث الحسن، وأن السائل سأل الحسن، ولم يرفعه. وفيه ضعف؛ لأن في إسناده هشام بن حسان، وهو وإن كان ثقة، لكنْ في روايته عن الحسن مقال؛ لأنه قيل: كان يرسل عنه. ينظر: التقريب (ص ٦٦٤).

(٤) رواه مسلم في (ك: البر والصلة والآداب، ب: فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما) ١٩٧٩/٤، برقم (٢٥٥٢).

وقال عمر ﷺ: " من أراد أن يصل أباه بعد موته فليصل إخوان أبيه بعده "(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال: "ودك ود أبيك، لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ بذلك نورك "(٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، واليمين الغموس "(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما(٤) قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده في (مسند عبد الله بن عمر ﷺ) ٣٧/١٠، برقم (٥٦٦٩)؛ وابن حبان في صحيحه في (ك: البر والإحسان، ب: حق الوالدين) ١٧٥/٢، برقم (٤٣٢)، من حديث ابن عمر، وليس عمر. وصححه السيوطي في الجامع الصغير. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد في (ك: الوالدان، ب: لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ نورك) ٢٩/١، برقم (٤٢) من حديث عبد الله بن سلام؛ والبيهقي في شعب الإيمان في (بر الوالدين) ٢٩٥/١٠، برقم (٧٥١٧)، من حديث ابن أبي مليكة. وضعفه الألباني؛ ورواه الطبراني في الأوسط ٢٧٩/٨، برقم ٨٦٣٣ من حديث ابن عمر بلفظ: "احفظ ود أبيك، لا تقطعه فيطفئ الله نورك" قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وإسناده حسن.

(٣) رواه البخاري في (ك: الشهادات، ب: ما قيل في شهادة الزور) ٩٣٩/٢، برقم (٢٥١١) من حديث أبي بكرة ﷺ، ولفظة " واليمين الغموس" جاءت من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ في (ك: الأيمان والنذور، ب: اليمين الغموس) ٢٤٥٧/٦، برقم (٦٢٩٨)؛ ومسلم في (ك: الإيمان، ب: بيان الكبائر وأكبرها) ٩١/١، برقم (٨٧) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٤) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، من بني كعب بن لؤي، أبو محمد، صحابي، من النساك. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه. فاستأذن رسول الله ﷺ في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له. وكان كثير العبادة. شهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة. وعمي في آخر حياته. توفي سنة ٦٥هـ. ينظر: الاستيعاب (٤٢١)؛ وأسد الغابة (٣٤٥/٣)؛

=

" إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه، قيل: وكيف يسب الرجل والديه، قال: يسب أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه "(١).

وروى أبو أمامة ﵁(٢) أن النبي ﷺ قال: " أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُدْمِنُ خَمْرٍ، وَمُكَذِّبٌ بِقَدَر "(٣).

قال الحسن: "انتهت القطيعة إلى أن يجافي(٤) الرجل أباه عند السلطان"(٥)، يعني يخاصمه.

ويروى أن النبي ﷺ قال: " الأم أعظم حق(٦) في البر والطاعة من الأب "(٧).

وعن الحسن أنه قال: ثلثا البر الطاعات للأم والثلث للأب(١).

=

والإصابة (٦/٣٠٨).

(١) رواه البخاري في (ك: الأدب، ب: لا يسب الرجل والديه) ٥/٢٢٢٨، برقم (٥٦٢٨)؛ ومسلم في (ك: الإيمان، ب: بيان الكبائر وأكبرها) ١/٩٢، برقم (٩٠).

(٢) هو صُدَيْ بن عَجْلان بن الحارث (وقيل: ابن وهب) الباهلي السهمي، أبو أمامة، صحابي. كان مع علي في صفين، وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص سنة ٨١هـ. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. ينظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٣٤٨)؛ وأسد الغابة، لابن الأثير (٣/١٥)؛ والإصابة، لابن حجر (٥/٢٤١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٨/٢٤٠، برقم (٧٩٣٨)؛ وابن عدي في الكامل ٢/٧، برقم (٢٤٥)، وفي إسناده بشر بن نمير، وهو ضعيف بالإجماع. ينظر: تهذيب التهذيب (١/٢٣٢).

(٤) هكذا في المطبوع، وصوابه: يجاثي. ينظر: البر والصلة، للمروزي (١/٥٦)، برقم (١١٠).

(٥) رواه المروزي في البر والصلة ١/١١، برقم (١٨)، ورجال إسناده ثقات.

(٦) هكذا في المطبوع، وصوابه: (حقاً)؛ لأنه تمييز منصوب.

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، ويدلّ على معناه حديث أبي هريرة الذي بعده.

وروى أبو هريرة: " أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق مني بحسن الصحبة؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك ثلاثاً، قال: ثم من؟ قال: أباك "(٢).

وقد قرن الله جل ذكره شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال كعب الأحبار(٣): قال لقمان لابنه: " يا بني من أرضى والديه فقد أرضى الرحمن، ومن أسخطهما فقد أسخط الرحمن، يا بني إنما الوالدان باب من أبواب الجنة، فإن رضيا مضيت إلى الجنان، وإن سخطا حجبت "(٤).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: " لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيعتقه

=

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (ك: الأدب، ب: ما ذكر في بر الوالدين) ١٣/٧٥، برقم (٢٥٩١٠)، بلفظ: "للأم ثلثا البر، وللأب الثلث".

(٢) رواه البخاري في (ك: الأدب، ب: من أحق الناس بحسن الصحبة) ٥/٢٢٢٧، برقم (٥٦٢٦)؛ ومسلم في (ك: البر والصلة والآداب، ب: بر الوالدين وأنهما أحق به) ٤/١٩٧٤، برقم (٢٥٤٨).

(٣) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، المعروف بكعب الأحبار، أبو إسحاق، تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر ﷺ، وقدم المدينة في دولة عمر ﷺ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة ٣٢هـ، عن مئة وأربع سنين. ينظر: الطبقات، لابن سعد (٧/٣٠٩)؛ والإصابة (٩/٣٤٢).

(٤) رواه المروزي في البر والصلة ١/١٦، برقم (٣٢)، وإسناده ضعيف جداً.

"(١)))(٢).

وهكذا نرى أن مكياً يستشهد بالأحاديث الصحيحة في تفسيره، فيفسر بها الآيات القرآنية في بعض الأحيان، كما يأتي بها أحياناً أخرى للحض على بعض المعاني التي يذكرها القرآن تأكيداً لأهميتها.

ومما جاء في ترجيحه بالحديث ما يلي:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٩]:

((وقوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾. روي عن عائشة أنه الفراط، يعني أنهم كانوا يتفارطون في مجالسهم(٣).

" وروت أم هانئ رضي الله عنها(٤) أنها سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى ذكره: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ قال: " كانوا يَخْذِفون أهلَ الطريقِ ويَسْخَرُونَ

(١) رواه مسلم في (ك: العتق، ب: فضل عتق الوالد) ١١٤٨/٢، برقم (١٥١٠).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٨٣٠).

(٣) هكذا في المطبوع، وصوابه: "الضُّراط، يعني أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم". ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٩).

(٤) هي فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية القرشية، المشهورة بأم هانئ، أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وبنت عم النبي ﷺ. أسلمت عام الفتح بمكة، وهرب زوجها إلى نجران، ففرق الإسلام بينهما، فعاشت أيّما. وماتت بعد أخيها " علي "، بعد سنة ٤٠هـ. ينظر: الاستيعاب (٩٣١)؛ والإصابة (١٤/ ٧٧)؛ وأعلام النساء، لعمر كحّالة (٤/ ١٤).

منهم، فهوَ المنكر الذي كانوا يأتون"[١]، وقاله عكرمة والسدي.

وقال مجاهد: المنكر هنا أنهم كانوا يجامع بعضُهم بعضاً في المجالس[٢]. وهو قول قتادة وابن زيد. والحديث المروي عن النبي ﷺ أولى بالاتباع))[٣].

(١) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٢٩).

(٢) جامع البيان، للطبري (٢٠/ ٣٠).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٥٦٢١).

المبحث الخامس

﴿ الترجيح بأقوال الصحابة(١)﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

حجية هذا النوع من طرق التفسير

الصحابة رضوان الله عليهم خِيرَةُ الخلق بعد رسول الله ﷺ، اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه ﷺ، وجعلهم أنصار دينه، وهم أرقّ الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأبعدهم عن التكلف، حفظ الله بهم الدين، ونشره بهم في العالمين، وكانوا في علمهم بين مُكْثِرٍ ومُقلّ.

قال مسروق: (لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ(٢)، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المئة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ)(٣).

ولِمَا كان لهم من الصحبة والقرب من رسول الله ﷺ ومعرفة أحواله، فإن

---

(١) من المؤلفات في تفسير الصحابي:

- قول الصحابي في التفسير الأندلسي حتى القرن السادس، لفهد بن عبد الرحمن الرومي.

(٢) الإخاذ: هو مُجْتَمَعُ الماء (الغدير). وجمعه أُخُذٌ، ككتاب كتب. وقيل: هو جمع الإِخَاذة، وهو مصنع للماء يجتمع فيه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٨).

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي (١/١٤٤).

لأقوالهم تقدّماً على غيرها عند أهل العلم، فتجدهم يعتمدون عليها في بيان الدين، ويتخيّرُونَ من أقوالهم إذا اختلفوا، غير خارجين عنها إلى غيرها.

هذا وقد تميّزت أقوالهم بالعمق من غير تكلّف، ومن نظر في تفسيراتهم ووازنها بأقوال المتأخرين عَرَفَ صدق هذا القول.

ولقد كان من أبرز مَنْ أظهر هذه الفكرة، وبيّن ما للصحابة من مزيّة في عباراتهم التفسيرية الإمامُ ابن القيم في كتبه، ومن ذلك قوله: (... فعاد الصواب إلى قول الصحابة، وهم أعلم الأمّة بكتاب الله ومُراده منه)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى؛ لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصموا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين منهم "[٢].

ولا شك أن لتفسير الصحابة أهميةً كبيرةً، وذلك لأسباب:

١- أنهم شهدوا التنزيل، وعرفوا أحواله:

لقد كان لمشاهدتهم التنزيل، ومعرفة أحواله أكبر الأثر في علوّ تفسيرهم وصحته، إذ الشاهد يدرك من الفهم ما لا يدركه الغائب.

قال الشاطبي - في حجيّةِ بيان الصحابة للقرآن، فيما لو اختلفوا-: (وأما الثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنّة، فهم أَقْعَدُ في فَهْمِ

---

(١) بدائع التفسير، لابن القيم (٢/٢١٦).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/٣٦٤).

القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب.

فمتى جاء عنهم تقييدُ بعض المطلَقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه على الصواب، وهذا إن لم ينقل عن أحدهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضُهم فالمسألة اجتهادية)[(١)].

ومعرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن؛ لأن الجهل بأسباب النزول مُوقِعٌ في الشّبَه والإشكالات، ومُورِدٌ للنصوص الظاهرة مَورِدَ الإجمال حتى يقع الاختلاف.

وإنما يقع ذلك؛ لأن معرفة أسباب النزول بمنزلة مقتضيات الأحوال التي يُفْهَمُ بها الخطاب، وإذا فات نقل بعض القرائن الدّالة فات فهْمُ الكلام جملة، أو فهْمُ شيءٍ منه.

ومعرفة أسباب النزول رافعةٌ لكل مشكلٍ في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بدّ، ومعنى معرفة السبب هو معنى مقتضى الحال[(٢)].

إن ممّا يدلّ على ما سبق من الكلام: ما رواه أبو الشيخ[(٣)] وابن مردويه[(٤)]

---

(١) الموافقات، للشاطبي (٤/١٢٨).

(٢) ينظر: الموافقات، للشاطبي (٤/١٤٦).

(٣) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، أبو محمد، المعروف بأبي الشيخ، صاحب التصانيف، من حفاظ الحديث. ولد سنة ٢٧٤هـ، وتوفي سنة ٣٦٩هـ. من أشهر تصانيفه: (العظمة)، و(أخلاق النبي وآدابه). ينظر : تذكرة الحفاظ (٣/٩٤٥)؛ وسير أعلام النبلاء (١٦/٢٧٦).

(٤) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر، من

=

والحاكم[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أُتيَ برجلٍ من المهاجرين الأولين وقد شرب الخمر، فأمر به عمر أن يُجلد، فقال: لِمَ تجلدني؟! بيني وبينك كتاب الله، قال: وفي أيّ كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟

قال: فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ [المائدة: ٩٣]، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا؛ شهدت مع رسول الله: بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد.

فقال عمر: ألا تَرُودّن عليه؟

فقال ابن عباس: هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين، وحجّة على الباقين، عذراً للماضين؛ لأنهم لَقُوا الله قبل أن حرّم الله عليهم الخمر، وحجة على الباقين؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ [المائدة: ٩٠]. حتى بلغ الآية الأخرى)

=

أهل أصبهان. ولد سنة ٣٢٣هـ، وتوفي سنة ٤١٠هـ. من أشهر تصانيفه: (التاريخ)، و (التفسير الكبير). ينظر: تذكرة الحفاظ (١٠٥٠/٣)؛ وسير أعلام النبلاء (٣٠٨/١٧).

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البَيِّع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. ولد سنة ٣٢١هـ، وتوفي سنة ٤٠٥هـ. من أشهر تصانيفه: (المستدرك على الصحيحين)، و (معرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه) المطبوع باسم (معرفة علوم الحديث). ينظر: تذكرة الحفاظ (١٠٣٩/٣)؛ وسير أعلام النبلاء (١٦٢/١٧)؛ وطبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي (١٥٥/٤).

.(١)

فانظر كيف خفي على هذا البدريّ رضي الله عنه حكم هذه الآية لـمّا لم يكن يعلم سبب نزولها؟ وكيف لم تكن مشكلةً عند من علم سبب نزولها؟ فنزّلها منزلتها، وبيّن معناها.

٢- أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن:

يقول الشاطبي - في بيان أهمية معرفة الأحوال في التفسير -: (ومن ذلك: معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثَمّ سبب خاص، لا بدّ لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشّبه والإشكالات التي يتعذّر الخروج منها إلا بهذه المعرفة)(٢).

أ -ومن الأمثلة التي تدلّ على أهمية معرفة أحوالهم في التفسير: ما رواه البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت عُكاظٌ ومجنّةٌ وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثّموا أن يَتّجِروا في المواسم، فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج)(٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (ك: الحدود) ٤/٤١٧، برقم (٨١٣٢). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) الموافقات، للشاطبي (٤/١٥٤).

(٣) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾) ٤/١٦٤٢، برقم (٤٢٤٧).

ب- ومثله ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنهما قالت: (كانت قريش[١] ومن دَانَ دينها يقفون المزدلفة، وكانوا يسمّون الحُمْسُ[٢]، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيّه ﷺ أن يأتي عرفات، ثُمّ يقفَ بها، ثُمّ يُفِيضَ منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩])[٣].

٣- أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن:

لما كان القرآن نزل بلغتهم، فإنهم أعرف به من غيرهم، وهم في مرتبة الفصاحة العربية، فلم تتغيّر ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا في الفصاحة، ولذا فَهُم أعرف

---

(١) للنسابين خلاف طويل في " قريش "، فقائل: إنه لقب للنضر بن كنانة، وقائل: إنه لقب لفهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقائل: إن بني النضر بن كنانة سموا قريشا لتقرشهم (أي تجمعهم) في أيام قصي بن كلاب النضري الكناني، وقائل غير هذا. لكن يجمع هذه الأقوال أنهم بنو النضر بن كنانة (وهو أبو جميع قريش)، فمن لم يكن من ولد النضر فليس بقرشي. وبنو قريش قسمان " قريش البطاح " وهم ولد قصي بن كلاب وبنو كعب بن لؤي، و " قريش الظواهر " وهم من سواهم. وقد تفرع عن هذين القسمين بطون كثيرة. وللزبير بن بكار كتاب " أنساب قريش وأخبارها " كان اعتماد المؤرخين عليه. ينظر : الاشتقاق، لابن دريد (٢٧)؛ وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم (١١- ١٢، ٤٦٤، ٤٧٩).

(٢) الحُمْس : جَمْع الأحْمَسِ : وهم قريش، ومن ولَدَتْ قريش، وكِنانة، وجَدِيلة قَيْسٍ، سُمُّوا حُمْسا؛ لأنهم تَحَمَّسُوا في دِينهم : أي تَشَدَّدُوا . والحَماسَة : الشَّجاعة كانوا يقفون بمُزْدَلفة ولاَ يَقِفُون بعَرَفة، ويقولون : نحن أهل الله فلا نَخْرج من الحَرَم . وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم مُحْرِمون. ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٤٤٠).

(٣) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾) ٤/ ١٦٤٣، برقم (٤٢٤٨).

من غيرهم في فهم الكتاب والسنة، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صحّ اعتماده من هذه الجهة [١].

كما أن ما نُقِل عنهم من كلام أو تفسير فإنه حجّة في اللغة، وفيه بيان لصحّة الإطلاق في لغة العرب، قال ابن حجر: (استشكل ابن التين[٢] قوله[٣]: (ناساً من الجن) من حيث إن الناس ضدّ الجنّ.

وأجيب بأنه على قول من قال: إنه من نَاسَ: إذا تحرك، أو ذُكر للتقابل، حيث قال: (ناس من الناس)، (وناساً من الجن) ويا ليت شعري، على من يعترض؟!)[٤].

٤- حسن فهمهم:

إن من نَظَرَ في أقوال الصحابة في التفسير متدبراً لهذه الأقوال، ومتفهماً لمراميها، وعلاقتها بتفسير الآية، فإنه سيتبيّن له ما آتاهم الله من حسن البيان عن معاني القرآن، من غير تكلّفٍ في البيان، ولا تعمّق في تجنيس الكلام، بل تراهم يُلْقون الألفاظ بداهة على المعنى، فتصيب منه المراد.

---

(١) الموافقات، للشاطبي (١٢٨/٤).

(٢) هو عبد الواحد بن التين الصفاقسي، المغربي، المالكي، أبو محمد، الشهير بابن التين، فقيه محدث مفسر. له اعتناء زائد في الفقه ممزوج بكثير من كلام المدونة وشراحها. اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وكذلك ابن رشد وغيرهما. وتوفي بصفاقس سنة ٦١١هـ. من أشهر تصانيفه: (المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح). ينظر: نيل الابتهاج، للتنبكتي (٢٨٧)؛ وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف (١٦٨)؛ وهدية العارفين، لإسماعيل البغدادي (٦٣٥/١).

(٣) يعني ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٣٩٧/٨).

وكان مما عزّز لهم حسن الفهم: ما سبق ذكره من الأسباب التي دعت إلى الرجوع إلى تفسيرهم من مشاهدة التنزيل، ومعرفة أحوال من نزل فيهم القرآن، وكونهم أصحاب اللسان الذي نزل به القرآن، مع ما لهم من معرفة بأحوال صاحب الشريعة ﷺ، مما كان يعينهم على فهم المراد وحسن الاستنباط.

قال ابن القيم: (قال الحاكم أبو عبد الله في التفسير من كتاب المستدرك: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، عند الشيخين حديث مسند)(١).

وقال في موضع آخر من كتابه: (هو عندنا في حكم المرفوع)(٢).

وهذا وإن كان فيه نظرٌ، فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير مَنْ بعدهم، فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه؛ فعليهم نزل، وهم أول مَن خوطب به مِن الأمة، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول ﷺ علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يُعدَلُ عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل)(٣).

إن هذه المزيّة تُوجِبُ على دارسِ التفسير أن يرجع إلى أقوالهم، وأن يَفْهَم تفسيراتِهم، ليَعْتَمِد عليها في التفسير، ويبنيَ عليها مسائل الآيات وفوائدها.

غير إن كثيراً ممن يَدْرُسُ التفسير أو يُدَرّسُه لا يهتم بإيراد أقوال الصحابة أو التابعين، وكثيراً ما تراه يكتفي بأن ينسب التفسير إلى المتأخرين من المفسرين

---

(١) المستدرك، للحاكم (٢/ ٣١٠).

(٢) المستدرك، للحاكم (٣/ ٤٠٤).

(٣) بدائع التفسير، لابن القيم (٣/ ٤٠٤).

كالزجاج والزمخشري[١] وابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن كثير... وغيرهم.

إن في هذا المسلك ما يقطعُ على طالب العلم شرف الوصول إلى علوم هؤلاء الصحابة وأفهامهم، بل قد يجعله ينظر إلى أقوالهم نظر المقلّلِ من شأنها، ويرى أن تفسيراتهم سطحيّة، لا عمق فيها، ولا تقرير!!.

وهذا خطأ مَحْضٌ، ومجانبة الصواب، وإنما كان سبيل أهل العلم الراسخين فيه أنهم يتكثّرون بموافقة الصحابة، وانظر كم الفرق بين أن يُقال: هذا قول ابن عباس في الآية، أو يقال: هذا قول الزجاج أو ابن عطية أو غيرهم في الآية.

٥- سلامة قصدهم:

لم يقع بين الصحابة خلافٌ يُؤَثّر في علمهم، بحيث يوجّه آراءهم العلمية إلى ما يعتقدونه، وإن كان مخالفاً للحق، بل كان شأن الخلاف بينهم إظهار الحق، لا الانتصار للنفس أو المذهب الذي ذُهِبَ إليه.

لقد ظهر فيمن بعدهم من أصحاب العقائد الباطلة؛ كالخوارج[٢]، والمرجئة[١]،

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، معتزلي المذهب، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ، وسافر إلى مكة، فجاور بها زمنا، فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ. من أشهر تصانيفه: (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة)، و (المفصّل) في النحو. ينظر : معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢٦٨٧/٦)؛ ووفيات الأعيان، لابن خلكان (١٦٨/٥)؛ وسير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠).

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ويجمعهم: القول بالتبرّي من عثمان وعلي رضي الله عنهما، والخروج على السلطان الجائر، وتكفير مرتكب الكبيرة - عدا النجدات - وتخليده =

والجهمية[٢]، والمعتزلة[٣]، وغيرهم، فظهر في أقوالهم مجانبةُ الحق، وكثر الخلاف بسبب كثرة الآراء الباطلة، مما جعل القرآنَ عُرضةً للتحريف والتأويل، إذ كلّ يصرفه إلى

=

في النار إذا مات مصراً عليها. وتفرقوا إلى أكثر من عشرين فرقة. وكانوا أهل عبادة، ولكن على جهل، ومن أسمائهم: الحرورية. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (١/١٦٧)؛ والفَرْقُ بين الفِرَق، لعبد القاهر البغدادي (٧٢)، والملل والنحل، للشهرستاني (١/١٠٦)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان (٢/١٠٥٣).

(١) المرجئة: أصلها من الإرجاء، وهو التأخير، وسموا بذلك؛ لأنهم يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان (أي عن النية والعقد)، وهم أصناف وفرق كثيرة، منهم الغالي، ومنهم دون ذلك، ويجمعهم: القول بأن الأعمال ليست من الإيمان. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (١/٢١٣)؛ والفَرْقُ بين الفِرَق (١٧٨)، والملل والنحل (١/١٣٧)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان (٢/١١٤٣).

(٢) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان السمرقندي، تلميذ الجعد بن درهم، قتله سالم بن أحوز المازني، آخر ملوك بني أمية، سنة ١٢٧هـ. ومن ضلالاته: القول بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وأن العبد مجبور على فعله، وليس له قدرة ولا اختيار (الجبر المحض)، وأن القرآن مخلوق، وإنكار الصفات. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (١/٣٣٨)؛ والفَرْقُ بين الفِرَق (١٨٦)، والملل والنحل (١/٧٣)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان (٢/١٠٤٠).

(٣) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، سموا بذلك؛ لاعتزال واصل وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري بعد مخالفته في حكم مرتكب الكبيرة، وقولهم: بأن مرتكب الكبيرة (الفاسق) في منزلة بين المنزلتين (لا مؤمن ولا كافر) في الدنيا، وإذا مات من غير توبة حكموا بتخليده في النار. وقد افترقوا على أكثر من عشرين فرقة، يجمعهم: ما سبق، والقول بنفي الصفات الأزلية عن الله تعالى، والقول بأن كلام الله محدث، والقرآن مخلوق، وأن العباد خالقون لأفعالهم، وأن الله لا يُرى في الآخرة، ويسمَّون: القدرية. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (١/٢٣٥)؛ والفَرْقُ بين الفِرَق (١٠٤)، والملل والنحل (١/٣٨)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان (١/٦٤).

مذهبه، وهذا مما سلم منه جيل الصحابة، فلم يتلوّث بمثل هذه الخلافات.

ولهذا جاء تفسيرهم بعيداً عن إشكالات التأويل، وصرف اللفظ القرآني إلى ما يناسب المذهب، أو غيرها من الانحرافات في التفسير.

وأما ما يتعلق بحكم تفسير الصحابي، وهل يحتج به أم لا:

فقد ذكر بعض العلماء أن قول الصحابي في التفسير له حكم الرفع، ولكن هذا القول يحتاج إلى تقييد، ويمكن تقسيم تفسير الصحابي إلى أقسام(١):

(١) ما له حكم الرفع : وهو ما لا يقال من جهة الرأي، كأسباب النزول، والإخبار عن المغيبات ما لم يكن مأخوذاً عن بني إسرائيل . وهذا النوع يجب قبوله إذا صح .

(٢) ما رجعوا فيه إلى لغتهم : وحكم هذا النوع القبول ، لأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن .

(٣) ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب : وهذا له حكم الإسرائيليات، وهي على ثلاثة أقسام :

(أ) ما علمنا صحته، لوجود ما يشهد له في الكتاب أو السنة، فهو صحيح ولا مانع من التحديث به.

(ب) ما تيقّنّا كذبه، لوجود ما يعارضه في الكتاب أو السنة ، فهذا لا يجوز التحديث به إلا في مقام الرد والإبطال.

(ج) ما كان من المسكوت عنه، فليس عندنا ما يكذبه ولا ما يصدقه،

---

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير، للطيار (٣٣).

فهذا لا نكذبه ولا نجزم بثبوته، ولا مانع من التحديث به، لكن لا يُفسر القرآن به.

(٤) ما اجتهدوا فيه : وهذا فيه تفصيل :

(أ) أن يتوافق اجتهادهم – ومن باب أولى ما أجمعوا عليه – فيكون حجة .

(ب) أن يختلف اجتهادهم ؛ فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجحات ، والتي تسمى بـ(قواعد الترجيح) .

(ج) أن يُنقلَ عن أحدهم قولٌ ، ولا يُعلم له مخالف ، فيكون حجة .

(المطلب الثاني)
عناية مكي بالترجيح بأقوال الصحابة

إن الناظر في تفسير الإمام مكي - رحمه الله - يلحظ اهتمامه البالغ بنقل أقوال الصحابة في التفسير من أوله إلى آخره، مما يؤكد أهمية وقوة هذا الطريق من طرق التفسير، واحتجاجه بآرائهم، أو التخير منها عند اختلافهم.

وقد نص مكي رحمه الله في مقدمته على الاستفادة مما نقل عن الصحابة فقال: "هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره، واختصاره، وتقصيت ذكر ما وصل إليّ من مشهور تأويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي، وما تذكرته في وقت تأليفي له"[1].

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]:

« والصراط المستقيم كتاب الله. وهو مروي عن النبي عليه الصلاة والسلام.
وقال ابن عباس: " هو الطريق إلى الله عز وجل ".
وعن جماعة من الصحابة أنه الإسلام.

---

(١) مقدمة الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٤).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[١]: " هو الإسلام وهو أوسع مما بين السماء والأرض "»[٢].

ب- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾ [البقرة: ٣٣]:

« و﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾: هو ما أضْمَر إبليس في نفسه من الكبر والعز. روي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة والتابعين»[٣].

وكونه ينقل تفاسير الصحابة دون تعقيب أو ترجيح يدل - ولا شك - على اختياره لما ذهبوا إليه.

ولعل نظرة إحصائية في أشهر اثنين ممن نقل عنهم من الصحابة في التفسير، تؤكد لنا أهمية هذا المصدر – أعني تفسير الصحابة - عند مكي في تفسيره، وهما:

١- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وهو أشهر وأكثر من نَقل عنه، بل قد نص في مقدمته على ذكر آرائه في التفسير، فقال: " جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. توفي سنة ٧٨هـ. ينظر : الاستيعاب (١١٤)؛ وأسد الغابة (٤٩٢/١)؛ والإصابة (١٢٠/٢).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١٠/١).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٣٠/١).

شيخنا أبي بكر الأدفوي رحمه الله وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) المشتمل على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن.

اقتضيت في هذا الكتاب نوادره وغرائبه، ومكنون علومه، مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر الطبري، وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام"[١].

وقد بلغ مجموع ما ذكره لابن عباس رضي الله عنهما قريباً من: ٢٢٩٦ قولاً في التفسير.

٢- عبد الله بن مسعود ﷺ.

وقد بلغ مجموع ما ذكره لابن مسعود ﷺ: ٣٤٥ قولاً في التفسير.

وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) مقدمة الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٤).

المبحث السادس

﴿ الترجيح بأسباب النزول(١)﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

أهمية أسباب النزول وأثرها في التفسير

إن الدارس للقرآن الكريم المتدبر لمعانيه لا يستطيع البتة أن يستغني عن معرفة سبب النزول - إن كان للآية سبب نزول-؛ ذلك لأن بعض آيات القرآن الكريم لا

(١) من الرسائل المؤلفة في أسباب النزول وأثرها في التفسير:

- أسباب النزول وأسانيدها وأثرها في تفسير القرآن، للشيخ بن جمعة سهل، جامعة أم القرى (رسالة دكتوراه).
- أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، لعماد الدين محمد الرشيد، جامعة دمشق (رسالة دكتوراه).
- المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، لخالد بن سليمان المزيني، جامعة الإمام (رسالة دكتوراه).
- أسباب النزول وأثرها في التفسير، لعصام الحميدان.

ومن الكتب المؤلفة في أسباب النزول:

- أسباب النزول، للواحدي.
- العجاب في بيان الأسباب، للحافظ ابن حجر.
- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي.
- الصحيح المسند من أسباب النزول، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.
- جامع النقول في أسباب النزول، للشيخ ابن خليفة عليوي.

يمكن فهمها فهماً صحيحاً بمعزل عن معرفة سبب نزولها.

ولمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة، تناول ذكرَها طائفةٌ من العلماء المحققين — مما تؤكد لنا أهميتها وأثرها - أوجزها في الآتي:

الفائدة الأولى: أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية.

قال الواحدي[١] عن أسباب النزول: (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[٢].

وقال ابن دقيق العيد[٣]: (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن)[٤].

---

(١) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متّويه، أبو الحسن الواحدي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار، أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور. توفي سنة ٤٦٨هـ. من أشهر تصانيفه: (البسيط)، و (الوسيط)، و (الوجيز) كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه، و(شرح ديوان المتنبي)، و (أسباب النزول). ينظر : إنباه الرواة، للقفطي (٢/٢٢٣)؛ ووفيات الأعيان (٣/٣٠٣)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (١/٣٩٤).

(٢) أسباب النزول، للواحدي (ص٨).

(٣) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد، قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. ولد سنة ٦٢٥هـ ، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ، فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة) سنة ٧٠٢هـ. من أشهر تصانيفه: (إحكام الأحكام)، و (الإلمام بأحاديث الأحكام)، و (الإمام في شرح الإلمام). ينظر : الدرر الكامنة، لابن حجر (٤/٩١)؛ فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي (٣/٤٤٢)؛ وشذرات الذهب، لابن العماد (٨/١١).

(٤) نقله عنه السيوطي في الإتقان (١/١٩٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رُجع إلى سبب يمينه، وما هيجها وأثارها)[(١)].

وقال الشاطبي مقرراً هذا المعنى: (إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير، وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال يُنقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهْم شيءٍ منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بِلا بدّ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال)[(٢)].

ومن آيات القرآن التي كان لسبب النزول أثر في فهم معناها ما يلي: -

١ - أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ﵁[(٣)] قال: إن رسول الله ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٣/٣٣٩).

(٢) الموافقات، للشاطبي (٤/١٤٦).

(٣) هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة، قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيرا =

صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى أو صلاها، صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد، وهم راكعون، قال: أشهد بالله، لقد صليت مع النبي ﷺ قِبل مكة فداروا كما هم قِبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قِبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] (١).

فسبب النزول بيّن أن المراد بالإيمان هنا الصلاة، وليس الإقرار والاعتراف المتضمن للقبول والإذعان، ولولا سبب النزول ما كنا لِنقف على المعنى الصحيح للآية.

٢ - وأخرج البخاري ومسلم عن البراء ﵁ قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قِبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قِبَل بابه فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾

=

وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق. ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميرا على الري (بفارس) سنة ٢٤ هـ، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي سنة ٧١هـ. ينظر : الاستيعاب (٨٠)؛ وأسد الغابة (١/٣٦٢)؛ والإصابة (١/٥١٩).

(١) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب:{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ..}) ٦/٢١، برقم (٤٤٨٦)؛ ومسلم في (ك: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، ب: تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الْكَعْبَةِ) ١/٣٧٤، برقم (٥٢٥).

[البقرة: ١٨٩] [(١)].

فسبب النزول بيَّن أن المراد بالإتيان هو الدخول وليس مجرد المجيء، كما أفاد أن المراد بالبيوت بيوتهم، وليست بيوتَ غيرهم، ولولا وجود سبب النزول ما تبين هذان المعنيان من لفظ الآية المجرد.

الفائدة الثانية: أن العلم بسبب النزول يرفع الإشكال، ويحسم النزاع.

قال الشاطبي: (إن الجهل بأسباب التنزيل مُوقِعٌ في الشُّبه والإشكالات، ومُورِد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع.

ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد[(٢)] عن إبراهيم التيمي[(٣)]، قال: "خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عبَّاسٍ: يا أمير المؤمنين، إنا أُنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه

---

(١) رواه البخاري في (ك: الحج، ب: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾) ٨/٣، برقم (١٨٠٣)؛ ومسلم في (ك: التفسير، ب: تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الْكَعْبَةِ) ٢٣١٦/٤، برقم (٣٠٢٦).

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هراة، وكان مؤدبا. ولد سنة ١٥٧هـ، وتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. من أشهر تصانيفه: (الغريب المصنف) في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، و (فضائل القرآن). ينظر : وفيات الأعيان (٤/ ٦٠)؛ تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٧)؛ وبغية الوعاة، للسيوطي (٢/ ٢٥٣).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي، أبو أسماء، تيم الرباب، الإمام القدوة الفقيه، عابد الكوفة، كان عالما فقيها كبير القدر واعظا. قتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٢هـ، وله أربعون سنة. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (٨/ ٤٠٢)؛ وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٢)؛ وتهذيب التهذيب (١/ ٩٢).

سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره، فانصرف ابن عبَّاسٍ، ونظر عمر فيما قال، فعرفه فأرسل إليه، فقال: أعد عليَّ ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه"(١).

وما قاله صحيح في الاعتبار، ويتبين بما هو أقرب. فقد روى ابن وهب عن بُكَيْرٍ(٢) أنه سأل نافعًا(٣): كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية(٤)؟

قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أُنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين(٥).

فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عبَّاسٍ عليه، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى

---

(١) أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (باب: فضل علم القرآن والسعي في طلبه)، (ص ١٠١ - ١٠٢)، عن هشيم عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي به، والتيمي لم يدرك زمن عمر؛ فإسناده منقطع.

(٢) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي، مولى بني مخزوم ، أبو عبد الله، الإمام الثقة، الحافظ، من أعلم أهل عصره بالحديث. ولد ونشأ في المدينة، ورحل إلى مصر، فأقام بها إلى أن توفي سنة ١٢٢هـ. ينظر : تهذيب الكمال (٤/٢٤٢)؛ وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٧٠)؛ وتهذيب التهذيب (١/٢٤٨).

(٣) هو نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب وراويته، أبو عبد الله المدني القرشي، ثم العدوي العمري. الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة. قيل إن أصله من المغرب، وقيل من نيسابور، وقيل كان من سبي كابل، أصابه عبد الله في بعض غزواته. وقيل كان اسم أبيه هرمز، وقيل كاوس. توفي سنة ١١٨هـ. ينظر : الطبقات، لخليفة بن خياط (٢٥٦)؛ وتهذيب الكمال (٢٩/٢٩٨)؛ وسير أعلام النبلاء (٥/٩٥).

(٤) لقب للخوارج. ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري (١/٢٠٦).

(٥) رواه البخاري في (ك: اسْتِتَابَةِ المرْتَدِّينَ وَالمعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ ، ب: قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ) ٩/١٦، معلقاً بصيغة الجزم.

الذي نزل فيه القرآن.

ثم ذكر أمثلة حتى انتهى إلى قوله: وهذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المُنَزَّل، بحيث لو فُقد ذكر السبب، لم يُعرف من المُنَزَّل معناه على الخصوص دون تطرق الاحتمالات، وتوجه الإشكالات.

وقد قال ابن مسعود ﷺ في خطبة خطبها: "واللَّه لقد علم أصحابُ النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب اللَّه". وقال في حديث آخر: والذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم أين أُنزلت؟ ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أُنزلت؟ ولو أعلم أحداً أعلمَ بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه"[(١)].

وهذا يشير إلى أن علم أسباب النزول من العلوم التي يكون العالم بها عالماً بالقرآن.

وعن الحسن أنه قال: "ما أنزل اللَّه آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيم أُنزلت، وما أراد بها"[(٢)].

وهو نص في الموضع مشير إلى التحريض على تعلم علم الأسباب)[(٣)]باختصار.

ومن آيات القرآن التي كان لسبب النزول أثر في دفع الإشكال عنها ما يلي:

---

(١) رواه البخاري في (ك: فضائل الصحابة، ب: القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ) ١٨٧/٦، برقم (٥٠٠٢)؛ ومسلم في (ك: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، ب: مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا) ١٩١٣/٤، برقم (٢٤٦٣).

(٢) أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (باب: فضل علم القرآن والسعي في طلبه)، (ص ٩٧).

(٣) الموافقات، للشاطبي (١٤٦/٤- ١٥٣).

١ - أخرج البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها - أرأيت قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فلا أُرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول، كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أُنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة[1]، وكانت مناةُ حذو قُديد[2]، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[3].

فسبب النزول هنا دفع الإشكال الذي وقع في نفس عروة حين ظن أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً، فبيّنت له أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الآية إنما أُنزلت لرفع الحرج عمن امتنع من السعي بينهما، بسبب ما كانوا يفعلونه في الجاهلية،

---

(١) مناة : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة. والهاء فيه للتأنيث، والوقف عليه بالتاء. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٦٨/٤)، مادة (منا).

(٢) قُدَيْد: بضم القاف، وفتح الدال المهملة، ومثناة تحتية، ودال أخرى، موضع على الطريق بين مكة والمدينة، وهو واد فحل من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة « ذَرَة » فيسمى أعلاه سِتارة، وأسفله قديداً، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على نحو من ١٢٥ كيلاً، ثم يصب في البحر عند القَضِيمة، فيه عيون وقرى كثيرة لحرب وبني سليم. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٣١٣/٤)؛ ومعجم المعالم الجغرافية، لعاتق البلادي (ص ٢٤٩).

(٣) رواه البخاري في (ك: أبواب العمرة، ب: يَفْعَلُ فِي العُمْرَةِ مَا يَفْعَلُ فِي الحَجِّ) ٦/٣، برقم (١٧٩٠)؛ ومسلم في (ك: الحج، ب: بَيَانِ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رُكْنٌ لَا يَصِحُّ الْحَجُّ إِلَّا بِهِ) ٩٢٨/٢، برقم (١٢٧٧).

والله أعلم.

٢ - وأخرج البخاري ومسلم أن مروان قال: اذهب يا رافع (لبوّابه) إلى ابن عبَّاسٍ فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أُوتي، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عبَّاسٍ: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أُنزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه[١].

فسبب النزول هنا بيَّن أن الأمر ليس كما ظنه مروان، بل الآية نزلت بسبب اليهود حين كتموا رسول الله ﷺ ما سألهم عنه، وأخبروه بغيره، وفرحوا بكتمانهم إياه ما سألهم عنه، واللَّه أعلم.

الفائدة الثالثة: أن معرفة سبب النزول تبين الحكمة الداعية إلى تشريع الحكم.

قال الزركشي: (وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته - يعني العلم بأسباب النزول - لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد، منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم)[٢].

قال الزرقاني[٣] مبينًا فائدة العلم بحكمة التشريع: (وفي ذلك نفع للمؤمن وغير

---

(١) سبق تخريجه ص (١٤٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٢٢).

(٣) هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ. من أشهر تصانيفه (مناهل العرفان في علوم القرآن). ينظر : الأعلام، للزركلي (٦/ ٢١٠).

المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله، والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفًا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد، والتحكم، والطغيان؛ خصوصًا إذا لاحظ سيرَ ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهدًا على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه)[(١)].

ومن الأمثلة التي يبين فيها السببُ الحكمة الداعية إلى تشريع الأحكام ما يلي:

١ - أخرج البخاري ومسلم عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي: بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[(٢)].

فالآية خلت من ذكر الحكمة الداعية إلى التشريع، بينما السبب نص عليها، وهي كف المشركين عن سب القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٩١/١).

(٢) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾)، ٨٧/٦، برقم (٤٧٢٢)؛ ومسلم في (ك: الصلاة، ب: التوسط في القراءة) ٣٢٩/١، برقم (٤٤٦).

٢ – وأخرج مسلم عن عبد اللَّه بن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أنه سُئل عن المتلاعنين أيفرق بينهما؟ قال: سبحان الله نعم، إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان. قال: يا رسول اللَّه، أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك ... الحديث[١].

فآيات اللعان خلت من ذكر الحكمة الداعية إلى التشريع، لكن السبب بيّنها، ذلك أن الزوج هنا بيْن أمرين أحلاهما مرّ، فإن تكلم فحد القذف أمامه، وإن سكت سكت على أمر عظيم كما قال، ولن يطيق هذا مؤمن، فكانت مشروعيةُ اللعان مخرجاً من حد القذف، أو السكوت على الريبة، واللَّه أعلم.

٣ – وأخرج البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، ومسلم عن جابر بن عبد اللَّه – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال – واللفظ لمسلم –: دخل أبو بكر يستأذن على رسول اللَّه ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأُذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن، فأُذن له، فوجد النبي ﷺ جالسًا حوله نساؤه، واجمًا[٢]، ساكتًا، قال: لأقولن شيئًا أُضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت[٣] عنقها، فضحك رسول اللَّه ﷺ وقال: هن حولي كما ترى

---

(١) رواه مسلم في (ك: اللعان) ٢/ ١١٣٠، برقم (١٤٩٣).

(٢) الوجوم: الحزن والهم والكآبة، وقيل: السكوت على غيظ. ينظر: النهاية، لابن الأثير (١٥٧/٥)؛ ولسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٦٣٠)، مادة (وجم).

(٣) وجَأَ: ضرب وطعن. ينظر: النهاية، لابن الأثير (١٥٢/٥)؛ ولسان العرب، لابن منظور (١/ ١٩٠)، مادة (وجأ).

يسألنني النفقة، فقام أبو بكر لعائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة[١] يجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول اللَّه ﷺ ما ليس عنده، فقلن: واللَّه لا نسأل رسول الله ﷺ شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، حتى بلغ: ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٢٩][٢].

فسبب النزول بيَّن الحكمة الباعثة على تخييرهن بهذه الآية، وهي سؤالهن النفقة من رسول اللَّه ﷺ، أما الآية فلم تتناول الحكمة بالحديث عنها، والله أعلم.

الفائدة الرابعة: أن يُخصص الحكم بالسبب الذي نزل من أجله.

قال الزركشي: (ومنها: تخصيص الحكم به - أي بالسبب - عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب)[٣].

وتخصيص الحكم بالسبب لا ينافي العموم، لكنّ القائلين به يقولون: أخذنا ذلك العموم من القياس، أي قياس الحوادث المشابهة على الحوادث الواقعة في العهد

---

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أم المؤمنين، صحابية جليلة صالحة، من أزواج النبي ﷺ، ولدت بمكة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الاسلام، فأسلما. وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوجه إياها، سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة. واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها سنة ٤٥هـ. ينظر : الاستيعاب (٨٨٢)؛ وأسد الغابة (٦٧/٧)؛ والإصابة (٢٨٤/١٣).

(٢) رواه البخاري في (ك: المظالم، ب: الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المُشْرِفَةِ وَغَيْرِ المُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ)، ١٣٣/٣، برقم (٢٤٦٨)؛ ومسلم في (ك: الطلاق، ب: بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ) ١١٠٤/٢، برقم (١٤٧٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٢/١).

النبوي، ولم نأخذ العموم من طريق اللفظ العام؛ لأن هذا اللفظ العام مختص بسببه، وكل سبب نزول يصح أن يكون مثالاً لهذا عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

الفائدة الخامسة: دفع توهم الحصر.

قال الزركشي: (قال الشافعي[١] في معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية: إن الكفار لما حرَّموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرَّم الله، وكانوا على المضادة والمحادة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال: لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهل لغير الله به، ولم يقصد حِلَّ ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل)[٢].

الفائدة السادسة: بيان أخصية السبب بالحكم.

قال الطوفي[٣]: (أي أن السبب أخص بالحكم من غيره من صوره؛ لأن اللفظ

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) سنة ١٥٠هـ، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩هـ، فتوفي بها سنة ٢٠٤هـ. من أشهر تصانيفه: (الأم) في الفقه، و (الرسالة) في أصول الفقه، و (اختلاف الحديث). ينظر : مناقب الشافعي، للبيهقي؛ ووفيات الأعيان (٤/١٦٣)؛ وسير أعلام النبلاء (١٠/٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٣).

(٣) هو سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، الفقيه الأصولي، المتفنن، ولد بقرية طوف – أو طوفا – (من أعمال صرصر في العراق) سنة ٦٥٧هـ، وتوفي في بلد الخليل

=

ورد بياناً لحكم السبب، فكان مقطوعًا به فيه، فيمتنع تخصيصه بالاجتهاد)[١].

الفائدة السابعة: معرفة التاريخ.

قال الطوفي: (معرفة تاريخ الحكم بمعرفة سببه، مثل أن يقال: قذف هلال بن أمية[٢] امرأته في سنة كذا، فنزلت آية اللعان، فيعرف تاريخها بذلك، وفي معرفة التاريخ فائدة معرفة الناسخ من المنسوخ)[٣].

الفائدة الثامنة: قال الطوفي: (ومنها توسعة علم الشريعة بمعرفة الأحكام بأسبابها، فيكثر ثواب المصنّفين، كالذين صنفوا أسباب نزول القرآن، والمجتهدين بسعة محل اجتهادهم)[٤].

الفائدة التاسعة: التأسي والاقتداء بما وقع للسلف من حوادث في الصبر على المكاره واحتمال الأقدار المؤلمة.

قال الطوفي: (ومنها: التأسي بوقائع السلف وما جرى لهم، فيخف حكم المكاره

=

(بفلسطين) سنة ٧١٦هـ. من أشهر تصانيفه: (الإكسير في قواعد التفسير)، و (البلبل في أصول الفقه) وشرحه، المطبوع باسم (شرح مختصر الروضة). ينظر : ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٤/٤٠٤)؛ والدرر الكامنة، لابن حجر (٢/١٥٤)؛ وشذرات الذهب، لابن العماد (٨/٧١).

(١) شرح مختصر الروضة، للطوفي (٢/٥٠٦).

(٢) هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي، شهد بدرا وما بعدها، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، والذي لاعن امرأته ورماها بشريك بن سحماء. ينظر : الاستيعاب (٧٤٤)؛ وأسد الغابة (٥/٣٨٠)؛ والإصابة (١١/٢٣٨).

(٣) شرح مختصر الروضة، للطوفي (٢/٥٠٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٠٦).

على الناس، كمن زنت زوجته فلاعنها، فهو يتأسى بما جرى لهلال بن أُمية، وعويمر العجلاني[(١)] في ذلك، ويقول: هؤلاء خير مني، وقد جرى لهم هذا فلي أُسوة بهم)[(٢)].

الفائدة العاشرة: تعيين المبهم.

قال السيوطي: (ومنها: معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها)[(٣)].

وقال الزرقاني: (معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين، حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأُ المريب)[(٤)].

ومن الأمثلة الدالة على هذا:

١ - أخرج البخاري عن البراء بن عازب ﵁ قال: وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود -: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢][(٥)]، فقد فسر السفهاء هنا بأنهم اليهود.

٢ - وأخرج النَّسَائِي عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: لما قدم كعب بن

---

(١) هو عويمر بن أبيض العجلاني الأنصاري، صاحب اللعان، وقال الطبري : هو عويمر بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد العجلاني. وهو الذي رمى زوجته بشريك بن سحماء فلا عن رسول الله ﷺ بينهما، وذلك في شعبان سنة تسع لما قدم من تبوك. ينظر : الاستيعاب (٥١٩)؛ وأسد الغابة (٣٠٤/٤)؛ والإصابة (٥٦٣/٧).

(٢) المصدر السابق (٥٠٧/٢).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٩٥/١).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٩٥/١).

(٥) رواه البخاري في (ك: الصلاة، ب: التَّوَجُّهِ نَحْوَ القِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ)، ٨٨/١، برقم (٣٩٩).

الأشرف[1] مكة قالت له قريش: ألا ترى إلى هذا المنبتر[2] من قومه يزعم أنه خير منا؟ قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] [3].

٣ – وأخرج البخاري عن يوسف بن ماهك[4] قال:

كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية[5]، فخطب فجعل يذكر يزيد بن

(١) هو كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، شاعر جاهلي. كانت أمه من "بني النضير" فدان باليهودية، وكان سيدا في أخواله، يقيم في حصن له قريب من المدينة، أدرك الاسلام، ولم يسلم، وأكثرَ مِن هجْوِ النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. أمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. ينظر : الروض الأنف، للسهيلي (٣/٢٣٠)؛ والأعلام، للزركلي (٥/٢٢٥).

(٢) المنبتر: الذي لا ولد له . قيل: لم يكن يومئذ وُلِدَ لَهُ، وفيه نظر؛ لأنه وُلِدَ لَهُ قبل البعث والوحي، إلا أن يكون أراد لم يَعِش له ذَكَر. النهاية، لابن الأثير (١/٩٣)، مادة (بتر).

(٣) رواه النسائي في الكبرى في (ك: التفسير، ب: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾)، ١٠/٣٤٧، برقم (١١٦٤٣).

(٤) هو يوسف بن ماهك بن بُهْزاد (بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها زاي) الفارسي المكي، مولى قريش، ثقة، توفي سنة ١٠٦هـ. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٨/٣١)؛ وتهذيب الكمال، للمزي (٣٢/٤٥١)؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/٦٨).

(٥) هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. كان فصيحاً حليما وقورا. ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله ﷺ في كُتّابه. وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو، وهو أول من جعل دمشق مقر

=

معاوية[١] لكي يُبايَع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر[٢] شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾ [الأحقاف: ١٧] فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري)[٣].

الفائدة الحادية عشر: تيسير الفهم والحفظ.

قال الزرقاني: (تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها؛ وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أولئك من دواعي تقرر

=

خلافة، وأول من اتخذ الحرس والحجاب في الاسلام، وأول من نصب المحراب في المسجد. توفي سنة ٦٠هـ. ينظر : الاستيعاب (٦٦٨)؛ وأسد الغابة (٥/٢٠١)؛ والإصابة (١٠/٢٢٧).

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ. يقول الذهبي:" له على هناته حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش، وفيهم مثل أبي أيوب الانصاري". توفي سنة ٦٤هـ. ينظر : مروج الذهب، للمسعودي (٣/٣٩)؛ وسير أعلام النبلاء (٤/٣٥)؛ وتهذيب التهذيب (٤/٤٢٩).

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله (أبي بكر الصديق) بن عثمان (بن أبي قحافة) القرشي التيمي، صحابي، ابن صحابي. كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فجعله رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم، حضر اليمامة وشهد غزو إفريقية، وحضر وقعة الجمل مع شقيقته عائشة، ودخل مصر. وكان شاعرا. توفي سنة ٥٣هـ. ينظر : الاستيعاب (٤٤٦)؛ وأسد الغابة (٣/٤٦٢)؛ والإصابة (٦/٥١٢).

(٣) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ [الأحقاف: ١٧])، ٦/١٣٣، برقم (٤٨٢٧).

الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس)[1].

هذه أبرز الفوائد الناشئة عن معرفة أسباب النزول، وأهمها الثلاثة الأول، والله أعلم.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١/ ٩٥).

(المطلب الثاني)
عناية مكي بالترجيح بأسباب النزول

العناية بأسباب النزول أمر مطلوب وهام لمن يريد تفسير القرآن؛ لأن أسباب النزول كثيراً ما تكشف الإبهام الذي يحيط بالنص، بل إن هناك بعض النصوص لا يمكن فهمها إذا لم يُعرف سببُ نزولها.

والترجيح بسبب النزول من الأوجه المعتمدة عند العلماء، إذ قرروا أن القول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على غيره(١).

والذي يطالع تفسير مكي - رحمه الله - يلفت انتباهه كثرة عنايته بأسباب النزول، وقد نص على ذلك في مقدمته، فقال - عند ذكر منهجه في التفسير -: " وشرح وذكر الأسباب التي نزلت فيها الآي إن وجدت إلى ذكر ذلك سبيلاً من روايتي، أو ما صح عندي من رواية غيري "(٢).

ومن أمثلة عنايته بذلك ما يلي:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ [البقرة:

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢١٥).

(٢) مقدمة الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٣).

١٤٣]:

« ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ أي: صلاة من مات منكم وهو يصلي إلى بيت المقدس.

وقال المشركون من أهل مكة؛ تحيّر محمد في دينه. فكان ذلك فتنة للناس واختباراً وتمحيصاً للمؤمنين.

قال قتادة: " صلّت الأنصار حولين نحو بيت المقدس قبل هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم هاجر النبي ﷺ فصلّى نحوها ستة عشر شهراً، ثم وجّهه الله نحو الكعبة، فقال قائلون من الناس: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾.

وقالوا: لقد اشتاق الرجل إلى مولده، فابتلى الله عز وجل عباده بما شاء من أمره، فأنزل الله تعالى في اليهود والمنافقين: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢] إلى قوله: ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وأنزل في المؤمنين: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ إلى ﴿ رَّحِيمٌ ﴾.

قال ابن جريج: بلغني أن ناساً ممن أسلم رجعوا عن الإسلام حين استقبل النبي ﷺ الكعبة، وقالوا مرة ها هنا ومرة ها هنا. فأظهر الله لخلقه من يرتد فينافق ويخالف الرسول في القبلة ممن اتبعه وآمن بما جاء به »[(١)].

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٨٤).

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١]:

« هذه الآية: نزلت في سبب أقوام سألوا النبي ﷺ مسائل امتحاناً له، فيقول له بعضهم: (من أبي)؟ ويقول بعضهم إذا ضَلَّت ناقته: أين ناقتي؟ فنهى الله عن ذلك(١).

قال أنس ﷺ(٢): " سأل الناس النبي ﷺ حتى أحفوه(٣) بالمسألة، فصعد المنبر ذات يوم، وقال: لا تسألوني عن شيء إلا بينتُ لكم. فألقى الناس ثيابهم على رؤوسهم يبكون، فأنشأ رجل كان إذا لاحى(٤) دعي بغير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: حذافة، فقام عمر فقبّل رِجْلَ رسول الله ﷺ، فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، أعوذ بالله من شر الفتن. فقال النبي ﷺ: أما والذي نفسي بيده، لقد صُوِّرَت مثل النار والجنة آنفاً في عُرض هذا الحائط، فلم أر كاليوم في الخير والشر(٥).

---

(١) رواه البخاري في (ك: التفسير، ب: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾) ٤/١٦٨٩، برقم (٤٣٤٦).

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة. مولده بالمدينة، وأسلم صغيرا، وخدم النبي ﷺ إلى أن قُبِض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة، توفي سنة ٩٣هـ. ينظر : الاستيعاب (٥٣)؛ وأسد الغابة (١/٢٩٤)؛ والإصابة (١/٢٥١).

(٣) أي: اسْتَقْصَوْا في السؤال. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٤١٠)، مادة (حفا).

(٤) لاحى: أي خاصم وشاتم ونازع. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٤٣)، ولسان العرب (١٥/٢٤١) مادة (لحا).

(٥) رواه البخاري في (ك: الدعوات، ب: التعوذ من الفتن) ٥/٢٣٤٠، برقم (٦٠٠١)؛ ومسلم في (ك: الفضائل، ب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو

=

قال الزهري[١]: فقالت أم عبد الله بن حذافة له: ما رأيت ولداً أعقَّ منك قط! أكنت تأمن أن تكون أمُّك قد قارفت[٢] ما قارف أهل الجاهلية، فتفضحها على رؤوس الناس؟ فقال: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته"[٣].

وقال أبو هريرة ﷺ: " خرج رسول الله ﷺ - وهو غضبان - حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أنا؟ فقال: في النار. وقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة. فقام عمر وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، فنزلت هذه الآية"[٤].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: " لما نزلت هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]، قالوا: يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت، ثم قالوا: أفي كل عام؟ فسكت، ثم قال: "لا، ولو قلت: نعم، لوجب" فأنزل الله الآية"[٥].

=

ذلك) ٤/١٨٣٢، برقم (٣٣٥٩).

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند. مات بشغب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤هـ. ينظر : الطبقات، لخليفة بن خياط (٢٦١)؛ ووفيات الأعيان (٤/١٧٧)؛ وسير أعلام النبلاء (٥/٣٢٦).

(٢) أي: فعلت الزنا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤٦)، مادة (قرف).

(٣) رواه مسلم في (ك: الفضائل، ب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله) ٤/١٨٣٢، برقم (٢٣٥٩).

(٤) سبق تخريجه من حديث أنس ﷺ (ص ٢١٧).

(٥) رواه الترمذي في (ك: الحج، ب: كم فرض الحج ؟) ٣/١٧٨، برقم (٨١٤)، وقال: حديث علي حديث

=

وروي أنه قال لما كرر عليه السؤال: "والذي نفسي بيده، لو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت عليكم ما أطعمتوه، ولو تركتموه لكفرتم، فأنزل الله ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[المائدة: ١٠١] الآية"(١).

وروي عنه أنه قال: " لو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لهلكتم، اسكتوا ما سكتُّ عنكم، فإنما هَلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فأنزل الله الآية(٢)))(٣).

ومكي بصنيعه هذا - أي اقتصاره على سبب النزول برواياته - يدل على اختياره وترجيحه لهذا القول.

=

حسن غريب؛ وابن ماجه في (ك: المناسك، ب: فرض الحج) ٢/٩٦٣، برقم (٢٨٨٤). وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٤/١٥٠).

(١) رواه الطبري في تفسيره من حديث أبي هريرة ﷺ (١١/١٠٥)، برقم (١٢٨٠٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره من حديث أبي هريرة ﷺ (١١/١٠٥)، برقم (١٢٨٠٤)، ورواه من قوله "فإنما هلك .." البخاري في (ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول ﷺ)، ٦/٢٦٥٨، برقم (٦٨٥٨)؛ ومسلم في (ك: الحج، ب: فرض الحج مرة في العمر) ٢/٩٧٥، برقم (١٣٣٧).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/١٨٨٧).

المبحث السابع

﴿ الترجيح بأقوال التابعين [١] ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

حجية هذا النوع من طرق التفسير

يقول ابن القيم – رحمه الله –: " ألقى الصحابة الكرام إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، وكان سندهم فيه عن نبيهم ﷺ، عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً، وقالوا: هذا عهد نبينا إليكم، وقد عهدنا إليكم، وهذه وصية ربنا، وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم "[٢].

---

(١) من الرسائل في تفسير التابعين:

- تفسير التابعين (عرض ودراسة مقارنة)، لمحمد بن عبد الله الخضيري، جامعة الإمام (رسالة دكتوراه).
- ما اتفق عليه أئمة التابعين في التفسير ووافق الرأي، لأحمد بن براك الهيفي، الجامعة الأردنية (بحث تكميلي للماجستير).
- الأقوال المروية عن التابعين في تفسير الآيات الواردة في الثناء على عموم الصحابة، لعبد العزيز بن عبد الله المبدل، (بحث ضمن مجلة جامعة أم القرى)، العدد (٥٢).
- أشهر المفسرين من الموالي في عصر التابعين وأثرهم في التفسير، لعبد الرحمن بن عبد الله العمري (بحث ضمن مجلة جامعة أم القرى)، العدد (٥٤).

(٢) إعلام الموقعين، لابن القيم (٢/٨).

ولأهمية قول التابعين في المسائل العلمية سواء في التفسير أو أصول الدين أو فروعه، فقد حظيت باهتمام بالغ تدويناً ونقلاً، فروي الكثير منها، وجمعت أقاويلهم، وسطرت فتاواهم وآراؤهم، لما فيها من الخير والنفع في العلم والدين؛ فإن العلوم المنقولة عن التابعين غالبها مستقاة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وزمانُهم من الأزمنة المشهود لها بالخيرية، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم.

يقول ابن رجب رحمه الله[(١)]: " فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد، والرقائق، والمعارف، وغير ذلك "[(٢)].

وقد جرى أكثر المفسرين على الاستشهاد بأقوال التابعين في تفسير القرآن الكريم، والمروي عنهم في ذلك لا يحصيه العد، ومن نظر فيما نقله ابن جرير وابن أبي

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو الفرج، زين الدين، الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ. ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ. من أشهر تصانيفه: (جامع العلوم والحكم)، و (لطائف المعارف)، و (ذيل طبقات الحنابلة). ينظر : الدرر الكامنة، لابن حجر (٣٢١/٢)؛ وذيل طبقات الحفاظ، للسيوطي (٢٤٣/١)؛ وشذرات الذهب، لابن العماد (٥٧٨/٨).

(٢) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي (ص ٦).

حاتم[١] والبغوي[٢] وابن كثير والسيوطي رحمهم الله تعالى تبين له ما للتابعين من علم وفضل في تفسير القرآن الكريم، وقد ذكر بعض الباحثين أن نحواً من ثلثي التفسير بالمأثور كان عن التابعين، ولذا ذهب أكثر المفسرين إلى الأخذ بأقوالهم في التفسير؛ لأنهم نقلوا غالب تفاسيرهم عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير ... وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح[٣]، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن مسيب[٤]، وأبي

(١) هو عبد الرحمن بن محمد (أبي حاتم) بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، العلامة، الحافظ. كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته. ولد سنة ٢٤٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ. من أشهر تصانيفه: (الجرح والتعديل)، و (التفسير). ينظر : طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (١٠٣/٣)؛ وسير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (٢٨٥/١).

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغويّ الفقيه الشافعي، محيي السنة. يعرف بابن الفرّاء، وركن الدين أيضا. كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الفقه، جليلا ورعا زاهدا. ولد سنة ٤٣٦هـ، وتوفي سنة ٥١٦هـ. من أشهر تصانيفه: (معالم التنزيل) في التفسير، و (شرح السنة)، و (المصابيح). ينظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)؛ وطبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي (٧٥/٧)؛ وطبقات المفسرين، للداوودي (١٦١/١).

(٣) هو عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، تابعي، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم. ولد في جند (باليمن) سنة ٢٧هـ، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها سنة ١١٤هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٨/٨)؛ وسير أعلام النبلاء (٧٨/٥)؛ وتهذيب الكمال (٦٩/٢٠).

(٤) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء

=

العالية[1]، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم "[2].

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يعدُّ العدول عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك أنه من الخطأ بل من الابتداع، ومما قاله في ذلك: " من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه "[3].

وقد ذكر الزركشي رحمه الله تعالى طرق التفسير الأربع، وهي: النقل عن النبي ﷺ، ثم الصحابة رضي الله عنهم، ثم أورد مسألة الرجوع إلى أقوال التابعين، وحكى الخلاف فيها، وذكر أقوال المانعين، ثم قال: " لكن عمل المفسرين على خلافه، وقد حكوا في كتبهم أقوالهم، كابن جبير، ومجاهد، وقتادة "[4].

=

السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (١١٩/٧)؛ وسير أعلام النبلاء (٢١٧/٤)؛ وتهذيب الكمال (٦٦/١١).

(١) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري، أبو العالية الرياحي، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع. أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، توفي سنة ٩٣هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (١١١/٩)؛ وسير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤)؛ وغاية النهاية، لابن الجزري (٢٥٩/١).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦٨/١٣).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦١/١٣).

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١٥٨/٢).

وذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله[١]: أن من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله[٢].

وبالجملة يتلخص ما تقدم في الآتي:

أولاً: أن عصر التابعين من العصور المشهود لها بالخيرية علماً وعملاً.

ثانياً: أن غالب علومهم - ومنها تفسير القرآن - مستقى من الكتاب والسنة وعما نقلوه عن الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثاً: أن أقاويلهم المروية في التفسير مما اعتمده العلماء أحد طرق التفسير الأربع لتفسير كتاب الله تعالى.

رابعاً: اعتماد أهل التفسير على أقوال التابعين في التفسير عند الترجيح بين الأقوال في تفسير الآيات.

خامساً: الاعتبار بأقوالهم والرجوع إليها أحد الضوابط التي وضعها الأئمة لمن يقوم بتفسير كتاب الله.

سادساً: أن جُلَّ التفاسير بالمأثور مرويٌّ عن التابعين.

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار. ولد في الأنبار (على الفرات) سنة ٢٧١هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. من أشهر تصانيفه: (الزاهر) في اللغة، و (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)، و (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل). ينظر : نزهة الألباء، لابن الأنباري (١٩٧)؛ وتذكرة الحفاظ (٣/٨٤٢)؛ وغاية النهاية (٢/٢٠٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/٥٧).

وجماع القول: أن التفاسير المنقولة عن التابعين رحمهم الله تعالى مما اعتمده علماء الأمة، واعتنوا بهن فنقلوه ودوّنوه، ورجحوا بهن، وردوا به على شبه أهل البدع والضلال، فلا ريب إذاً في فضل علومهم وفهومهم على من جاء بعدهم؛ فقد كانوا بكتاب الله أعلم، وأقوم له وأتبع.

وقد كانوا يعتمدون في فهمهم للقرآن الكريم على ما جاء في القرآن نفسه، ثم على صحيح ما جاء عن الرسول ﷺ، ثم على ما سمعوه من الصحابة من أقوال وآراء، وعلى ما أخذوه عن أهل الكتاب، ثم على رأيهم واجتهادهم.

📖 أما حكم تفسير التابعي للقرآن الكريم، فقد اختلف فيه العلماء. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ...

وقال شعبة بن الحجاج[1] وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير ؟

يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم

---

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام، الإمام، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث. ولد بواسط سنة ٨٢هـ، ونشأ بها، وسكن البصرة إلى أن توفي سنة ١٦٠هـ. وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (٩/ ٢٨٠)؛ وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٢)؛ وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٩).

حجة على بعض ولا على من بعدهم"[١].

❁ وملخص أقوال العلماء في حجية تفسير التابعين[٢]:

أولاً: ذهب كثير من العلماء إلى ضرورة الأخذ بأقوال التابعين في التفسير.

❍ وحجتهم في ذلك: أن التابعين تتلمذوا على أيدى الصحابة، وحفظوا القرآن على أيديهم، وعنهم أخذوا تفسيره، وعليهم أثنى الرسول ﷺ بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٣].

وسعيد بن جبير مثلاً، يقول عنه أستاذه ابن عباس لأهل الكوفة الذين جاءوا يستفتونه: «أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير»[٤].

وهذا مجاهد يقول: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة»[٥]. أي لتمام ضبطه، وحسن قراءته وأدائه.

ويقول أيضا: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها»[٦].

وهذا عكرمة مولى ابن عباس يقول: ما زلت أبين له- أي لأستاذه ابن عباس-

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦٨/١٣).

(٢) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص ٢٦٨)؛ وفصول في أصول التفسير، للطيار (ص ٣٩).

(٣) رواه البخاري في (ك: الشهادات، ب: لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ)، ١٧١/٣، برقم (٢٦٥٢).

(٤) تهذيب التهذيب، لابن حجر (١٠/٢).

(٥) ميزان الاعتدال، للذهبي (٢٥/٦).

(٦) جامع البيان، للطبري (٩٠/١).

نجاة من قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] عرف أنهم نجوا، فكساني حلة»[١].

ثانياً: يرى فريق من العلماء عدم الأخذ به.

❍ وحجتهم في ذلك:

١ - أن التابعين لم يسمعوا من رسول الله ﷺ حتى يمكن حمل ما قالوه على سماعهم منه ﷺ، كما قيل عن تفسير الصحابي.

٢ - أن التابعين لم يشاهدوا الوحي والتنزيل، ولم يعايشوا ملابسات القرآن مثل الصحابة، فتفسيرهم عرضة للخطأ.

٣ - عدالة التابعين غير ثابتة كما ثبتت عدالة الصحابة بالكتاب والسنة.

❍ والذى يرجح : أن تفسير التابعي - كما سبق في تفسير الصحابي - لا يحكم عليه بالعموم من حيث القبول والرد، بل لابد من التفصيل الآتي:

١ - أن التابعين إذا أجمعوا على شيء كان إجماعهم حجة، ويجب الأخذ بقولهم؛ لأن الإجماع لا بدّ وأن يستند إلى دليل شرعي، ولا تجتمع الأمة على ضلالة.

٢ - أما إذا اختلفوا فلا يكون قول أحدهم حجة على غيره.

٣ - فإن قال أحدهم بتفسير، ولم يأت تفسير غيره:

(أ) فإن كان مما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، ولم يُعلم عن هذا التابعي أخْذٌ عن ثقافة أهل الكتاب، فالأخذ به أولى من تركه، لاحتمال أن يكون سمعه من صحابي،

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ١٣٥).

أخذه هو الآخر بدوره من رسول الله ﷺ.

(ب) أما إذا كان فيه مجال للرأي والاجتهاد، فنحن مخيرون بين قبوله ورده، وهو أقل في الرتبة من الوارد عن الصحابي إذا لم يعلم له مخالف، لكنه أعلى في الرتبة من قول من تأخر عنهم.

وتفسير التابعي رغم اعتماده أساسا على الرواية والنقل، يمكن أن يتطرق إليه النقد من جهات ثلاث:

١- لم يعاصر التابعون الرسول ﷺ، مما يرجح أن ما وصلنا عنهم هو من قبيل آرائهم واجتهاداتهم الشخصية، وهذا مما يجعله لا يرقى إلى قوة ومرتبة المسند إلى الرسول ﷺ.

٢- يندر فيه الإسناد الصحيح مما يقوي الشك فيه، كما أن الصحيح فيه قد اختلط بغير الصحيح بسبب حذف الإسناد .

٣- اشتماله على الإسرائيليات التي تسربت إليهم عن طريق أهل الكتاب أو زنادقة الشعوب الداخلية، مما يشوه -في عمومه- صفاء العقيدة ، وواقعية المنهاج الإسلامي في الحياة .

ولعل ذلك هو ما جعل ابن تيمية رحمه الله - رغم ميله الشديد إلى الأخذ بالمأثور والابتعاد ما أمكن عن الرأي - لا يأخذ بقول التابعي مطلقاً، بل وجدناه يميل إلى التفصيل كما سبق أن بينا، والله أعلم.

(المطلب الثاني)
عناية مكي بالترجيح بأقوال التابعين

ذكرنا فيما سبق أن مكياً تقصى في كتابه ما وصل إليه من مشهور تأويل الصحابة فمن بعدهم في التفسير دون الشاذ حسب طاقته وما تذكَّره وقت تأليفه له.

ومن ثَمّ فكتابه ولا شك يجمع معظم الآثار التفسيرية المروية عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

وتفسير مكي - رحمه الله - مليء جداً بأقوال وآراء أئمة التفسير من التابعين، فلقد بلغت مرويات أشهرهم كالتالي:

- قتادة: ١٨٠٣رواية.
- ومجاهد: ١٥٦٠ رواية.
- والحسن: ٨٦١ رواية.
- وعكرمة: ٤١٢ رواية.
- وسعيد بن جبير: ٣٩٤ رواية.
- وعطاء: ٢٣٠ رواية.

وغيرهم.

ومن أمثلة ذلك، ما يلي:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم

مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٦١]:

« وقال عطاء ومجاهد: " الفوم: الخبز ".

وقال قتادة والحسن: " الفوم: الحب الذي يختبز الناس ".

وعن ابن عباس قال: " الفوم: الحنطة والخبز ".

وروي عن مجاهد قال: " هو الثوم "»(١).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١١٤]:

« و" الأَوَّاهُ " الدَّعَّاء.

وقيل: الرحيم. قال ذلك قتادة، والحسن، وروي ذلك عن ابن مسعود.

وعن ابن عباس: أنَّه: الموفق، بلسان الحبشة، وكذلك قال مجاهد وعطاء.

وعن ابن عباس أيضاً: " الأوّاه " بلسان الحبشة، المؤمن التواب.

وقال كعب: " الأَوَّاهُ " الذي إذا ذكر النار تأوّه.

وعن ابن جبير: أنه المُسبِّحُ، الكثير الذكر لله عز وجل »(٢).

وكون مكي - رحمه الله - يقتصر على ذكر أقوال التابعين في التفسير دون

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٢٨٥).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/٣١٧٣).

التعليق عليه أو الترجيح والاختيار منه يدل على أن الحق محصور فيما ذكروه إن كان من قبيل اختلاف التضاد، أو لا تعدو أن تكون أقوالهم من قبيل اختلاف التنوع، وما ذكروه إنما قالوه على سبيل التمثيل لا الحصر، والله أعلم.

المبحث الثامن

﴿ الترجيح باللغة [(١)] ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

حجية هذا النوع من طرق التفسير

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون خاتمُ أنبيائه ورسله من أُمّة العرب، وأنزل عليه كتاباً بلسان قومه لتعقل عنه مراده، جرياً على سنة الله في إرسال الرسل، كما قال

---

(١) من الرسائل في التفسير اللغوي:

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد بن سليمان الطيار، جامعة الإمام محمد بن سعود (رسالة دكتوراه).
- التفسير اللغوي في محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، لماهر بن جاسم الأومري، جامعة الموصل (رسالة دكتوراه).
- اجتهادات القاسمي في التفسير اللغوي للقرآن، لماهر بن جاسم الأومري (بحث ضمن مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية) جامعة الموصل، العدد (٤).
- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، لمشرف بن أحمد الزهراني، جامعة أم القرى (رسالة دكتوراه).
- بدع التفاسير اللغوية (مفهومها وأسبابها وضوابط التفسير)، لأحمد فريد أبو هزيم (بحث ضمن مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون) عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، العدد (١).
- التفسير اللغوي لسورة الانشراح، لإيناس إبراهيم (بحث ضمن مجلة كلية التربية) الجامعة المستنصرية بالعراق، العدد (٢).
- الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير، لمحيي الدين بلتاجي.

تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد جاء النص على عربية القرآن في غير ما آية من كتاب الله، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرًا ﴾ [طه: ١١٣].

٣- وقوله تعالى: ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨].

٤- وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].

٥- وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

٦- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣].

٧- وقوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةًۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وغير ذلك من الآيات التي نصت على عربيّة القرآن.

ولما كان الأمر كذلك، فإنه لا يمكن العدول عن هذه اللغة التي نزل بها القرآن إلى غيرها إذا أريد تفسير الكتاب الذي نزل بها؛ لأن معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلا منها.

قال ابن فارس: "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غَنَاء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازلٌ بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي.

فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بُدّاً "(١).

وقال الشاطبي: " لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأمِّيين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عُرْف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمَّ عرْف، فلا يصح أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب "(٢).

ونستنتج من ذلك: أن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن؛ لأن من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها القرآن فإنه لا شك سيقع في الزلل، بل سيحرّف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية.

ولذا شدد العلماءُ النكيرَ على من فسَّر القرآن وهو جاهل بلغة العرب، ومن ذلك:

ما روي عن مجاهد أنه قال: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس (ص ٥٠).

(٢) الموافقات، للشاطبي (١٣١/٢).

كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"(١).

وقال مالك بن أنس(٢): " لا أُوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا"(٣).

وقال أبو الوليد ابن رشد(٤) - في جوابٍ له عمَّن قال: إنه لا يُحتاج إلى لسان العرب -: " هذا جاهل فلينصرف عن ذلك، وليتب منه، فإنه لا يصح شيء من أمور الديانة والإسلام إلا بلسان العرب، يقول الله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، إلا أن يُرى أنه قال ذلك لخبث في دينه، فيؤدبه الإمام على قوله ذلك بحسب ما يرى، فقد قال عظيماً"(٥).

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢٩٢/١).

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الائمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ. من أشهر تصانيفه: (الموطأ). ينظر : الطبقات، لخليفة بن خياط (٢٧٥)؛ وترتيب المدارك، للقاضي عياض (١٠٤/١ وما بعدها)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٨/٨).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان في (ك: تعظيم القرآن، ب: في ترك التفسير بالظن) ٥٤٣/٣، برقم (٢٠٩٠).

(٤) هو محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المالكي، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة. وهو جد ابن رشد الفيلسوف، وكان فقيها عالما، حافظا للفقه، مقدما فيه على جميع أهل عصره، عارفا بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المالكية. ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي سنة ٥٢٠هـ. من أشهر تصانيفه: (المقدمات الممهدات)، و (البيان والتحصيل). ينظر : بغية الملتمس، للضبي (٧٤/١)؛ والديباج المذهب، لابن فرحون (٢٤٨/٢)؛ وسير أعلام النبلاء (٥٠١/١٩).

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢٠/١).

وقد جعل الشيخ الذهبي - رحمه الله - من مصادر التفسير في المرتبة الرابعة: " الأخذ بمطلق اللغة؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولكن على المفسِّر أن يحترز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة، يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا توجد غالباً إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها"(١).

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يرجعون في تفسير القرآن الكريم إلى لغة العرب وأشعارهم، للاستشهاد بها في معنى بعض الآيات، وكانوا أصحاب لغة عربية فصيحة؛ ولذا لم يفسر النبي ﷺ لأصحابه من ألفاظ القرآن إلا ما احتاجوا إلى معرفته مما يشتبه عليهم، وأجروه على لغة من لغات العرب ولم يكن مراداً في الآية، ومن ذلك:

تفسيره معنى (الوسط) في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: "والوسط العدل"(٢).

وتفسيره (الخيط الأبيض والأسود) في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٧] بأنه بياض النهار وسواد الليل(٣).

---

(١) التفسير والمفسرون، للذهبي (١/ ٢٣٥).

(٢) رواه البخاري في (ك: أحاديث الأنبياء، ب: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾)، ٤/ ١٣٤، برقم (٣٣٣٩).

(٣) رواه البخاري في (ك: الصوم، ب: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ ﴾)، ٣/ ٢٨، برقم (١٩١٦).

(المطلب الثاني)
عناية مكي باللغة والترجيح بها

يعتد مكي رحمه الله بالعربية كثيراً، ويعتمد عليها في تفسيره، ولا غرابة في ذلك، فلقد كان نحوياً لغوياً أديباً، والقرآن الكريم إنما أنزل بلسان عربي مبين.

ومن ثم استطاع مكي أن يذلل كثيراً من الصعاب والمشكلات التي تعترض المفسر لكتاب الله، وأن يجليها للقارئ، ويقربها للأذهان.

وسأشير هنا إلى بعض النقاط التي تُبيّن لنا مقدار اعتماد مكي على العربية في فهم القرآن:

١- بيان المفردات:

عني مكي بإيضاح المفردات القرآنية، وبيان أصولها اللغوية البعيدة؛ وذلك ليكون القارئ لكتاب الله تعالى على علم بأصول كلام العرب الذي به نزل القرآن، وليكون أقدر على فهم النصوص التي تتألف من مثل هذه المفردات.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٦] في شرح كلمة "الضلالة":

‹‹ وأصل الضلالة الحيرة، ويسمى الهالك التالف ضالاً نحو قوله: ﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [السجدة: ١٠] أي هلكنا وتلفنا. ومنه قوله: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: ١]، أي أتلفها وأهلكها وأبطلها. ومنه قوله: ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾[محمد: ٤] أي لن يبطلها ويتلفها ويهلكها.

فكأن هؤلاء لما أخذوا الضلالة، وتركوا الهدى كانوا بمنزلة من لم يربح في

تجارته، وأضاف الربح إلى التجارة لأن المعنى مفهوم وهو من اتساع العرب ومجازه.

وهو كثير في القرآن أي في كتاب الله، إذ هو من كلام العرب، والقرآن نزل بكلامهم فلا ينكر أن يأتي القرآن بما هو في كلام العرب معروف مشهور إلا من عدم حسه وفارق فطنته، ومثله قولهم: " نَهَارُكَ صَائِمٌ، وَلَيْلُكَ قَائِمٌ "، ومنه قوله: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣]. وهو كثير في الكلام والقرآن»[١].

ب- كما أنه في بعض الأحيان ينقل اختلاف العلماء في شرح بعض الكلمات، ويرجع الكلمة إلى أصلها، ويعللها، ويبين اختلاف المعنى في نفس الكلمة بناءً على اختلاف حركات بعض الحروف، فقد قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة: ٤٨]:

« قوله: ﴿ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ أي: فداء.

وعن ابن عباس: " عدل: بدل ". وعن النبي ﷺ: " العَدْلُ: الفِدْيَةُ ".

وقولهم: " لا يقبل منه، صرف ولا عدل ".

وقيل: العدل: الفدية، والصرف: الحيلة. قاله ابن السِّكِّيت[٢].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١٦٨).

(٢) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، المعروف بابن السكيت، وابن السكيت لقب أبيه، ، إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، م قتله، لسبب مجهول. ولد سنة ١٨٦هـ، وتوفي سنة ٢٤٤هـ. من أشهر تصانيفه: (إصلاح المنطق)، و (البيان والتحصيل). ينظر : نزهة الألباء، لابن الأنباري (١٣٨)؛ ومعجم الأدباء (٦/٢٨٤٠)؛ وبغية الوعاة (٢/٣٤٩).

وقال المازني[١]: " العدل: الفريضة، والصرف: النافلة ".

وقيل: للفدية: عدل، لأنها مثل الشيء، وأصل " عدل الشيء " مثله.

والعِدل - بكسر العين - ما حُمل على الظهر. يقال: " عِنْدي غلامٌ عِدْلُ غُلامِكَ، وَشاةٌ عِدْلُ شاتِكَ "، بِكسر العين، إذا كان أحدهما يعدل الآخر.

وكذلك يفعل في كل شيء يماثل الشيء من جنسه، فإن أردت أن عندك قيمته من غير جنسه فتحت العين، فقلت: " عِنْدي عَدْلُ غُلاَمِكَ وَعَدْلُ شاتِكَ ". أي قيمتها بفتح العين.

وروي في " العدل " الذي بمعنى الفدية كسر العين لغة))[٢].

٢- عنايته بالاشتقاق:

كذلك اهتم مكي بالاشتقاق في تفسيره؛ وذلك لأن معرفة اشتقاق الكلمة يزيد في بيان معناها ويوضحه، ومن أمثلة ذلك:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩] في اشتقاق كلمتي "الخمر" و "الميسر":

---

(١) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان، أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة. ووفاته فيها ٢٤٩هـ. من أشهر تصانيفه: (ما تلحن فيه العامة)، و (التصريف). ينظر : نزهة الألباء، لابن الأنباري (١٤٠)؛ ومعجم الأدباء (٢/٧٥٧)؛ وبغية الوعاة (١/٤٦٣).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٢٥٧).

((والخمر: ما خامر العقل أي ستره، فكل شراب ستر العقل وأحاله فهو خمر، يقال: " دخل فِي خِمَارِ النَّاسِ " أي هو مستتر في الناس، ويقال للضبع: " خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ "، أي استتري. وخمار المرأة قناعها لأنه يسترها. وقوله: " اخْتَمَرَ الْعَجِينُ "، أي غطى فطورته الاختمار.

والميسر القمار سمي بذلك لما كانوا ييسرون من الجزور وغيرها للقمار عليها.

وقال مجاهد: " كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز ".

وقال عطاء: " حتى لعب الصبيان بالكعاب "

وقال القاسم[١]: " كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر ".

قال ابن عباس: " كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله، فأيهما قامر صاحبه ذهب بأهل الآخر وماله "[٢].

وأشعار العرب: تدل على أن الميسر كان قماراً بينهم في الجزور خاصة.

وقيل: سمي ميسراً لأنهم كانوا يجزرون الجزور. وكل شيء جرزته فقد يسرته، والياسر الجازر. فقيل للضاربين بالقداح: ياسرون؛ لأنه سبب لتجزئة الجزور.

ويقال للضارب بالقداح " يَسَرٌ وأَيْسَارٌ "))[٣].

---

(١) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أحد الفقهاء السبعة في المدينة. وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. ولد في المدينة سنة ٣٧هـ، وتوفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجا أو معتمرا سنة ١٠٧هـ. ينظر : الطبقات، لخليفة بن خياط (٢٤٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٥/٥٣)؛ وتهذيب الكمال (٢٣/٤٢٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤/٣٢٤)، برقم (٤١٢١).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٧١٥).

٣- بيان معاني الحروف:

كان مكي يهتم بتفسير الحروف وبيان معانيها المختلفة، الأمر الذي يؤدي إلى تغير في فهم النص واختلاف الأحكام التي تترتب على ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ٦﴾ [المائدة: ٦]:

« وقوله: ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾: روى أشهب[1] عن مالك أنه قال: الغسل إليهما ولا يدخلان في الغسل، وروى غير أشهب عنه أن غسلهما واجب مثل الكعبين اللذين أجمع على غسلهما، وهو قول عطاء والشافعي.

وأصل (إلى) – في اللغة – الانتهاء، كقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالليل آخر الصوم غير داخل في الصوم، وكذلك المرفقان غير داخلَيْن في الوضوء.

ومَن أدخل المرفقين في الغسل، فإنما هو على أن يجعل " إلى " بمعنى " مع " كما قال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ [النساء: ٢] أي: " مع "، وكما قال: ﴿مَنۡ

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو، فقيه الديار المصرية في عصره. كان صاحب الإمام مالك. قال الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه. ولد سنة ١٤٥هـ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ. ينظر : ترتيب المدارك، للقاضي عياض (٣/٢٦٢)؛ وسير أعلام النبلاء (٩/٥٠٠)؛ والديباج المذهب، لابن فرحون (١/٣٠٧).

أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤]، أي: مع الله، هذا قول بعض أهل اللغة.

ومنع ذلك المُبَرِّد[١] وغيره من النحويين لأن اليد - عند العرب - حدها إلى الكتف فلو كانت " إلى " بمعنى " مع " وجب غسل اليد كلها إلى الكتف، لأنه آخرها، و " إلى " عنده على بابها.

قال المبرد: إذا كان ما بعد " إلى " مِمّا قبلها، فما بعدها داخل فيما قبلها كآية الوضوء، وإذا كان بعدها مخالفاً لما قبلها، فالثاني غير داخل فيما دخل فيه الأول، كقوله: ﴿ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾، فلو قلت: " بِعتُ هذا الفدّان إلى هذه الدّار " لم تدخل الدّار في البيع؛ لأن الدار مخالفة للفدان، ولو قلت: " بِعتُ هذا الثّوب من هذا الطرف إلى هذا الطرف " دخل الطرف الثاني في البيع، كذلك لمّا كانت المرفقان من جنس اليد، دخلتا في الغسل مع اليد، فإذا كان الحد من جنس المحدود دخل معه، وإذا كان من غير جنسه لم يدخل معه، هذا التفسير قول المبرد، وهو حسن جيد، ولذلك يقول المـوَثِّقُون: " اشترى الدّار بحدودها " فالحدود داخلة في البيع.

وكان الطبري يقول: ليس غسلهما بواجب، فهو ندب من النبي ﷺ؛

---

(١) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة سنة ٢١٠هـ، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. من أشهر تصانيفه: (الكامل)، و (المقتضب). ينظر : نزهة الألباء (١٦٤)؛ ومعجم الأدباء (٢٦٧٨/٦)؛ وبغية الوعاة (٢٦٩/١).

لقوله:"أمتي الغُرّ[١] المُحَجَّلون[٢] من آثار الوضوء، فمن استطاع أن يطيل غُرَّته فليفعل "[٣] ››[٤].

نلاحظ هنا جمعه للأقوال في تفسير "إلى" وبيان معانيها والاستدلال على ذلك بما ورد في الآيات القرآنية المختلفة، وأقوال الفقهاء والعلماء واللغويين، ثم ترجيحه لرأي المبرد الذي يعتبر ضابطاً لغوياً في تفسير "إلى" دون أن يورِد عليه أي اعتراض أو مانع.

إن مثل هذا التفسير اللغوي هو الذي يمكن أن يضع الضوابط الثابتة التي تحدد المراد من اللفظ، وتمنع المعاني التي تتأرجح دون إمكانية الجزم والتحديد.

ب- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [نوح: ٤]:

‹‹ قال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾.

---

(١) الغُرُّ : جمع الأغَر من الغُرّة : بياضِ الوجْه، يُريد: بَياض وجُوهِهم بنور الوُضوء يوم القيامة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥٤)، مادة (غرر).

(٢) أي بيضُ مَواضع الوُضوء من الأيْدي والوجْه والأقْدام. اسْتَعار أثَرَ الوضوء في الوجْه واليَدَين والرّجْلين للإنسان من البَياضِ الذي يكون في وجْه الفَرس ويَدَيْه ورجْلَيْها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٤٦)، مادة (حجل).

(٣) رواه البخاري في (ك: الوضوء، ب: فَضْلِ الوُضُوءِ، وَالغُرُّ المحَجَّلُونَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ) ١/ ٣٩، برقم (١٣٦)؛ ومسلم في (ك: الطهارة، ب: اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ) ١/ ٢١٦، برقم (٢٤٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ، بلفظ: " إن أمتي يُدعون يوم القيامة غراً محجلين ..".

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٦٢٢).

أي: يسترها عليكم، فلا يعاقبكم بها إن أطعتموني.

و" مِنْ " بمعنى " عَنْ " أي: يغفر لكم عن ذنوبكم، كما تقول: وجع بطني من الطعام، أي: عن الطعام.

وإذا كانت " مِنْ " بمعنى " عن " لم تدل على التبعيض.

وقيل: " من " للتبعيض والمعنى: يغفر لكم منها ما وعدكم العقوبة عليه وهو معظمها، وهو الشرك به.

ولا يحسن أن تكون " من " زائدة؛ لأنها لا تزاد في الإيجاب.

ولا يجوز أن تكون لبيان الجنس؛ لأنه لم يتقدم جنس فتبينه بما بعده››(١).

ونلاحظ هنا:

- تجويزه أن تكون "من" بمعنى "عن"، وفي هذه الحالة لا تدل على التبعيض.
- وتجويزه أن تكون للتبعيض، ويكون المعنى: يغفر لكم من الذنوب ما وعدكم العقوبة عليه، وهو معظمها، وهو الشرك به وشبهه.
- عدم استحسان أن تكون "من" زائدة؛ لأنها لا تزاد في الإيجاب، ومنعه لأن تكون لبيان الجنس؛ لأنه لم يتقدم جنس فتبينه بما بعده.

وهكذا يذكر الحالات المختلفة لهذا الحرف، ويبين المعاني التي يمكن أن تكون صحيحة ومقبولة حسب ورودها في السياق، والمعاني التي تُسْتبعد ولا تجوز بناء على

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٢٥٧).

سياق الآية أيضاً.

ولا ينسى أن يبين المراد من الآية بناء على معنى الحرف، وكل ذلك يؤكد مدى قدرته اللغوية الفائقة التي يستخدمها في ضبط تفسير كتاب الله.

٤- ذكر اختلاف الإعراب وأثره في الأحكام:

من عناية مكي بالعربية اهتمامه بالإعراب في تفسير القرآن، حتى إنه قد أفرد كتاباً خاصاً في تفسير مشكل إعراب القرآن. وأما في تفسيره فلم يستطرد كثيراً في الإعراب، وربما أحال في أكثر الأحيان إلى كتابه المفرد لهذا الغرض، ولم يرد أن يعيده ضمن تفسيره لعدم إثقاله بهذه المباحث.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦]:

« قوله ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾: مَنْ خَفَضَ[(١)]، فهو عند الأخفش[(٢)] وأبي عبيدة[(٣)]

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة وشعبة. ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/١٩١)؛ ومعجم القراءات القرآنية، لأحمد مختار، وعبد العال مكرم (٢/١٩٥).

(٢) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط. عالم باللغة والأدب، ومن أكابر أئمة النحويين من البصريين، وكان معتزليا، من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. توفي سنة ٢١٥هـ. ينظر : نزهة الألباء (١٠٧)؛ ومعجم الأدباء (٣/١٣٧٤)؛ وبغية الوعاة (١/٥٩٠).

(٣) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، النحوي، أبو عبيدة. من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده

=

على الجوار، والمعنى للغسل، شبه الأخفش بقولهم " هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ "، وهذا قول مردود، لأن الجوار لا يقاس عليه، إنما يسمع ما جاء منه ولا يقاس عليه.

وأيضاً فإن الأرجل معها حرف العطف، ولا يكون الإتباع مع حرف العطف.

وقيل: إنه إنما خفض لاشتراك الغسل والمسح في باب الوضوء، كما قال: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة: ٢٢] فخفض وعطفه على الفاكهة التي يطاف بها، وهذا مما لا يطاف به، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في التنعم بهما، وكما قال الشاعر:

شرّابُ أَلْبَانٍ وتَمْرٍ وأَقطٍ[(١)] ...

فعطف التمر والأقط على ما يشرب، وليس يشربان، ولكن فعل ذلك لاشتراكهما في التغذي بهما، ومثله قوله:

ورأيتُ زوجَكِ قد غدا ... مُتَقَلِّداً سيفاً ورُمحاً[(٢)]

فعطف الرمح على السيف، وليس الرمح مما يتقلد به، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في الحمل، وفي أنهما سلاح، ومثله:

عَلَفتُها تِبْناً وماءً بارداً[(١)] ...

=

ووفاته في البصرة. ولد سنة ١١٠هـ، وتوفي سنة ٢١٠هـ. ينظر : نزهة الألباء (٨٤)؛ ومعجم الأدباء (٢٧٠٤/٦)؛ وبغية الوعاة (٢٩٤/٢).

(١) الأقِطُ والإِقْطُ والأَقْطُ: شيء يتخذ من اللبن المخيض، يُطبخ ثم يترك حتى يَمْصُل – والمُصول: تميُّز الماء عن الأقط–، والقطعة منه: أَقِطَة. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٥٧/٧) مادة (أقط).

(٢) البيت لعبد الله بن الزِّبَعري من مجزوء الكامل. ينظر: الكامل، للمبرد (٢٦٤/١)؛ والمعجم المفصل، لإميل يعقوب (٦٦/٢).

فعطف المـاء على التّبن وليس مما يوصف بالعلف، ولكن فعل ذلك لاشتراكهما في أنهما غذاء لها. ومثله قوله:

وزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ والْعُيونا[٢] ...

فعطف العيون على الحواجب وليست مما يُزَجَّجَ إنما تكحّل، ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في التزيّن بهما، فكذلك يحمل الغسل على المسح لاشتراكهما في باب الوضوء.

وتقدير ما ذكرنا – عند النحويين – على حذف فعل فيه، كله على قدر معانيه، كأنه قال: (وأكّالِ تَمْرٍ)، (وحامِلاً رُمْحاً)، (وَسَقيْتُها ماءً)، (وكَحَّلنَ الْعُيُونَ) ونحو ذلك من التقدير.

وقال علي بن سليمان[٣] تقديره: وأرجِلكم غسلاً.

وقيل: المسح – في كلام العرب – يكون بمعنى الغَسْل يقال: تمسحت للصلاة أي: توضأت لها، فاحتمل المسح للأرجل أن يكون بمعنى الغسل وبغير معنى الغسل،

=

(١) عجزه كما في اللسان: "حتى شتَتْ همّالةً عيناها". ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/٢٨٥)؛ ومغني اللبيب، لابن هشام (١/٨٢٨).

(٢) البيت للراعي النميري واسمه عبيد بن حصين، وصدره: "إذا ما الغانيات برزن يوماً" من الوافر. ينظر: ديوان الراعي النميري (٢٦٩)؛ والمعجم المفصل، لإميل يعقوب (٨/٥٦).

(٣) هو علي بن سليمان بن الفضل النحوي، أبو الحسن الأخفش الأصغر، من أفاضل علماء العربية. توفي ببغداد سنة ٣١٥هـ، وهو ابن ٨٠ سنة. ينظر : نزهة الألباء (١٨٥)؛ ومعجم الأدباء (٤/١٧٧٠)؛ وبغية الوعاة (٢/١٦٧).

فبيّنت السنّة أن المسح للرؤوس بغير معنى الغسل، وأن المسح للأرجل بمعنى الغسل.

وقال قوم من العلماء - منهم الشعبي[١] -: من قرأ بالخفض فقراءته منسوخة بالسنة.

واستدل من قال: أن معنى الخفض النصب، بقوله: ﴿ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾، فحدد كما حدد اليدين إلى المرفقين، ولما كانت اليدان مغسولتين بالإجماع وجب أن تكون الرجلان كذلك لاشتراكهما في التحديد.

وقال ابن عباس: قراءة النصب[٢] ناسخة للمسح على الخفين وهو مذهب عائشة وأبي هريرة. قال ابن عباس: ما مسح رسول الله ﷺ على الخفين بعد نزول المائدة.

وقد أجاز المسح على الخفين جماعة من الصحابة، ورووه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه مسح بعد نزول المائدة[٣]، ومن أوجب شيئاً أولى بالقبول ممن نفى.

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. ولد سنة ١٩هـ، وتوفي سنة ١٠٣هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣٦٥/٨)؛ وتهذيب الكمال (٢٨/١٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤).

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص. ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١٩١/٢).

(٣) رواه البخاري في (ك: أبواب الصلاة في الثياب ، ب: الصلاة في الخفاف) ١٥١/١، برقم (٣٨٠)؛ ومسلم في (ك: الطهارة، ب: المسح على الخفين) ٢٢٧/١، برقم (٢٧٢)، من حديث همام بن الحارث قال : رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه ثم قام فصلى، فسئل، فقال: رأيت النبي ﷺ صنع مثل =

وعليه جماعة الفقهاء، وهو قول علي، وسعد[١]، وبلال[٢]، وعمرو بن أمية[٣]، وحذيفة[٤]، وبريدة[٥]، وغيرهم.

=

هذا. قال إبراهيم: وكان أصحاب عبد الله يعجبهم هذا الحديث؛ لأن إسلام جرير بعد نزول المائدة. وفي رواية أبي داود ١/ ٨٢ برقم (١٥٤): " أن جريراً بال ثم توضأ فمسح على الخفين، وقال: ما يمنعنى أن أمسح وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح. قالوا: إنما كان ذلك قبل نزول المائدة. قال: ما أسلمت إلا بعد نزول المائدة.

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق، الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً، توفي سنة ٥٥هـ. ينظر : الاستيعاب (٢٧٥)؛ وأسد الغابة (٢/ ٤٥٢)؛ والإصابة (٤/ ٢٨٦).

(٢) هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، مؤذن رسول الله ﷺ، وخازنه على بيت ماله، وأحد السابقين للإسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم. وتوفي في دمشق سنة ٢٠هـ. ينظر : الاستيعاب (٨١)؛ وأسد الغابة (١/ ٤١٥)؛ والإصابة (١/ ٦٠٥).

(٣) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، أبو أمية، من الصحابة، وشهد مع المشركين بدرا وأحدا. ثم أسلم، وعاش أيام الخلفاء الراشدين. ومات بالمدينة في خلافة معاوية نحو سنة ٥٥هـ. ينظر : الاستيعاب (٤٩١)؛ وأسد الغابة (٤/ ١٨١)؛ والإصابة (٧/ ٣٣٣).

(٤) هو حذيفة بن حِسْل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حِسْل، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سِرِّ النبي ﷺ في المنافقين، توفي بالمدائن سنة ٣٦هـ. ينظر : الاستيعاب (١٣٨)؛ وأسد الغابة (١/ ٧٠٦)؛ والإصابة (٢/ ٤٩٦).

(٥) هو بُرَيْدة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، من أكابر الصحابة. أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، وسكن المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو، فمات بها سنة ٦٣هـ. ينظر : الاستيعاب (٩٤)؛ وأسد الغابة (١/ ٣٦٧)؛ والإصابة (١/ ٥٣٣).

وهذه الآية ناسخة لقوله: ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣]، وهو قول جماعة.

وقيل: هي ناسخة لما كانوا عليه، روي " أن النبي ﷺ كان إذا أحدث لم يكلم أحداً حتى يتوضأ"(١)، فنسخ ذلك بالوضوء عند افتتاح الصلاة.

وقيل: هي منسوخة؛ لأنها لو لم تنسخ لوجب على كل قائم إلى الصلاة الوضوء، فنسخها فعل النبي ﷺ وجمعه صلاتين وصلوات بوضوء واحد.

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي على الندب، نَدَبَ كُلَّ قائم إلى الصلاة إلى الوضوء وإن كان على وضوء.

وقيل: يجب على كل من قام إلى الصلاة الوضوء - وإن كان متوضئاً - بظاهر الآية، وهذا قول خارج عن قول الجماعة، وهو قول عكرمة وابن سيرين(٢). وروي أن علياً رضي الله عنه كان يتوضأ لكل صلاة.

(١) رواه ابن ماجه في سننه (ك: الطهارة وسننها، ب: الرجل مسلم وهو يبول) ١٢٦/١، برقم (٣٥٠)، من حديث المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه. بلفظ: " أتيت النبي ﷺ وهو يتوضأ، فسلمت عليه، فلم يرد عليَّ السلام، فلما فرغ من وضوئه قال: إنه لم يمنعني من أن أرد إليك إلا إني كنت على غير وضوء". وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٧٣/١).

(٢) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، تابعي، وهو من سبي عين التمر الذين أسرهم خالد بن الوليد. إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. مولده ووفاته في البصرة، ولد سنة ٣٣هـ، وتوفي سنة ١١٠هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٩٢/٩)؛ وتهذيب الكمال (٣٤٤/٢٥)؛ وسير أعلام النبلاء (٦٠٦/٤).

وقال زيد بن أسلم[١] وأهل المدينة: الآية مخصوصة فيمن قام من النوم.

وقيل: الآية مخصوصة يراد بها من كان على غير طهارة، وهو قول الشافعي، قال: المعنى: إذا قمتم - وقد أحدثتم - فافعلوا كذا»[٢].

٥- النقد اللغوي:

نلحظ أيضاً في هذا الجانب استخدام مكي - رحمه الله - النقد في مجال اللغة، حيث يردُّ كثيراً من الأقوال أو يضعفها بناء على مخالفتها لقواعد اللغة وأصولها وتصاريفها.

كما يرجح منها ما يكون أقوى وأقرب إلى روح اللغة وأصولها، وهو في كل ذلك يذكر هذه القواعد والأصول وينبه عليها، مما يجعل كتابه حافلاً بالتعليقات اللغوية المفيدة، والتي تنمي ملكة النقد اللغوي عند الدارس لكتاب الله.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ٩٣]:

---

(١) هو زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله، فقيه مفسر، من أهل المدينة. توفي بالمدينة سنة ١٣٦هـ. ينظر : الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥٠٧/٧)؛ وتهذيب الكمال (١٢/١٠)؛ وسير أعلام النبلاء (٣١٦/٥).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٦١٣/٣).

« قوله: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ أي: حب العجل من أجل كفرهم.

وقيل: المعنى إنهم سقوا من الماء الذي ذري فيه براية العجل.

وقال السدي: " إنهم شربوا من الماء الذي ذري فيه سحالة العجل بأمر موسى ﷺ لهم. فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب فذلك قوله: ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾.

وأولى هذه الأقوال قول من قال: حب العجل؛ لأن الماء لا يقال فيه: أشربته بمعنى " سقيته ".

وروي أنهم قالوا لموسى ﷺ: " إن عبادة العجل أسهل علينا من عبادة الرحمن؛ لأن العجل إن عصيناه لم يعذبنا، والرحمن إن عصيناه عذبنا ". فأنزل الله: ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ ﴾»(١).

فنلحظ هنا استعراضه لعدد من الأقوال، ثم ترجيحه لما هو أقوى في العربية.

ب- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ [الليل: ١٩]:

« أي: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يعطي ماله يتزكى به عند الله من نعمة يجازيه عليها.

أي: ليس يعطي ما يعطي مجازاة لأحد على يد له عنده، ولا مكافأة على نعمة

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٣٥٢).

سبقت قبله، لكن يعطي ابتغاء وجه ربه الأعلى. و " إلا " في هذا المعنى " لكن ".

وقيل: المعنى: وماله عند أحد من أنفق من نعمة يلتمس ثوابها، فيكون على القلب. وهذا أحد قولي الفراء.

ومثله قول النابغة[(١)]:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعِلٍ من ذي المطارة عاقل[(٢)]

يريد: حتى ما تزيد مخافة وعلٍ على مخافتي.

وفيه بعد؛ لأن كتاب الله لا يحمل على القلب إلا إذا لم يكن حمله إلا عليه[(٣)]»[(٤)].

وهنا نلحظ أنه يردُّ القلْب عن كتاب الله؛ لأنه لا يكون إلا في ضرورة، ولا مجال لهذه الضرورة في كتاب الله إذا أمكن أن يُحمل على غيرها.

٦- التعليل اللغوي:

اهتم مكي بالتعليل اللغوي في تفسيره، بل إن التعليل اللغوي عنده يكاد يكون قاعدة أساسية يقوم عليها تفسيره اللغوي، حيث نرى هذا التعليل في مجالات متعددة، ويرتبط بمعظم فنون اللغة وأساليب الخطاب.

---

(١) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. توفي سنة نحو ١٨ ق هـ. ينظر : الشعر والشعراء، لابن قتيبة (١٥٧)؛ والأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني (٥/١١).

(٢) ديوان النابغة الذبياني (١٤٤) من بحر الطويل.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (٥/٢٤٥).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/٨٣٢١).

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ٥]:

« والعبادة في اللغة التذلل بالطاعة والخضوع.

فمعنى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: نذل لك ونخضع بالعبادة لك ونستعين بك على ذلك.

وإنما قدم ﴿ نَعْبُدُ ﴾ على ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ وقد علم أن الاستعانة قبل العبادة، والعمل لا يقوم إلا بعون الله، لأن العبادة لا سبيل إليها إلا بالمعونة، والمعان على العبادة لا يكون إلا عابداً. فكل واحد مرتبط بالآخر: لا عمل إلا بمعونة ولا معونة إلا تتبعها عبادة، فلم يكن أحدهما أولى بالتقديم من الآخر، وأيضاً فإن الواو لا توجب ترتيباً عند أكثر النحويين.

وأما علة تكرير ﴿ إِيَّاكَ ﴾ فمن أجل اختلاف الفعلين إذ أحدهما عبادة والآخر استعانة.

وقيل: كرر للتأكيد كما تقول: " المال بين زيد وعمرو، بين زيد وبين عمرو "، فتعيد " بين " للتأكيد »[١].

فنلحظ هنا تعليله تقديم العبادة على الاستعانة، وتعليله تكرار ﴿ إِيَّاكَ ﴾.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/١٠٧).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨]:

« ومعنى: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ - وقد علم أنه لا يطير إلا بهما -: أن هذا كلام جرى على عادة العرب في لغاتها في التأكيد فخوطبوا بما يعلمون أنه مستعمل عند العرب، تقول العرب: " مشيتُ إليه برجلي " و " كلمته بفمي "، فوكّد الطيران بقوله: ﴿ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ على ذلك.

وقيل: لما كانت العرب تستعمل لفظ " الطيران " في غير الطائر، فتقول لمن ترسله في حاجة: " طِرْ في حاجتي "، تريد " أسرع ". ويقولون: " كاد الفرس يطير " إذا أسرع في جريه، فيعبرِّون بالطيران عما ليس له جناحان، ففرق بذكر الجناحين بين المعنيين.

ويكون " الطائر " عمل الإنسان اللازم له من خير وشر، ويكون " الطائر " من السعد والنحس، كقوله: ﴿ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٤٧]، فبين في الآية أنه الطائر الذي يطير بجناحيه، لا غير »[(١)].

فعلل هنا تقييد الطائر بأنه ذو الجناحين، تفرقة بينه وبين ما يطلق عليه الطيران في لغة العرب من المعاني الأخرى.

ولا عجب ولا غرابة في الإطالة في هذا المبحث إذا علمنا أن مكياً - رحمه الله -

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ٢٠١٤).

كان من أئمة العربية، وله فيها مؤلفات عدة.

المبحث التاسع

﴿ الترجيح بقول الجمهور أو أكثر المفسرين ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

منزلة قول الجمهور وقوته في الترجيح

وهل قولهم حجة أم لا ؟

المراد بقول الجمهور[١] : أكثر العلماء، والاعتبار برأي الأكثر لا شك أنه أحد قرائن الترجيح القوية، والنفس تسكن إليه وتطمئن، واتباعه أولى.

وقد قرر أهل العلم أنه إذا انفرد مفسر في تفسير آية بقول خالف فيه عامة المفسرين من السلف، ولم يكن لقوله دلالة واضحة قوية فهو قول شاذ؛ لأنه خارج عن قول أهل التفسير، فقولهم أولى بالصواب؛ لأنهم إلى الحق أقرب، وعن الخطأ أبعد.

يقول الإمام الشاطبي:" فإذا انفرد صاحب قول عن عامة الأمة، فليكن اعتقادك أن الحق في المسألة مع السواد الأعظم من المجتهدين"[٢]. وهذا يعني أن مخالفة الجماهير من العلماء المجتهدين مظنة الخطأ والزلل، ولكن لا يستلزم ذلك دائماً، إذ العبرة بالحجة والدليل.

وقد اعتمد هذه القاعدة أئمة التفسير، ورجحوا بها:

- فكثيراً ما يذكرها ويرجح بها إمام المفسرين ابن جرير الطبري، ويُعرف هذا

(١) وأما مصطلح (الجماهير) إذا قيل: جماهير العلماء، فيقصد به عامة العلماء، وهو يكاد يقارب الإجماع.

(٢) الموافقات، للشاطبي (٥/ ١٤٠).

عنده بالإجماع، فيقول: أولى الأقوال ما أجمع عليه أهل التأويل.

ويرد قول المخالف لها بقوله: وهذا قولٌ خلافٌ لقول أهل التأويل، وحسبه من الدلالة على فساده خروجه عن قول جميعهم.

- ونص على هذه القاعدة ابن جزي الكلبي في وجوه الترجيح التي سردها في مقدمة تفسيره، فقال: "الثالث: أن يكون قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه"(١).

- ورجح بها أيضاً جماعة من المفسرين منهم: مكي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والألوسي، والشنقيطي، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

يقول الشنقيطي رحمه الله: " وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات، وكذلك كثرة الأدلة، كما عقده في «مراقي السعود» في مبحث الترجيح، باعتبار حال المروي بقوله :

وكثرة الدليل والرواية ... مرجح لدى ذوي الدراية(٢)

والقول بعدم الترجيح بالكثرة ضعيف"(٣).

ولكن ذلك لا يعني أن قول الجمهور أو الأكثر حجة، ولكنه قرينة يستأنس بها ويلجأ إليها عند عدم وضوح الحق، والقرائن تقوى وتضعف.

يقول ابن حزم رحمه الله: " وليس قول الجمهور حجة؛ لأنه لم يأت بذلك قرآن

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٣).

(٢) مراقي السعود، لمحمد الأمين الجكني (٤١٧).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (١/١٦٦).

ولا سنة، وما كان هكذا فلا يعتمد عليه في الدين "[١].

ويقول ابن القيم رحمه الله: " إن فتوى الجمهور بالقول لا يدلُّ على صحته، وقولُ الجمهور ليس بحجة "[٢].

ويقول أيضاً: " فأَوْجِدُونا في الأدلة الشرعية أن قولَ الجمهور حجةٌ مضافة إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع أمته.

ومن تأمَّل مذاهب العلماء قديماً وحديثاً من عهد الصحابة وإلى الآن، واستقرأ أحوالهم وجدهم مُجمعين على تسويغ خلاف الجمهور، ووجد لِكل منهم أقوالاً عديدة انفرد بها عن الجمهور، ولا يُستثنى من ذلك أحد قط، ولكن مستقِلٌّ ومستكثِر، فمن شئتم سميتموه من الأئمة تتبَّعوا ما له من الأقوال التي خالف فيها الجمهور، ولو تتبعنا ذلك وعددناه، لطال الكتابُ به جداً، ونحن نُحيلُكم على الكتب المتضمِّنة لمذاهب العلماء واختلافهم، ومن له معرفة بمذاهبهم وطرائقهم يأخذُ إجماعَهم على ذلك مِن اختلافهم، ولكن هذا في المسائل التي يسوغُ فيها الاجتهادُ ولا تدفعُها السنةُ الصحيحةُ الصريحة، وأما ما كان هذا سبيله، فإنهم كالمتفقين على إنكارِه وردِّه "[٣].

---

(١) المحلى، لابن حزم (٩/٣٣٦).

(٢) زاد المعاد، لابن القيم (٥/٢١٣).

(٣) زاد المعاد، لابن القيم (٥/٢١٤).

(المطلب الثاني)

عناية مكي بالترجيح بقول جمهور المفسرين

لقد اعتمد الإمام مكي رحمه الله تعالى هذا الوجه من وجوه الترجيح، وقد بلغت المواضع التي رجح بها القول في الآية لاختيار جمهور المفسرين لها قريباً من مائة موضع.

ومن شواهد ذلك ما يلي:

أ- قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧]:

‹‹ وقوله: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾.

هو ما يجدون يوم القيامة من عدم نورهم لأنهم لا ينتفعون بما أظهروا من الإيمان؛ إذ كان باطنهم خلاف ما أظهروا.

وقوله: ﴿ ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾. أي استوقدها من غيره.

وقيل: معناه: أوقد، أي أوقدها هو.

قال قتادة: " هي لا إله إلا الله، قالوها بأفواههم فَسَلِمُوا بها من القتل حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم ".

قال مجاهد: " هو إقبالهم على المؤمنين والهدى، وذهاب النور هو إقبالهم على الكفار.

وقيل: ذهب الله بنورهم، أي: أظهر المؤمنين على ما أبطنوا من الكفر والنفاق.

فبعد أن كان لهم عند المؤمنين نورٌ بما أظهروا من الإيمان صاروا لا نورَ لهم عندهم، لما أعلمهم به من سوء ما أبطنوا.

والقول الأول عليه أكثر المفسرين، أن ذهاب نورهم إنما يكون يوم القيامة، وهو الذي ذكره الله في قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]»(١).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]:

« قوله: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾

أكثر أهل التفسير على أن الذي نُهِينَ عنه أن يكتمن هو الحيض والولد، وذلك أن تقول: " إني قد حضت الثلاثة، وهي لم تحض لتذهب ما يجب لزوجها من الرجعة، أو تكتم الولد ليذهب حقه من الرجعة حتى تلد وهو لا يعلم، فلا يكون له في الرجعة بعد الولادة حق.

وقيل: هو الحمل خاصة؛ وذلك أنهن كن في الجاهلية يكتمن الولد خوفاً ألا يراجعهن أزواجُهن، فيتزوجن وهن حوامل، فيلحقن الولد بالزوج الثاني، فحرم ذلك عليهن. قال ذلك قتادة وغيره.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ١٧٠).

وقال السدي: " كان الرجل في الجاهلية إذا أراد الطلاق سأل امرأته هل بها حمل خوف أن يطلقها وهي حامل، فتلحق ولدَه غيره، فإن كانت تكرهه كتمت حملها ليطلقها، فتلحق الولد غيره، فحرم ذلك.

وهذا القول يدفعه قوله: {وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ} بعد ذكر الطلاق ووقوعه، فإنما ظاهر القرآن يدل على النهي أن يكتمن ذلك في العدة ليذهب حق الرجل من الرجعة؛ إما أن تقول: " قد حضت "، ولم تحض، وإما أن تقول: " لست بحامل "، وهي حامل، فَتَجْحَدُ حتى تضع فتذهب رجعته.

وهذه الآية تدل على أن المرأة مؤتمنة على عدتها وحملها))[١].

نلحظ من خلال المثالين السابقين وغيرهما أن مكياً حينما يحكي عن قول بأنه قول الأكثرين لا يعارضه ولا يرجح غيره مما يدل على اختياره لهذا القول، وغالباً ما يقدمه على غيره. والله أعلم.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٦٠).

المبحث العاشر

﴿ الترجيح بالرأي والاجتهاد ﴾

وفيه مطلبان :

(المطلب الأول)

النظر والقول بالرأي في معاني القرآن
ما يجوز منه وما لا يجوز
والضابط في ذلك

التفسير بالرأي(١): أن يُعمل المفسر عقله في فهم القرآن، والاستنباط منه، مستخدماً آلات الاجتهاد.

وقد وردت عدة آيات وأحاديث وآثار عن السلف تذم وتنهى عن القول بالرأي في كتاب الله، ولكنها محمولة على القول بالهوى وبلا علم، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

---

(١) التفسير بالرأي يطلق عليه المصطلحات الآتية: التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي، والنظر، والاستنباط.

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

في هذه الآيات نهي وتشنيع على القول على الله بغير علم؛ ففي الآية الأولى جعله من المحرّمات، وفي الآية الثانية جعله من اتباع خطوات الشيطان، وفي الآية الثالثة جعله منهياً عنه. وفي هذا كلّه دليلٌ على عدم جواز القول على الله بغير علم.

وأما في سنة الرسول ﷺ:

فإن من أصرح ما ورد فيها قوله ﷺ : (إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه من العِبَاد، ولكنْ يقبض العلمَ بقبْضِ العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتَّخذ الناسُ رؤوساً جُهَّالاً، فسُئِلوا فأفتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأَضلُّوا)[١].

وأمّا ما ورد عن السلف، فمنها ما يلي:

١- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (اتقوا الرأي في دينكم)[٢].

وقال: (إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلّوا وأضلوا)[٣].

٢- وورد عن الحسن البصري (ت: ١١٠) قوله: (اتهموا أهواءكم ورأيكم على

---

(١) رواه البخاري في (ك: العلم، ب: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ) ١/٣١، برقم (١٠٠)؛ ومسلم في (ك: العلم، ب: رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ) ٤/٢٠٥٨، برقم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي (١/ ١٩٥)، برقم (٢١٠).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٩٦)، برقم (٢١٣).

دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم)(١).

٣- وعن مسروق (ت: ٦٣هـ) قال: (من يرغب برأيه عن أمر الله يضلّ)(٢).

٤- وقال الزهري (ت: ١٢٤هـ): (إياكم وأصحاب الرأي، أعيتهم الأحاديث أن يعوها)(٣).

وممن نُقِل عنه ذمُّ الرأي أو القياس: ابنُ مسعود رضي الله عنه (ت: ٣٢هـ) من الصحابة، وابنُ سيرين (ت: ١١٠هـ) من تابعي الكوفة، وعامرٌ الشعبي (ت: ١٠٤هـ) من تابعي الكوفة، وغيرهم.

قال القرطبيّ: «النّهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشّيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه؛ ليحتجّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرّأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

وهذا النّوع يكون تارة مع العلم، كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكنَّ مقصودَه أن يَلبِسَ على خصمِه.

وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية في ذلك محتملة، فيميل فهمه إلى

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٧)، برقم (٢٢٤).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى في (ك: الوصايا، ب: مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا ﴾ [النساء: ٩] وَمَا يُنْهَى عَنْهُ مِنَ الْإِضْرَارِ فِي الْوَصِيَّةِ) ٦/٤٤٣، برقم (١٢٥٨٤).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (باب: ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي والظن والقياس على غير أصل) ٢/ ١٠٥٢، برقم (٢٠٣٢).

الوجه الّذي يوافق غرضه، ويرجّح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه، أي رأيُه حمله على ذلك التّفسير، ولولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه.

وتارة يكون له غرض صحيح، فيطلب له دليلا من القرآن، ويستدلّ عليه بما يعلم أنّه ما أريد به .

والوجه الثّاني: أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة، من غير استظهار بالسّماع والنّقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتّقديم والتّأخير، فمن لم يُحْكِم ظاهرَ التّفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة كثُرَ غلطُه، ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرّأي.

والنّقلُ والسّماعُ لا بدّ له منه في ظاهر التّفسير أوّلاً؛ ليتّقيَ به مواضع الغلط، ثمّ بعد ذلك يتّسع الفهم والاستنباط، والغرائبُ الّتي لا تُفهم إلّا بالسّماع كثيرةٌ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظّاهر».

ثمّ قال: «وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرّق النّهي إليه»[1].

ووردت في مقابل ذلك آيات وأحاديث وآثار عن السلف تحث على النظر والتأمل في كتاب الله، واستنباط المعاني منها، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

- وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥٨/١).

[ص: ٢٩].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

فقد حث على تدبر القرآن، بل وبخ الذين لا يتدبرونه. وهذا يدل على أن أولي الألباب بما لهم من العقل السليم واللب الصافي عليهم أن يتأولوا مالم يستأثر الله بعلمه، إذ التدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله، والآية الكريمة تدل على أن في القرآن ما يستنبطه أي يستخرجه أولو الألباب والفهم الثاقب.

- ومن السنة: دعاء النبي ﷺ لابن عباس بقوله: "اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"(١).

فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل لما كان ثمت فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء.

- وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم ثبت أنهم فسروا القرآن اجتهاداً منهم، واختلفوا في تفسيره، ومعلوم أنهم لم يسمعوا كل ما قالوه في تفسير القرآن من النبي ﷺ، بل توصلوا إلى معرفة البعض بعقولهم، ومن هؤلاء: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

- كما ورد تفسير القرآن عن كثير من خيار التابعين، كسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، والحسن البصري رحمه الله تعالى وغيرهم.

وبيّن كثير من أهل العلم الفصل بين التّفسير بالرّأي المحمود والرّأي المذموم،

---

(١) رواه البخاري في (ك: الوضوء، ب: وضع الماء عند الخلاء) ١/٦٦، برقم (١٤٣).

فمن ذلك:

❁ قال البيهقيّ(١): «الرّأي الّذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الرّأي لا يجوز الحكم به في النّوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأمّا الرّأي الّذي يسنده برهان، فالحكم به في النّوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز»(٢).

❁ وقال ابن عطيّة: «معنى هذا أن يُسأل الرّجل عن معنى في كتاب الله، فيتسوّر عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء واقتضته قوانين العلوم، كالنّحو والأصول، وليس يدخل في هذا ... أن يفسّر اللّغويّون لغته، والنّحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كلّ واحد باجتهاد المبنيّ على قوانين علم ونظر، فإنّ القائل على هذه الصّفة ليس قائلا بمجرّد رأيه»(٣).

وعليه يمكن القول بأن الضابط في الرأي المحمود والمذموم:

أن المحمود ما كان معتمداً على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح والغالب في استعمال لغة العرب، وأوتي صاحبه آلة الاجتهاد.

والمذموم ما كان بغير علم أو بُنِيَ على هوىً.

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ. من أشهر تصانيفه: (السنن الكبرى)، و (الأسماء والصفات)، و (ودلائل النبوة). ينظر : سير أعلام النبلاء (١٨/١٦٣)؛ وطبقات الشافعية الكبرى (٤/٨).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/٤٢٣).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية (١/٢٩).

(المطلب الثاني)
ترجيح مكي بالرأي والاجتهاد

يستعمل مكي كلمة "النظر" في تفسيره كثيراً، كأن يقول: "والذي يوجبه النظر"، و "الذي عليه أهل النظر"، و "المعنى عند أهل النظر" إلى غير ذلك من التعابير التي تفيد احتفاله بالرأي والنظر، وتعويله عليه.

والحقيقة أن كل ما استشهد به مكي من آية كريمةٍ أو سنة نبويةٍ أو قولٍ لصحابي أو تابعي أو لغة العرب أو شعر ونحو ذلك، فلا يخلو من أحد حالين:

- إما أن يكون نقَلَه عمن سبقه؛ فإن كان المنقول عنه ذلك التفسير هو النبي ﷺ فهو التفسير بالمأثور، وهو حجة يجب أخذه، ولا يقبل غيره. وإن كان غيرَ النبي ﷺ فهو باعتبار وصوله إليه أثرٌ، وباعتبار حجيته فهو تفسير بالرأي والاجتهاد لا يجب الأخذ به، إلا إن كان إجماعاً، أو أمراً غيبياً لا يقال بالرأي، أو أثراً عن صحابي لا مخالف له.

- أو قاله من عند نفسه، فهذا من قبيل تفسيره برأيه واجتهاده، لا يجب الأخذ به، ولكن يعرض على الأدلة والقواعد الترجيحية؛ لاختبار صحته – كما سبق تقريره – والله أعلم.

ومن شواهد ما قاله مكي برأيه واجتهاده ما يلي:

أ– قال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩]:

‹‹ قوله: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ الآية.

المعنى: " واحذروا يوم يجمع الله الرسل.

ومعنى ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾: ما أجابتكم أممكم حين دعوتموهم؟، فذهلت عقول الرسل عليهم السلام لهول اليوم، فقالت: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ ﴾ ، فلما سئلوا في موضع آخر ورجعت إليهم عقولهم أجابوا.

وقيل: المعنى: لا علم لنا، لأنك أعلم به منا. وقال ابن عباس: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا. وهو اختيار الطبري، يدل على ذلك أنهم ردوا العلم إليه، فقالوا ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾.

وقال مجاهد: تنزع أفئدتهم فلا يعلمون، ثم ترد إليهم أفئدتهم فيعلمون. وقيل: معناه: لا علم لنا بما عملته أُمَمُنا بعدَنا، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾.

وقال ابن جريج: المعنى: ماذا عملت أمتكم بعدكم؟، فيقولون: لا علم لنا حقيقة، أي لا علم لنا بما غاب عنا، إنك أنت علام الغيوب.

وَيشُدُّ هذا التأويل قول النبي ﷺ : " يَرِد عليَّ قومٌ الحوضَ فَيُخْتَلَجون، فأقول: أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك "(١).

وقد طُعِن في قول ابن جريج، لأن الله لا يسأل عما غاب عن الأنبياء ولم يُعلمهم به، وقد قيل: إن الرسل لا يفزعون، لانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والمعنى:

(١) رواه البخاري في (ك: الرقاق، ب: في الحوض) ٢٤٠٦/٥، برقم (٦٢١١)؛ ومسلم في (ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته) ١٨٠٠/٤، برقم (٢٣٠٤)، من حديث أنس ﷺ.

ماذا أجبتم في السر والعلانية، ومعنى مسألة الله الرسل عما أجيبوا، إنما هو بمعنى التوبيخ لمن أرسلوا إليهم، كما قال: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾ [التكوير: ٨ - ٩]، وإنما تُسأل هي على التوبيخ لقاتلها.

وقيل: إنما سألهم الله عن السر والعلانية، فرَدّوا الأمر إليه، إذ ليس عندهم إلاّ علمُ الظاهر، والباطن عِلمُه إلى الله، لأنه يعلم الغيب، وهذا القول أحب الأقوال إليّ، لأن سؤاله لهم سؤالاً عاماً يقتضي السؤال عن سر الأمم وعلانيتها، والسر علمه إلى من يعلم الغيوب، وهو الله جل ذكره، فأقروا بأنهم لا علم عندهم منه، ورَدّوا العلم إلى من يعلم الغيب»[(١)].

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠ ﴾ [الإسراء: ٦٠]:

« ثم قال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾.

يعني: ما أراه ليلة أسري به افتتن بها قوم فارتدوا عن الإسلام.

وهذا مما يدل على أن الرؤيا التي كانت رؤيا عين لا رؤيا نوم؛ لأنها لو كانت رؤيا نوم ما افتتن أحد بها ولا ارتد؛ لأن الإنسان يرى في نومه مثل هذا وأبعد منه.

فلما أخبرنا الله عز وجل أن الرؤيا كانت فتنة للناس، علمنا أنها رؤيا عين؛ لأن من كان ضعيفاً في الإسلام يستعظم الوصول إلى بيت المقدس والرجوع منها في ليلة

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٣/١٩٢٢).

فيرتد بجهله، وقلة علمه.

وأيضاً فإنها لو كانت رؤيا نوم، لم تكن بآية ولا فيها دلالة عن نبوة، لأن سائر الناس قد يرى في نومه ما هو أبعد من ذلك.

وعن ابن عباس: إن هذه الرؤيا المذكورة هنا هي رؤيا رءاها النبي ﷺ بالمدينة، رأى أنه يدخل مكة هو وأصحابه، فعجل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل، فرده المشركون، فقال ناس: قد رد رسول الله ﷺ، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها، فافتتن قوم بذلك.

والصحيح أن الرؤيا هنا ما رأى إذ أسري به))[1].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/٤٢٣٣).

المبحث الحادي عشر
﴿ الترجيح من غير ذكر الدليل ﴾

لقد تنوعت الطرق التي استخدمها مكي - رحمه الله تعالى - في الترجيح، فكان منها ما رجحه بدليل -كما سبق- ، ومنها ما أطلق فيه الترجيح من غير أن يذكر دليلاً.

ومن شواهد ذلك ما يلي:

أ- قال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر: ٦٩]:

‹‹ ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ أي: جيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابت به أممهم وردت عليهم في الدنيا.

والشهداء، يعني: الذين يشهدون على الأمم. وهو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: عدلاً ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: عنى بالشهداء هنا: الذين قتلوا في سبيل الله. **والأول أولى وأبين.**

وقال السُّدِّي: الشهداء: الذين استشهدوا في طاعة الله عز وجل.

وقال ابن زيد: هم الحفظة يشهدون على الناس بأعمالهم››[1].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/٦٣٨٧).

ب- وقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [الليل: ١٤- ١٦]:

« ثم قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ أي: أنذرتكم أيها الناس ناراً تتوقد وتتوهج، أعدت لمن عصى الله وكفر به.

ثم قال تعالى: ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أي: لا يدخلها ويصلى سعيرها إلا الأشقى الذي كذب بآيات الله وأعرض عنها.

كان أبو هريرة يقول: لتدخلن الجنة إلا من أبى: قالوا: يا أبا هريرة، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟! فقال: الذي كذب وتولى[1].

والمرجئة الذين يقولون: " الإيمان قول بلا عمل "، يتعلقون بهذه الآية، وفي تقديرها أقوال، منها:

أن المعنى: لا يصليها إلا الأشقى، (و) ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ ، فتكون الواو مضمرة.

حَكَى المُبرِّدُ وغيرُه أنَّ العربَ تقولُ: أكلتُ خبزاً لحماً تمراً، فيحذفون حرف العطف.

---

(١) جامع البيان، للطبري (٢٤/٤٧٨)، ويشهد له ما أخرجه البخاري في (ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) ٦/٢٦٥٥، برقم (٦٨٥١). عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) . قالوا: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى).

وأنشد أبو زيد(١):

كيف أصبحت كيف أمسيت ... مما يثبت الود في فؤاد الكريم(٢)

وإضمار الواو قبيح ليس بكثير في كلام العرب، وفيه نقض للأصول وخروج عن الظاهر.

وقيل: التقدير: لا يصلاها إلا الأشقى من الكفار والفساق، ثم أعاد ذكر الكفار - خاصة - تنبيهاً عليهم، لأنهم أعظم ذنباً من الفساق.

وقيل: التقدير: فأنذرتكم ناراً هذه صفتها.

وقيل: التقدير: لا يصلاها إلا أشقى أهل النار، وأشقاهم: الكفار. فدل هذا على أن غير الكفار يدخلون النار بذنوبهم.

وقيل: إن النار طبقات وصفوف مختلفة في شدة العذاب وهوله، فأعلمنا الله في هذه الآية أن هذا الصنف من النار التي تتوهج وتتوقد ولا يدخله إلا الذين كذبوا وتولوا عن الإيمان، وثم أصناف من ذلك عذاب النار دون ذلك يدخلها غير هذا الصنف، وأقل عذاب النار عذاب أليم، أجارنا الله منها.

وقيل: المعنى: لا يخلد فيها إلا الأشقى الذي كذب وتولى، فهذا للكفار بإجماع

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، أحد أئمة الأدب واللغة. من أهل البصرة. ووفاته بها. كان يرى رأي القدرية. وهو من ثقات اللغويين، قال ابن الأنباري: كان سيبويه إذا قال (سمعت الثقة) عنى أبا زيد. ولد سنة ١١٩هـ، وتوفي سنة ٢١٥هـ. من تصانيفه: كتاب (النوادر) في اللغة، و (الهمز)، و (لغات القرآن)،و (غريب الاسماء). ينظر: بغية الوعاة (٣/ ٩٢).

(٢) البيت من الخفيف. ينظر: ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري (٢٦٩)؛ والمعجم المفصل، لإميل يعقوب (٧/ ٤٣٩).

خاصة. **وهذا القول أحسن الأقوال عندي**))[١].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٢٠).

ينظر أمثلة أخرى : (١/ ١٢٨، ٢٠٨، ٣٩٦، ٤٣٣، ٦٧٤، ٩١٦)، (٢/ ١٢٢٤، ١٤٥٧)، (٣/ ١٥٧٦، ١٩٧٩، ٢٢٤١)، (٥/ ٣٦١٢)، (٦/ ٣٩٥٠، ٤١٠٠، ٤٢٦١)، (٧/ ٤٧٩٠، ٤٩٣٩)، (٩/ ٥٨٥٩، ٥٨٦٥)، (١١/ ٧٠٤٥، ٧٣٨٢)، (١٢/ ٨٠٢٦، ٨٢٠٠، ٨٣٤٦).

الخاتمة

الحمد لله على الدوام ، مجزل العطايا والنعم الجسام ، أحمده سبحانه على تيسيره وتوفيقه في البدء والختام ، والصلاة والسلام على من حباه ربه أفضل مقام وأزكى سلام ، نبينا محمد بن عبد الله ؛ المبعوث رحمةً للأنام ، ثم على آله وأزواجه وذريته الطيبين الكرام ، وأصحابه نجوم الهدى الأعلام ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد ، يا رحيم يا علاَّم ، وبعد:

ففي ختام بحثي هذا الموسوم بـ :" منهج مكي بن أبي طالب القيسي في الترجيحات من خلال كتابه (الهداية إلى بلوغ النهاية)"، توصلت إلى نتائج من أبرزها ما يلي :

* تعتبر شخصية الإمام مكي بن أبي طالب القيسي من أهم الشخصيات التي أثَّرَتْ في مسيرة التفسير، بل وفي كثير من العلوم والمعارف الإسلامية الأخرى ، فهو مدرسة علمية فذَّة ، وآية في التصنيف في فنون شتى ، غير أنَّ هذه العبقرية والمتمثلة في شخصيته – ومع الأسف – لم تنلْ حظَّها بَعْدُ من البحث والدراسة والاهتمام في كثير من الجوانب المختلفة ، على كثرة ما كُتِبَ في سيرته وفكره من مؤلفات ، ومن أهم الجوانب التي أُغفلت أو غفل عنها الباحثون ؛ جانب المنهجية التي سار عليها مكي في ترجيحاته بين أقوال المفسرين.

* اشتملت المنهجية التي سار عليها مكي رحمه الله في تفسيره على منهجي التفسير: الأثري والنظري.

الأثري بنقله التفسير النبوي خصوصاً، ومن السنة عموماً، وتفسير الصحابة

والتابعين، كل ذلك مجردا من الأسانيد.

والنظري بكل ما أوتي من أدوات النظر والاجتهاد من علوم العربية والقراءات وتوجيهها وعلوم القرآن المتنوعة وغيرها وتوظيفها في التفسير والترجيح بين أقوال المفسرين.

* أن مكياً استعمل في وصف جهده في التفسير عبارات تدل على أنه اجتهد في طريقتي الجمع والفهم، أي إنه كان عالما بما يجمع، واعيا بما ينقل، متفاعلا مع النص القرآني، مما يدل على أن إسهامه في التفسير لم يقتصر على حفظ آراء السابقين، بل أضاف إليها مما فتح الله عليه به.

* يذكر الأقوال المختلفة في التفسير، ويرجح منها ما يختاره ويرتضيه، ويوجه بعض الآراء توجيهاً مناسباً.

* يذكر أدلته غالباً بعد ترجيح القول، وربما اكتفى بالتعليل لذلك القول نظرياً، وربما استشهد لما يختار بالأدلة الموافقة لمعنى الآية من القرآن أو السنة ونحو ذلك.

* تميُّزُ منهجه بعدم الإطناب والتفصيل، فإذا احتيج إلى ذلك فإنه يحيل إلى كتاب آخر من كتبه، وهذا يتفق مع منهجه في الإيجاز والاختصار غير المخل، والتزامه بذلك كما نص على ذلك في مقدمة تفسيره.

* الاختيار في اصطلاح المفسرين، واستعمالُهم له يدل على أنه بمعنى الترجيح، حيث يستعملونه في ترجيح قول على آخر، سواء على وجه التقديم واختيار الأولى، أم على وجه تصحيح القول المرجّح، ورد القول الآخر.

* من فوائد دراسة الاختيارات والترجيحات في التفسير أنها تُكسب الباحث خبرة بكتب التفسير، وتعطيه تصوراً صحيحاً عنها؛ فيتعرف بذلك على قيمة كل

كتاب، وميزات كل تفسير. كما أن ذلك يفيد في معرفة مراتب المفسرين من حيث مكانتهم في التفسير، وقيمة ترجيحاتهم واختياراتهم.

* تتنوع الصيغ التي استعملها مكي رحمه الله في الترجيح والاختيار بين أقوال المفسرين، منها ما يصرح فيها باختياره، أو تصحيحه أو تضعيفه لأحد الأقوال، ومنها يُشعر بميله وتحسينه لأحدها دون رد لبقيتها، وهو في كل ذلك ينوع بين الألفاظ الدالة على ذلك.

* لم يلتزم مكي رحمه الله تعالى أسلوباً مطرداً في عرضه لأقوال المفسرين، فتارة يقدم القول الذي يرجحه أو يميل إليه، وتارة يقدم القول الذي لم يرتضيه ليرد عليه ويردفه باختياره، وتارة يسردها سرداً بما يشعر شمول الآية لجميعها إذ لا تعارض بينها، أو يسكت عن الترجيح لعدم ظهور الراجح لديه.

* نجد من خلال النظر في تفسير مكي رحمه الله تعالى توسعاً في تطبيق تفسير القرآن بالقرآن، فلا يكتفي في تطبيقه على ما يتوقف عليه المعنى وينكشف به المراد، بل ربما يسوق الآيات الأخر لتتميم معنى أو بيان نظائر لفظة ومعناها في القرآن، ونحو ذلك، وهذا يدل على أنه لا حرج من التوسع في استخدام هذا المصطلح، ما دام مقبولاً غير متكلف فيه، ويفيد فائدة مستحسنة.

* ينبغي أن يُفرق في الاحتجاج بين الطريقة والمطبق لهذه الطريقة، فالطريقة قد لا يكون فيها إشكال، وإنما المطبق لها يفرق بين ما صدر عن المعصوم ﷺ وغيره من المفسرين، فالأول قوله حجة، والثاني ليس بحجة، بل ينظر فيه إلى القرائن.

* مصطلح (التفسير بالسنة) أعم وأشمل من مصطلح (التفسير النبوي)، فإن التفسير بالسنة يشمل كل إفادة يستفيدها المفسر من السنة في بيان القرآن وتفسيره،

وهذه الإفادة من عمل المفسر واجتهاده في الغالب، وأما التفسير النبوي فيتعلق بكل قولٍ أو فعلٍ صدر عن النبي ﷺ صريحاً في إرادة التفسير. وعليه فإن الأول ليس بحجة بل ينظر إلى القرائن، والثاني حجة إذا صحّ.

* إن الناظر في تفسير مكي رحمه الله يرى ترجيحه بالعربية كثيراً، ويعتمد عليها في تفسيره، وقد توسع في ذلك توسعاً ظاهراً، ولا غرابة في ذلك، فلقد كان نحوياً لغوياً أديباً.

وهكذا نجد المفسرين يفيضون القول فيما تميزوا به، ويوظفونه في تفسير كتاب الله، ومن ثمّ انبثق من جرّاء هذا التخصص مناهج تفسيرية جديدة، كالتفاسير الفقهية (وهي ما تسمى بأحكام القرآن)، واللغوية، والإعرابية، والبلاغية ونحو ذلك، ولا يعني ذلك خلوها من التفسير النقلي عن السلف، بل غلب عليها وكثر فيها الجانب الذي أتقنه المفسر وبرع فيه.

* ما استشهد به مكي من آية أو سنة أو قولٍ لصحابي أو تابعي أو لغة العرب أو شعر ونحو ذلك، فلا يخلو من أحد حالين:

- أن يكون حجة وهو ما فسره النبي ﷺ -أو الصحابي ولم يُخالف فيه، أو ليس بحجة وهو ما فسره غيرُه ﷺ وخولف فيه،-أو قاله مكي من عند نفسه، ولكن يعرض على الأدلة والقواعد الترجيحية؛ لاختبار صحته - كما سبق تقريره - والله تعالى أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين

نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته

والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصطلحات والحدود والغريب.
- فهرس الأماكن والوقائع.
- فهرس القبائل والدول والفرق والمذاهب.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾		
﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾	٥٨	١٦٦
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾	٦١	٢٣١
﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٧١	١٢٨
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾	٨٧	١٠٢
﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْ ﴾	٩٣	٢٥٣
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾	٩٦	٩١
﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾	٩٨	١٠٤
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ... ﴾	١١٤	١٥٥
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾	١١٥	١٥٥
﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ ﴾	١٢٧	١٣٠

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا ﴾	١٤٢	٢١٣،٢١٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾	١٤٣	٢٠٢،٢١٧ ٢٧٦،
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	١٤٣	٢٣٨
﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾	١٥٨	٢٠٦
﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	١٦٨-١٦٩	٢٦٥
﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾	١٨٧	٢٣٨
﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾	١٨٧	٢٤٣
﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾	١٨٩	٢٠٢
﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾	١٩٨	١٨٨
﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾	١٩٩	١٨٩
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾	٢١٠	٤١
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ	٢١٩	٢٤١

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾		
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٢٢٨	١٤٠، ٢٦٣
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾	٢٥٥	١٢٥
﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٢٥٨	١٣٢
سورة آل عمران		
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾	٧	٥٥
﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	٣٦	١٧١
﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٥٢	٢٤٤
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾	٩٧	٢٢٠
﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ﴾	١١٣	١٥١
﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾	١١٥	١٥٢
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾	١٨٧	١٥٠
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾	١٨٨	١٤٩، ١٥٠
سورة النساء		
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾	٢	٢٤٤
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾	٢٣	٥٦
﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ	٢٤	١٣٢

عَلَيْكُمْۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ ﴾		
﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ ﴾	٢٥	١٣٣
﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	٢٥٢
﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا ﴾	٤٧	١٠٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٤٨	١٠٥، ١٢٢
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٥١	٢١٤
﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾	٥٥	١٠٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٥٨	١٧٣
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٦٠	١٥١
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾	٦٥	١٥١، ١٥٨
﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	٦٩	١٢٠
﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾	٨١	١٥٧

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾	٨٣	١٥٦، ٢٦٩
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾	٩٢	٩٤
﴿ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾	١٧١	١٠٤
سورة المائدة		
﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾	٣	١٢٢
﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	٥	١٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾	٦	١٣٠،٢٤٣، ٢٤٧
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾	٣٣	١٥٣
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾	٣٤	١٥٤
﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾	٤٨	٢٣
﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ ﴾	٩٠	١٨٧
﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾	٩٣	١٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ	١٠١	٢١٨،٢٢١

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾	٣٣	٢٦٥
﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾	١٤٣	١٢٥
﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾	١٤٣	١٢٥
﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا ﴾	١٦٤	٢٢٩
﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآ ﴾	١٧٩	٥٦
سورة الأنفال		
﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾	٢٤	١١٨
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾	٣٨	١٥٤
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾	٦٠	٩٧
سورة التوبة		
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾	٤٠	٩٢
﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ ﴾	١٠١	١٠٠
﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ ﴾	١٠٧	٥٧

سورة الحجر		
﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾	١٧	١٣١
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾	٨٧	١١٨
سورة النحل		
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٤٤	١٦٣
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾	٩٨	١٣١
سورة الإسراء		
﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾	٢٣	١٧٦
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾	٣٦	٢٦٦
﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾	٥٨	١٢٦
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ﴾	٦٠	٢٧٤
﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٧٦	١٠٠
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾	١١٠	٢٠٨
سورة الكهف		
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾	٢٢	٨١
﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾	٥٠	١٣٨

﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾	٤٩	١٤٨
سورة الأحقاف		
﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	١٢	٢٣٥
﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾	١٥	١٧٦
﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾	١٧	٢١٥
سورة محمد		
﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	١	٢٣٩
﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٤	٢٣٩
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾	٢٤	٢٦٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾	٣٤	١٢٢
سورة الفتح		
﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢٦	٩٣
سورة الذاريات		
﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾	٢٨	١٢١
﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴾	٢٩	١٢١
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٥٦
سورة النجم		
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾	٣٢	١٧١
سورة الرحمن		

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾	٦٨	١٠٤
سورة الواقعة		
﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴾	٢٢	٢٤٨
سورة الحديد		
﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾	١٣	٢٦٣
سورة الحشر		
﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾	٢٣	١٠٤
سورة الصف		
﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٤	٢٤٤
سورة الطلاق		
﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴾	٨	١٢٧
سورة نوح		
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٤	٢٤٥
سورة القيامة		
﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾	٢٢-٢٣	١٢٤
سورة التكوير		
﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾	٨-٩	٢٧٤
سورة المطففين		
﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾	١٥	١٢٦،١٣٧
سورة الليل		

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	١٤ – ١٦	٢٧٧
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾	١٩	٢٥٤
سورة العلق		
﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾	١٩	١٧١
سورة النصر		
﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١	١٧٠
سورة المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾	١ – ٢	١٦٩

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر اللَّه هذه الساعة غيركم	ابن مسعود رضي الله عنه	١٥٢
أمتي الغر المحجلون من آثار الوضوء	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٥
إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعده	ابن عمر رضي الله عنه	١٧٨
إن أبغض الناس إلى الله جل ذكره وأشدهم عذاباً إمام جائر	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	١٧٤
إن أحب الناس إلى الله وأقربهم إليه سبحانه وتعالى إمام عادل	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	١٧٣
إن أفضل عباد الله منزلة إمام عادل رفيق	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٧٤
إن الشيطان لا يخبّل أحداً في دارٍ فيها فرسٌ عتيقٌ	عريب	٩٨
إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه من العِبَاد	ابن عمرو رضي الله عنه	٢٦٦
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى	ابن عباس رضي الله عنه	١٧١
إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته	أبو موسى الأشعري رضي الله عنه	١٦٧
أن النبي ﷺ كان إذا أحدث لم يكلم أحداً حتى يتوضأ		٢٥٢
أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل قال: " الإيمان بالله، والصلاة لوقتها		١٧٦
إن جبريل استقبلني حين وضعت رجلي على الدرجة الأولى	سعيد بن المسيب	١٧٧
أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق مني	أبو هريرة رضي الله عنه	١٨١

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
	رضي الله عنه	
رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه (ح)	همام بن الحارث	٢٥٠
روح القدس جبريل عليه السلام (ح)	جابر رضي الله عنه	١٠٣
سأل الناس النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة	أنس رضي الله عنه	٢١٩
سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله	أبو هريرة رضي الله عنه	١٧٥
صلّت الأنصار حولين نحو بيت المقدس قبل هجرة النبي عليه السلام	قتادة رضي الله عنه	٢١٨
عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات	مجاهد	٢٢٨
قيل لبني إسرائيل ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ فدخلوا يزحفون	أبو هريرة رضي الله عنه	١٦٦
كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله	ابن عباس رضي الله عنه	٢٤٢
كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده	عائشة رضي الله عنها	١٧٠
كان مروان على الحجاز	يوسف بن ماهك	٢١٤
كانت عُكاظٌ ومجنّةٌ وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية	ابن عباس رضي الله عنه	١٨٨
كانت قريش ومن دَانَ دينها يقفون المزدلفة	عائشة رضي الله عنها	١٨٩
كانوا يَخْذِفون أهلَ الطريقِ ويَسْخَرُونَ منهم	أم هانئ رضي الله عنها	١٨٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز	مجاهد	٢٤٢
كل شيء بينه وبين الله حجاب إلا	مجاهد	١٧٨
كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر	القاسم	٢٤٢
كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة	عامر بن ربيعة رضي الله عنه	١٥٥
لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا	مالك بن أنس	٢٣٧
لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون	عائشة رضي الله عنها	١٤٧
لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوك فيعتقه	أبو هريرة رضي الله عنه	١٨١
لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب	مجاهد	٢٣٦
لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ	أَبو سَعِيدِ بْن الْمُعَلَّى رضي الله عنه	١١٨
لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ	مسروق	١٨٤
لقعدة معها تقعدها على مائدتها أحب إلي من حجتك	الحسن البصري	١٧٨
لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش	ابن عباس رضي الله عنه	٢١٤
لما نزلت هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾، قالوا: يا رسول الله، أفي كل عام؟	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٢٢٠
اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	ابن عباس رضي الله عنه	٢٦٩

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
يدخلوا من قِبل أبواب بيوتهم	رضي الله عنه	
نزلت ورسول اللَّه ﷺ مختفٍ بمكة	ابن عباس رضي الله عنه	٢٠٨
هل تعلمون نفقة أفضل من نفقة في سبيل الله؟	مورق العجلي	١٧٦
والذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم أين أُنزلت؟	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٠٥
واللَّه لقد علم أصحابُ النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب اللَّه	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٠٥
ودك ود أبيك، لا تقطع من كان يصل أباك	عبد الله بن سلام رضي الله عنه	١٧٩
وقال السفهاء من الناس – وهم اليهود	البراء بن عازب رضي الله عنه	٢١٣
يا بني من أرضى والديه فقد أرضى الرحمن	كعب الأحبار	١٨١
يا رسول اللَّه، أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟	ابن عمر رضي الله عنه	٢٠٩
يَرِد عليَّ قومٌ الحوضَ فَيُخْتَلَجون	أنس رضي الله عنه	٢٧٣

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الشهرة	الصفحة
أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير	ابن مردويه	١٨٦
أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس	السمين الحلبي	٦٨
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي القرشي السدي	السدي	٩٨
إسماعيل بن عمر بن كثير	ابن كثير	٢٤
أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو		٢٤٣
أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري		٢١٩
البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي		٢٠١
بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي		٢٥١
بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان	المازني	٢٤١
بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي، أبو عبد الله		٢٠٤
بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله		٢٥١
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري		١٩٧
حاطب بن أبي بلتعة اللخمي		١٥٩
حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله		٢٥١
الحارث بن نفيع بن المعلى	أبو سعيد	١١٨

العلم	الشهرة	الصفحة
الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	الحسن البصري	٢٤
الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغويّ، محيي السنة	البغويّ	٢٢٤
حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أم المؤمنين		٢١٠
الربيع بن أنس البكري		١٠٣
رفيع بن مهران الرياحي البصري، الرياحي	أبو العالية	٢٢٥
الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي		١٥٠
زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة		٢٥٥
زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة	ابن أسلم	٢٥٣
سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري		٢٥١
سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري	أبو زيد	٢٧٨
سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي		٢٢٤
سعيد بن جبير بن هشام الأسدي		٩٦
سعيد بن رشيق الزاهد		٤٧
سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، أبو الحسن	الأخفش الأوسط	٢٤٧

العلم	الشهرة	الصفحة
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	ابن عباس	٢٤
عبد الله بن عبد الرحمن القيرواني	ابن أبي زيد	٤٥
عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي	أبو بكر الصديق	٩٢
عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي		١٠٥
عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي		١٧٩
عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب	أبو موسى الأشعري	١٦٧
عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، أبو محمد	أبو الشيخ	١٨٦
عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن	ابن مسعود	١١٠
عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري المصري، أبو محمد	ابن وهب	١٠٤
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الروميّ الأموي	ابن جريج	١٦١
عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري	الملك المظفر بالله	٣٩
عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي		٤٦
عبد الواحد بن التين الصفاقسي	ابن التين	١٩٠
عبيد الله بن محمد بن أحمد السقطي	السقطي	٤٧

العلم	الشهرة	الصفحة
قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي		٩٦
قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري	أبو السمّال	١٥٩
كعب بن الأشرف الطائي		٢١٤
كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري	كعب الأحبار	١٨١
مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله	مالك	٢٣٧
مجاهد بن جبر		٢٤
محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي	الشنقيطي	١٣٥
محمد الطاهر بن عاشور	ابن عاشور	٧٦
محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي	ابن القيم	١١٤
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي	القرطبي	٦٧
محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المالكي، أبو الوليد	ابن رشد الجد	٢٣٧
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي	الذهبي	٤٠
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي المالكي	ابن جزي	٤٣
محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد	أبو زهرة	١١٠
محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي	الشافعي	٢١١
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه	البخاري	١٤٩

العلم	الشهرة	الصفحة
الجعفي		
محمد بن جعفر التميمي	القزاز	٤٥
محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن	ابن مقسم العطار	٩٩
محمد بن القاسم بن محمد بن بشار	أبو بكر الأنباري	٢٢٦
محمد بن جرير بن يزيد الطبري	الطبري	٦٣
محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر،	ابن سيرين	٢٥٢
محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان الوهيبي التميمي	ابن عثيمين	١٦٥
محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي	ابن محيصن	١٠٢
محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين	الزركشي	٦٩
محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر	ابن العربي	١٥١
محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري	الحاكم	١٨٧
محمد بن علي بن أحمد الأدفوي	الأدفوي	٤٦، ٦٣
محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	الشوكاني	٦٨
محمد بن علي بن وهب بن مطيع	ابن دقيق العيد	٢٠٠
محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، فخر الدين الرازي	الرازي	٣٢

الصفحة	الشهرة	العلم
١٤٦	الترمذي	محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة السلمي
٤٢	الحميدي	محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي
٢٢٠	الزهري	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري
٣٩		محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي، يلقب بـ(المهدي بالله)
١٥٥	ابن ماجه	محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله
٢٤٤	المبرد	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس
٦٨	أبو حيان	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي
٢٠٧	الزرقاني	محمد عبد العظيم الزرقاني
٦٨	الآلوسي	محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين
١٩٢	الزمخشري	محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري
١٤٩		مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي
١٦٩		مسروق بن الاجدع بن مالك الهمداني الوادعي
١٤٩	مسلم	مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري
٢١٤		معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي

العلم	الشهرة	الصفحة
معتمر بن سليمان التيمي		١٠١
معقل بن يسار المزني		١٧٤
معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، النحوي	أبو عبيدة	٢٤٨
مقاتل بن حيان النبطي		١٠٠
مكي بن أبي طالب القيسي	مكي	٣٧
مورق بن مشمرج العجلي		١٧٦
نافع مولى عبد الله بن عمر، أبو عبد الله المدني		٢٠٤
النعمان بن بشير النصاري		١١٧
هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي		٢١٢
ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي	الحموي	٤٤
يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا، المعروف بالفراء	الفراء	٦٤
يحيى بن سلام التيمي البصري	ابن سلّام	٦٤
يزيد بن الخَذَّاق الشَّنِّي العبدي		٢٢
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي		٢١٥
يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف	ابن السكيت	٢٤٠
يوسف بن ماهك بن بهزاد الفارسي المكي		٢١٤
يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث	ابن الصفار	٤٨

فهرس المصطلحات والحدود والغريب

الرقم	الكلمة	الصفحة
١	أتراب	٣٨
٢	أحفوه	٢١٩
٣	الإخاذ	١٨٤
٤	الاختيار	٧٤
٥	الأقط	٢٤٨
٦	الترجيح	٧٢
٧	تعترى	٩٩
٨	الجماهير	٢٥٩
٩	الخُمْس	١٨٩
١٠	حَمّوش	٣٧
١١	الشراج	١٥٠
١٢	الصيغ	٨٤
١٣	عاضا	٢٥

الرقم	الكلمة	الصفحة
١٤	الغُرّ	٢٤٥
١٥	قارفت	٢٢٠
١٦	لاحى	٢١٩
١٧	المحجّلون	٢٤٥
١٨	المطايا	١١١
١٩	مناة	٢٠٦
٢٠	المنبتر	٢١٤
٢١	المنهج	٢٢
٢٢	واجمًا	٢٠٩
٢٣	وجأ	٢٠٩

فهرس الأماكن والوقائع

فهرس القبائل والفرق والمذاهب

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

١ - **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**: لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري(ت٨٤٠هـ). تحقيق: عادل سعد و السيد بن محمود بن إسماعيل. مكتبة الرشد. الرياض. ط: الأولى. ١٤١٩هـ.

٢ - **الإتقان في علوم القرآن**: لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ). تحقيق: مركز الدراسات القرآنية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة النبوية.

٣ - **أثر السياق في النظام النحوي على كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري)**: لنوح بن يحيى بن صالح الشهري. رسالة دكتوراه في اللغة العربية، مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى ، عام ١٤٢٦هـ.

٤ - **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية**: لأحمد علي الملا. دار الفكر المعاصر. بيروت. ط: الثانية. ١٩٨٢م.

٥ - **أحكام القرآن**: لأبي بكر محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي المعروف بابن العربي (ت٥٤٣هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٢٤هـ.

٦ - **أسباب النزول**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ). تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. دار الإصلاح. الدمام. ط: الثانية. ١٤١٢هـ.

٧ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي(ت٤٦٣هـ). تحقيق: عادل مرشد. دار الأعلام. عمّان. ط: الأولى. ١٤٢٣هـ.

٨ - **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ). تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية.

بيروت.

٩ - **الاشتقاق:** لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت٣٢١هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط: الثالثة.

١٠ - **الإصابة في تمييز الصحابة:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ). تحقيق: د/ عبدالله التركي. دار هجر. القاهرة. ط: الأولى. ١٤٢٩هـ.

١١ - **أصول الحديث:** لمحمد عجاج الخطيب. دار الفكر. بيروت. ١٤٢٦هـ.

١٢ - **أصول الفقه:** لمحمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ الخضري بك(ت١٣٤٥هـ). دار الحديث. مصر. ١٤٠٥هـ.

١٣ - **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ). أشرف على تحقيقه : بكر بن عبدالله أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. ط: الأولى. ١٤٢٦هـ.

١٤ - **إعراب القرآن:** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت٣٣٨هـ). تحقيق: زهير غازي زاهد. دار عالم الكتب. بيروت. ط: الثانية. ١٤٠٥هـ.

١٥ - **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ). تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤٢٣هـ.

١٦ - **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ). دار العلم للملايين. بيروت. ط: الخامسة عشر. ٢٠٠٢م.

١٧ - **الأغاني:** لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني(ت٣٥٦هـ). تحقيق: إحسان عباس وآخرَيْن.دار صادر. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٢٩هـ.

١٨ - **إنباه الرواة على أنباه النحاة:** لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القِفْطي(ت٦٢٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.دار الفكر العربي. القاهرة.

ط: الأولى. ١٤٠٦هـ.

١٩ - **البحث العلمي:** لعبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة. ط: الثانية. ١٤٢٠هـ.

٢٠ - **البحر المحيط**: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ). تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٣هـ.

٢١ - **البحر المحيط في أصول الفقه**: لبدرالدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي(ت٧٩٤هـ). تحقيق: عبدالقادر العاني وآخرون. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت. ط: الثانية. ١٤١٣هـ.

٢٢ - **بدائع التفسير:** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ). جمعه: يسري السيد محمد. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤١٤هـ.

٢٣ - **البر والصلة:** للحسين بن الحسن المروزي(ت٢٤٦هـ). تحقيق: محمد سعيد بخاري. دار الوطن. الرياض. ط: الأولى. ١٤١٩هـ.

٢٤ - **البرهان في علوم القرآن:** لبدرالدين محمد بن بهادر الزركشي.الشافعي (ت٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار التراث. القاهرة. ط: الثالثة. ١٤٠٤هـ.

٢٥ - **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث:** لنور الدين علي بن سليمان، ابن أبي بكر الهيثمي الشافعي (ت٨٠٧هـ). تحقيق: حسين الباكري. مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية. ط: الأولى. ١٤١٣هـ .

٢٦ - **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:** لأحمد بن يحيى الضبي (ت٥٩٩هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري. القاهرة. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٠هـ .

٢٧ - **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤١٩هـ .

٢٨ - **تاج العروس من جواهر القاموس**: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ). تحقيق: جمع من المحققين. مطبعة حكومة الكويت. الكويت. ١٣٨٥هـ.

٢٩ - **التاريخ الكبير**: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ). دار الكتب العلمية. بيروت.

٣٠ - **التبيان في أيمان القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ). تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. ط: الأولى. ١٤٢٩هـ.

٣١ - **التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور.** دار سحنون. تونس. ١٩٩٧م.

٣٢ - **تذكرة الحفاظ**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى.

٣٣ - **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:** للقاضي عياض بن موسى السبتي الأندلسي(ت٥٤٤هـ). تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي ، وآخرين. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب. ط: الثانية. ١٤٠٣هـ.

٣٤ - **الترجيح بالسنة عند المفسرين:** لناصر بن محمد الصائغ. دار التدمرية. الرياض. ط: الأولى. ١٤٣١هـ.

٣٥ - **التسهيل لعلوم التنزيل:** لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي(ت٧٤١هـ). تحقيق: محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٥هـ.

٣٦ - **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين:** لصلاح بن عبد الفتاح الخالدي. دار القلم. دمشق. ط: الأولى. ١٤٢٣هـ.

٣٧ - **تفسير التابعين:** لمحمد بن عبد الله بن علي الخضيري. دار الوطن. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٠هـ.

٣٨ - **تفسير القرآن العظيم:** لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(ت٣٢٧هـ). تحقيق: أسعد الطيب. مكتبة نزار الباز. مكة. ط: الأولى. ١٤١٧هـ.

٣٩ - **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ). تحقيق: سامي السلامة. دار طيبة. الرياض. ط: الثانية. ١٤٢٠هـ.

٤٠ - **تفسير القرآن بالقرآن:** لمحسن بن حامد المطيري. دار التدمرية. الرياض. ط: الأولى. ١٤٣٢هـ.

٤١ - **تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة):** لمحمد بن صالح العثيمين(ت١٤٢١هـ). دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤٢٣هـ.

٤٢ - **التفسير اللغوي للقرآن الكريم:** لمساعد بن سليمان الطيار. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤٢٢هـ.

٤٣ - **التفسير والمفسرون:** لمحمد بن حسين الذهبي(ت١٣٩٧هـ). دار الحديث. القاهرة. ١٤٢٦هـ.

٤٤ - **التفسير والمفسرون في العصر الحديث:** لعبد القادر محمد صالح. دار المعرفة. بيروت. ط: الأولى. ١٤٢٤هـ.

٤٥ - **التفسير ورجاله:** لمحمد الفاضل بن عاشور. دار سحنون. تونس. ودار السلام. القاهرة. ط: الأولى. ١٤٢٩هـ.

٤٦ - **تقريب التهذيب:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). تحقيق: محمد عوامة. دار الرشيد. سوريا. ط: الثالثة. ١٤١١هـ.

٤٧ - **تهذيب التهذيب:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). اعتناء: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٦هـ.

٤٨ - **تهـذيب الكـمال:** لجـمال الـدين أبي الحجـاج يوسـف بـن الزكـي عبـد الـرحمن المـزي(ت٧٤٢هـ). تحقيـق: بشـار معـروف. مؤسسـة الرسـالة. بـيروت. ط: الأولى. ١٤٠٠هـ.

٤٩ - **التوقيف على مهمات التعاريف:** لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي(ت١٠٣١هـ). تحقيق: محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٠هـ.

٥٠ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ). تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. ط: الثانية.

٥١ - **جـامع الترمـذي** : لأبي عيسـى محمـد بـن عيسـى بـن سـورة الترمـذي (ت٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٥٢ - **الجـامع الصـحيح:** لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ). تحقيق: مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير . دمشق. ط: الخامسة. ١٤١٤هـ.

٥٣ - **جامع الرسائل:** لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. دار العطاء. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٢هـ.

٥٤ - **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ). دار الفكر. بيروت. ١٤٢٨هـ .

٥٥ - **جـامع بيـان العلـم وفضـله:** لأبي عمـر يوسـف بـن عبدالله بـن عبـدالبر النمـري القرطبي(ت٤٦٣هـ). تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الرابعة. ١٤١٩هـ.

٥٦ - **الجامع في الحديث:** لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري(ت١٩٧هـ). تحقيق: مصطفى حسن أبو الخير. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤١٦هـ.

٥٧ - **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت٦٧١هـ). تحقيق: عبدالله التركي وآخرين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الأولى. ١٤٢٧هـ.

٥٨ - **الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين:** لوليد بن أحمد الحسين. مجلة الحكمة. بريطانيا. ط: الأولى. ١٤٢٢هـ.

٥٩ - **الجامع لشعب الإيمان:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ). تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد ، مختار الندوي. مكتبة الرشد. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٣هـ.

٦٠ - **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس:** لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح الأزدي الحميدي (ت٤٨٨هـ). الدار المصرية للتأليف والترجمة. ١٩٦٦م.

٦١ - **جمهرة أنساب العرب:** لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ). تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار المعارف. القاهرة. ط: الخامسة.

٦٢ - **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر:** لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ). تحقيق: إبراهيم باجس. دار ابن حزم. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٩هـ.

٦٣ - **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). دار الجيل. بيروت. ١٤١٤هـ.

٦٤ - **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون اليعمري المالكي(ت٧٩٩هـ). تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. دار التراث. القاهرة.

٦٥ - **ديوان الراعي النميري:** عبيد بن حصين. تحقيق: راينهَرت فايبرت. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. بيروت. ١٤٠١هـ.

٦٦ - **ديوان النابغة الذبياني:** زياد بن معاوية. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. ط: الثانية.

٦٧ - **ذيل طبقات الحفاظ:** لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ). تحقيق: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية. بيروت.

٦٨ - **ذيل طبقات الحنابلة:** لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ). تحقيق: عبد الرحمن العثيمين. مكتبة العبيكان. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٥هـ.

٦٩ - **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة:** لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ). تحقيق: أحمد حسن فرحات. دار عمار. عمّان. ط: الثالثة. ١٤١٧هـ.

٧٠ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ).دار إحياء التراث العربي.

٧١ - **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام:** لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهيلي(ت٥٨١هـ). تعليق: مجدي بن منصور. دار الكتب العلمية. بيروت.

٧٢ - **الروض المعطار في خبر الأقطار:** لمحمد بن عبد المنعم الحميري(ت٩٠٠هـ تقريباً). تحقيق: د/ إحسان عباس. مكتبة لبنان. بيروت. ط: الثانية. ١٩٨٤م.

٧٣ - **رؤية معاصرة في علم المناهج:** لعلي عبد المعطي محمد. دار المعرفة الجامعية. القاهرة. ط: الأولى. ١٩٨٧م.

٧٤- **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الرابعة عشرة. ١٤٠٧هـ.

٧٥- **زهرة التفاسير**: لمحمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة(ت١٣٩٤هـ). دار الفكر العربي.

٧٦- **سنن ابن ماجه**: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر. بيروت.

٧٧- **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ). تحقيق: عزت عبيد الدعاس، عادل السيد. دار ابن حزم. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٨هـ.

٧٨- **السنن الكبرى**: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت٤٥٨هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٢٤هـ.

٧٩- **سنن النسائي " المجتبى "**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ). مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. ط: الثانية. ١٤٠٦هـ.

٨٠- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقسوسي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: التاسعة. ١٤١٣هـ.

٨١- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: لمحمد بن محمد مخلوف (ت١٣٦٠هـ). دار الكتاب العربي. بيروت.

٨٢- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لابن العماد عبدالحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت١٠٨٩هـ). تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط. دار ابن كثير. دمشق. ط: الأولى. ١٤٠٦هـ.

٨٣ - **شرح الكوكب المنير**: لابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي(ت٩٧٢هـ). تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد. مكتبة العبيكان. الرياض. ط: الثانية. ١٤٣٠هـ.

٨٤ - **شرح مختصر الروضة**: لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي(ت٧١٦هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الأولى. ١٤٣٢هـ.

٨٥ - **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**: لمساعد بن سليمان الطيار. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤٢٧هـ.

٨٦ - **الشعر والشعراء**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري(ت٢٧٦هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار المعارف. القاهرة. ط: الثانية. ١٣٧٧هـ.

٨٧ - **الصاحبي في فقه اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) . تحقيق: السيد أحمد صقر. مكتبة البابي الحلبي. القاهرة.

٨٨ - **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: لإسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٠٤هـ.

٨٩ - **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي(ت٣٥٤هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الثانية. ١٤١٤هـ.

٩٠ - **صحيح مسلم**: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار عالم الكتب. الرياض. ط: الأولى. ١٤١٧هـ.

٩١ - **الصلة**: لخلف بن عبد الملك بن بشكوال(ت٥٧٨هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني. القاهرة ، بيروت. ط: الأولى. ١٤١٠هـ.

٩٢ - **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي(ت٩٠٢هـ). دار الجيل. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٢هـ.

٩٣ - **طبقات الحنابلة**: لأبي الحسين محمد بن محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي(ت٥٢٦هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. دار المعرفة. بيروت.

٩٤ - **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ). تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. دار هجر. السعودية. ط: الثانية. ١٤١٣هـ.

٩٥ - **طبقات القراء**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق: أحمد خان. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ط: الأولى. ١٤١٨هـ.

٩٦ - **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ). تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط: الأولى. ١٤٢١هـ.

٩٧ - **طبقات المفسرين**: لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي (ت٩٤٥هـ). راجعها: لجنة من العلماء. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤٠٣هـ.

٩٨ - **الطبقات**: لأبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري(ت٢٤٠هـ). تحقيق: أكرم ضياء العمري. مطبعة العاني. بغداد. ط: الأولى. ١٣٨٧هـ.

٩٩ - **العبر في خبر من غبر**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق: محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤٠٥هـ.

١٠٠ - **العظمة**: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ). تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة. الرياض. ط: الأولى. ١٤٠٨هـ.

١٠١ - **العقود الدُّرِّية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي(ت٧٤٤هـ). تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني. دار الفاروق الحديثة. القاهرة. ط: الأولى. ١٤٢٢هـ.

١٠٢ - **العلم والبحث العلمي**: لحسين عبد الحميد رشوان. المكتب الجامعي الحديث. الاسكندرية. ط: السادسة. ١٩٩٥م.

١٠٣ - **علوم القرآن بين البرهان والإتقان**: لحازم سعيد حيدر. مكتبة دار الزمان. المدينة النبوية. ط: الثانية. ١٤٢٧هـ.

١٠٤ - **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى.

١٠٥ - **غاية النهاية في طبقات القراء**: لأبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي(ت٨٣٣هـ). تحقيق: برجستراسر. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤٢٧هـ .

١٠٦ - **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). تحقيق: محب الدين الخطيب. دار المعرفة. بيروت. ١٣٧٩م.

١٠٧ - **فتح البيان في مقاصد القرآن**: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القِنَّوجي(ت١٣٠٧هـ). قدّم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤١٢هـ.

١٠٨ - **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ). تحقيق: عبد الرحمن عميرة. دار الوفاء. المنصورة. ط:الثانية. ١٤١٨هـ.

١٠٩ - **الفردوس بمأثور الخطاب**: لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني(ت٥٠٩هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤٠٦هـ.

١١٠ - **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:** عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة المدني. القاهرة.

١١١ - **فصول في أصول التفسير:** لمساعد بن سليمان الطيار. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الثالثة. ١٤٢٠هـ.

١١٢ - **فصول في فقه العربية:** لرمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط: السادسة. ١٤٢٠هـ.

١١٣ - **فضائل القرآن:** لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي(ت٢٢٤هـ). تحقيق: مروان العطية وآخرين. دار ابن كثير. دمشق.

١١٤ - **فضل علم السلف على الخلف:** لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ). بعناية: الجمعية الشرعية الإسلامية. المكتبة المحمودية. مصر.

١١٥ - **فهرسة ما رواه عن شيوخه:** لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي (ت٥٧٥هـ). منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط: الثانية. ١٣٩٩هـ.

١١٦ - **فوات الوفيات:** محمد بن شاكر الكتبي(ت٧٦٤هـ). تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت.

١١٧ - **القاموس المحيط:** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ). مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٣٣هـ.

١١٨ - **قمم إسلامية: أبو زهرة**: لأبي بكر عبد الرزاق. مكتبة دار الفضيلة.

١١٩ - **قواعد الترجيح عند المفسرين:** لحسين بن علي الحربي. دار القاسم. الرياض. ط: الثانية. ١٤٢٩هـ.

١٢٠ - **قواعد التفسير:** لخالد بن عثمان السبت. دار ابن عفان. الجيزة. ط: الأولى. ١٤٢١هـ.

١٢١ - **قول الصحابي في التفسير الأندلسي حتى القرن السادس:** لفهد بن عبد الرحمن الرومي. مكتبة التوبة. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٠هـ.

١٢٢ - **الكامل:** لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. القاهرة. ط: الثالثة. ١٤١٧هـ.

١٢٣ - **الكامل في ضعفاء الرجال:** لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ). تحقيق: يحيى غزاوي. دار الفكر. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٠٩هـ.

١٢٤ - **كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية:** لعبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. دار الشروق. جدة. ط: الثالثة. ١٤٠٦هـ.

١٢٥ - **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة(ت١٠٦٧هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٢٦ - **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة:** لنجم الدين محمد بن محمد الغزِّي (ت١٠٦١هـ). تحقيق: جبرائيل سليمان جبور. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط: الثانية. ١٩٧٩م.

١٢٧ - **اللباب في تهذيب الأنساب:** لابن الأثير أبي الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري(ت٦٣٠هـ). مكتبة المثنى. بغداد.

١٢٨ - **لسان العرب:** لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ). اعتناء: أمين عبدالوهاب، ومحمد العبيدي. دار إحياء التراث العربي. مؤسسة التاريخ العربي. بيروت. ط: الثالثة. ١٤١٩هـ.

١٢٩ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** لعلي بن أبي بكر الهيثمي(ت٨٠٧هـ). تحقيق: عبدالله الدرويش. دار الفكر. بيروت. ١٤١٤هـ.

١٣٠ - **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:** جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة النبوية. ١٤٢٥هـ.

١٣١ - **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) تحقيق: علي النجدي، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي. لجنة إحياء كتب السنة بوزارة الأوقاف المصرية. القاهرة. ١٤١٥هـ.

١٣٢ - **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ) تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال. دار الفكر العربي. القاهرة. ط: الثانية.

١٣٣ - **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة**: لخالد بن سليمان المزيني. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الأولى. ١٤٢٧هـ.

١٣٤ - **المحلى**: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي.(ت٤٥٦هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر ، إدارة الطباعة المنيرية. مصر. ١٣٤٧هـ.

١٣٥ - **المدخل إلى السنن الكبرى**: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت٤٥٨هـ). تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي. دار أضواء السلف. الرياض. ط: الثانية. ١٤٢٠هـ.

١٣٦ - **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر**: لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ). أشرف على تحقيقه: بكر بن عبدالله أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. ط: الأولى. ١٤٢٦هـ.

١٣٧ - **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان** : لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (ت٧٦٨هـ). دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. ١٤١٣هـ.

١٣٨ - **مراقي السعود إلى مراقي السعود**: لمحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني المعروف بالمرابط. تحقيق: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. ط: الأولى. ١٤١٣هـ.

١٣٩ - **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت٣٤٦هـ). بعناية: يوسف البقاعي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط: الأولى.

١٤٠ - **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ). إشراف: يوسف المرعشلي. دار المعرفة. بيروت.

١٤١ - **مسند الإمام أحمد**: لأحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ). تحقيق: جمع من العلماء بإشراف عبد الله التركي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الأولى. ١٤٢١هـ.

١٤٢ - **المسند**: لأبي يعلى الموصلي علي بن أحمد بن المثنى(ت٣٠٧هـ). تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. دار المأمون للتراث. دمشق. ط: الثانية. ١٤١٠هـ.

١٤٣ - **المصنف في الأحاديث والآثار**: لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي. (ت٢٣٥هـ). تحقيق: حمد الجمعة، ومحمد اللحيدان. مكتبة الرشد. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٥هـ.

١٤٤ - **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). تحقيق: جمع من المحققين. بتنسيق: سعد بن ناصر الشثري. دار العاصمة. ودار الغيث. الرياض. ط: الأولى. ١٤١٩هـ.

١٤٥ - **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة**: لمحمد حسين الجيزاني. دار ابن الجوزي. الدمام. ط: الخامسة. ١٤٢٧هـ.

١٤٦ - **معالم الإيمان في معرفة اهل القيروان**: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ(ت٦٩٦هـ). تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح. مكتبة الخانجي. مصر. ط: الثانية. ١٣٨٨هـ.

١٤٧ - **معالم التنزيل(تفسير البغوي)**: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ). تحقيق: محمد بن عبد الله النمر وآخرين. دار طيبة. الرياض. ط: الرابعة. ١٤١٧هـ.

١٤٨ - **معجم الأدباء**: لياقوت بن عبدالله الحموي(ت٦٢٦هـ). دار الفكر. بيروت. ط: الثالثة. ١٤٠٠هـ.

١٤٩ - **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(ت٣٦٠هـ). تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني. دار الحرمين. القاهرة. ١٤١٥هـ.

١٥٠ - **معجم البلدان**: ياقوت بن عبدالله الحموي(ت٦٢٦هـ). دار صادر. بيروت. ١٣٩٧هـ.

١٥١ - **معجم القراءات القرآنية**: لأحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم. مطبوعات جامعة الكويت. ط: الثانية. ١٤٠٨هـ.

١٥٢ - **المعجم الكبير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(ت٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية. القاهرة.

١٥٣ - **معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات**: لإبراهيم بن سعيد الدوسري. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط: الأولى. ١٤٢٥هـ.

١٥٤ - **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**: لعاتق بن غيث البلادي. دار مكة. مكة المكرمة. ط: الأولى. ١٤٠٢هـ.

١٥٥ - **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**: لإميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٧هـ.

١٥٦ - **معجم مقاييس اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) . تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت. ط: الثانية. ١٤٢٠هـ.

١٥٧ - **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ). تحقيق: بشار معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح عباس. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط: الأولى. ١٤٠٤هـ.

١٥٨ - **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:** لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ). تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله. دار الفكر. بيروت. ط: السادسة. ١٩٨٥م.

١٥٩ - **مفاتيح الغيب ، أو التفسير الكبير:** لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ). دار الفكر. بيروت. ط: الأولى. ١٤٠١هـ.

١٦٠ - **مفردات ألفاظ القرآن :** لأبي القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت ط: الثالثة. ١٤٢٣هـ.

١٦١ - **المفضليات:** للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي اللغوي. تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون. دار المعارف. القاهرة. ط: السادسة.

١٦٢ - **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت٣٣٠هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤١٩هـ.

١٦٣ - **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**: لمساعد بن سليمان الطيار. دار المحدث. الرياض. ط: الأولى. ١٤٢٥هـ.

١٦٤ - **مقدمة ابن خلدون:** لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون(ت٨٠٨هـ). اعتناء ودراسة: أحمد الزعبي. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت.

١٦٥ - **مكارم الأخلاق:** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي(ت٢٨١هـ). تحقيق: مجدي السيد إبراهيم. مكتبة القرآن. القاهرة.

١٦٦ - **مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن**: لأحمد حسن فرحات. دار عمار. عمّان. ط: الأولى. ١٤١٨هـ.

١٦٧ - **الملل والنحل**: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني(ت٥٤٨هـ). تعليق: أحمد فهمي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الثانية. ١٤١٣هـ.

١٦٨ - **مناقب الشافعي**: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي(ت٦٠٦هـ). تحقيق: أحمد حجازي السقا. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. ط: الأولى. ١٤٠٦هـ.

١٦٩ - **مناهل العرفان في علوم القرآن**: لمحمد عبد العظيم الزرقاني(ت١٣٦٧هـ). تحقيق: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط: الثالثة. ١٤١٩هـ.

١٧٠ - **منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح**: لحسين بن علي الحربي. دار الجنادرية. عمّان. ط: الأولى. ١٤٢٩هـ.

١٧١ - **منهج البحث الأصولي**: لعبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. بحث منشور في مجلة مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى، العدد السادس.

١٧٢ - **منهج البحث العلمي عند العرب**: لجلال محمد موسى. دار الكتاب اللبناني. بيروت.

١٧٣ - **الموافقات في أصول الشريعة**: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت٧٩٠هـ). ضبط وتعليق وتخريج: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. تقديم: بكر بن عبدالله أبو زيد. دار ابن عفان. الخبر. ط: الأولى. ١٤١٧هـ.

١٧٤ - **الموسوعة القرآنية المتخصصة**: لمجموعة من العلماء. بإشراف: محمود حمدي زقزوق. مطابع التجارية. مصر.

١٧٥ - **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**: إعداد: جمع من العلماء في الندوة العالمية للشباب الإسلامي ؛ بإشراف: مانع بن حماد الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر. الرياض. ط: الرابعة. ١٤٢٠هـ.

١٧٦ - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ١٤١٦هـ.

١٧٧ - **نزهة الألباء في طبقات الأدباء:** لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، ابن الأنباري(ت٥٧٧هـ). تحقيق: إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار. الزرقاء. ط: الثالثة. ١٤٠٥هـ.

١٧٨ - **النشر في القراءات العشر:** لشمس الدين أبي الخير ، محمد بن محمد بن يوسف، ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ). تحقيق: علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية.

١٧٩ - **النكت والعيون:** لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ). تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية. بيروت.

١٨٠ - **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الأثير مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر الزاوي ، محمود الطناحي. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ.

١٨١ - **نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** لأحمد بابا التنبكتي(ت١٠٣٦هـ). تحقيق: عبدالحميد عبدالله الهراقة. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس ، ليبيا. ط: الأولى. ١٣٩٨هـ.

١٨٢ - **الهداية إلى بلوغ النهاية:** لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.(ت٤٣٧هـ). تحقيق: جمع من الباحثين. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة. ط: الأولى. ١٤٢٩هـ.

١٨٣ - **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:** لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٨٤ - **الوافي بالوفيات:** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت٧٦٤هـ). تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى. دار إحياء التراث. بيروت. ١٤٢٠هـ.

١٨٥ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان(ت٦٨١هـ). تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت.

فهرس الموضوعات